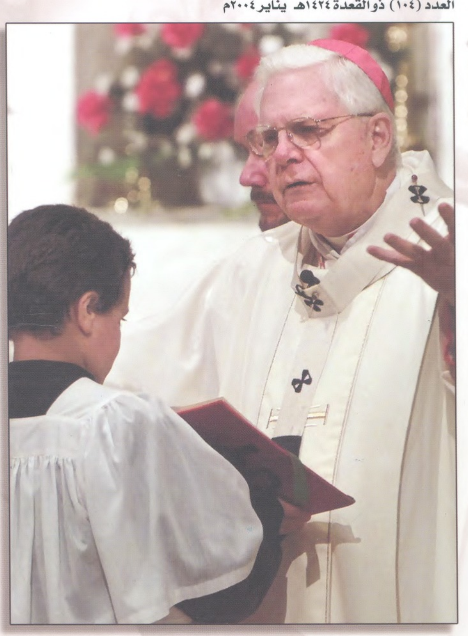
المعرفة

104

العدد (١٠٤) ذو القعدة ١٤٢٤هـ يناير ٢٠٠٤م



نيلسون مانديلا

سجنوه ٢٧ عامًا
ثم .. عفا عنهم!

الدراسات الثقافية

تجمع كل الاتجاهات
والتخصصات

الخيال العلمي

هل نذهب إلى الفضاء
عبر مصعد ؟!

مشاهدات في روضة أطفال يابانية

الفاتيكان:

لا يوجد فيها مدارس وتسيطر على ملايين المدارس!



حبر سائل يتدفق لآخر قطرة

خال من الزايلين والتليونين





الضغاط

Pentel®

د. التركي يخاطب قراء «المعرفة»

مسؤولية كل مسلم عن دينه

المسؤولية عنوان الشرف، ومعقد المجد، وعندما نتأمل نحن المسلمين مسؤوليتنا تجاه ديننا، ونحدد معالمها، فإن طريقاً موازياً تلوح لنا فيه معالم شرفنا وعزتنا، والتي لا تتحقق إلا بالتمسك بهذا الدين العظيم.

والفرق بين ما نؤمن به نحن المسلمين، وما يؤمن به غيرنا من مسؤولية: أن المسؤولية لدى المسلمين تتجلى حقيقتها الكبرى ونتيجتها المصيرية بعد الموت، وقد تكون لها نتائج في الحياة الدنيا بما ينتقم الله به ممن كذب وتهاون، وبما ينعم الله به على من التزم وأدى الأمانة.

فلنتمسك بديننا يعزنا الله، ونفز عند السؤال يوم القيامة لأنا سنتمسك «بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون».

عبدالله بن عبدالمحسن التركي

أمين عام رابطة العالم الإسلامي



مجلة شهرية تصدر عن
وزارة التربية والتعليم

المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد وزير المعارف صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز
وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

العدد (١٠٤) - ذو القعدة ١٤٢٤ هـ - يناير ٢٠٠٤م

إدارة النشر



ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

البند الأول : المواد المنشورة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة التربية والتعليم.

البند الثاني : تبويب الموضوعات والمقالات في هذه المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الفاتيكان	٦
يرفضوون مدارس الحكومة	١٨
الاندماج مرفوض	٢٢
مقال	٣٦
رؤى	٢٨
مكتبة الدعرفة	٤٠
دراسات	٤٤
آفاق	٥٠
إنترنت	٦٠
نحو الذات	٧٣
مواهب	٨٠
مؤتمرات	٨٦
حاسوب	٩٤
أعلام	٩٨
أفاق	١١٠
سبورة	١١٥
الفصول الأربعة	١٣٠
نوتة	١٤٤
وجهة نظر	١٤٦
ثرثرة	١٥٠
خيمة المعرفة	١٥٤
101	١٥٩
تكوين	١٦٠

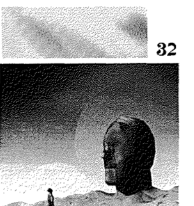
الحصة الأولى

أصبحت الجنادرية، هذه التظاهرة الثقافية البارزة، مفصلاً مهمًا في التوقيت السنوي، وسرت في حياتنا مسرى الحدث المهم والمنتظر، وللمواطن العربي النخبوي كذلك، وصارت بمهرجانها المتنوع حدثًا اجتماعيًا ينتظره الصغير والكبير، الرجل والمرأة، رجل الشارع والمثقف، وانقلبت بسبب نجاحاتها وخبراتها التنظيمية والتسويقية «عيدًا» آخر، يؤرخ به بعض الناس أحداثهم الصغيرة. فيقولون: سأفعل ذلك بعد الجنادرية أو قبلها وسأنتظر حتى يأتي موعد الجنادرية.. هذا على المستوى الفردي.

إذا كانت الجنادرية مهرجانًا ثقافيًا تشخص له أبصار النخبة المثقفة، فإنه في الجهة الموازية والمقابلة حدث اجتماعي كبير لعموم المواطنين والمقيمين، وهذا ما يرسخ أصالته وعراقته وبراعته في إرضاء جميع الشرائح الاجتماعية، وتحقيق شروط «المهرجان».

وبالحجم الذي كبرت فيه «حبيبتنا» الجنادرية، وذهبت في عقولنا وقلوبنا، كبرت مسؤولياتها في الحفاظ على تميزها حتى لا تلين أو تضعف في أحد جوانبها، وصارت المطالبات من عطائها في تزايد، فكلٌ في اختصاصه يريد من ضوئها إضاءة ولو بعمر البرق.

تتجذر هذه الباسقة أصالة، وتتفرع أطرافها حسب مستجدات الزمن وجديد الفكر والقضايا، وهذه هي المعادلة الصعبة التي حفظت في قلوبنا الجنادرية، التي سنظل نسقيها وتظللنا. المعرفة



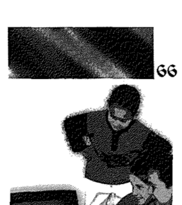
32

نحن والغرب ومسألة الصراع



40

الأدمغة المفخخة



66

الأطفال يشاهدون التلفزيون
٦ ساعات يوميًا!



146

سعيد السريحي :

لاعنو الحداثة بسطاء
أو عاطلون عن العمل !

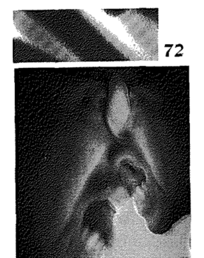
المراسلات

باسم: رئيس التحرير
ص.ب ٢٣٠٠٠٧ – الرياض ١١٣٢١
هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩
فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠

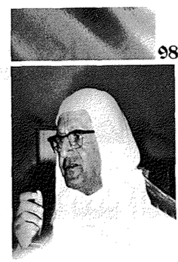
Letters should be sent to:
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
info@almarefah.com

الأسعار

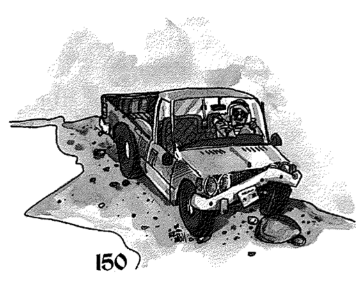
السعودية ١٠ريالات، الإمارات ١٠ دراهم،
الكويت ٨٠٠ فلس، قطر ١٠ ريالات،
البحرين ١٠٠٠فلس، سلطنة عمان ١٠٠٠ بيسة،
اليمن ١٢٥ ريالاً، سوريا ٦٥ ليرة،
الأردن ١,٢٥ دينار، لبنان ٣٠٠٠ ليرة،
مصر٥ جنيهات،السودان ١٥٠ دينارًا ،
المغرب ١٥ درهمًا.


72
اكتشف «شيطانك» الصغير!


86
مؤتمر «مهارات التفكير وتحديات القرن ٢١»


98
مالك بن نبي

فوق ظهر (جيب)
زيارة إشرافية


150

الاشتراكات

سعر الاشتراك داخل السعودية للأفراد (١٠٠) ريال وللمؤسسات (٢٠٠) ريال.
سعر الاشتراك للدول العربية ٥٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.
سعر الاشتراك للدول الأخرى ٦٠ دولارًا شاملاً أجرة البريد.

للاشتراك

الرياض: هاتف: ٤٧٢٧٨٥٨-٤٧٢٧٨٤٦
فاكس مجاني: ٨٠٠١٢٤٢٢٧٧

Subscriptions@rawnaa.com

للإعلان

الرياض:٤٧٢٧٧٩٢ - ٤٧٨٥٣٢٢ - فاكس: ٤٧٢٧٨١٨
جدة: ٦٤٢٦٧٧٨ - ٦٤٢٧٨٨٩ فاكس: ٦٤٢٨٧٠٠
Advertising@rawnaa.com

روناء للإعلان والتسويق

ص . ب ٢٦٤٥٠ الرياض ١١٤٨٦
ص . ب ٤٠٧٠٣ جدة ٢١٥١١

الوطنية للتوزيع

الفاتيكان: لا يوجد فيها مدارس وتسيطر على ملايين المدارس!

أسامة أمين. ألمانيا

يعتبرها البعض معقل الديانة المسيحية الكاثوليكية التي يتبعها أكثر من ٨٥٠ مليون شخص، وفي المقابل يسميها البعض الآخر«المافيا المقدسة». وفي حين يتصور البعض أن رجال الكنيسة هناك يقضون أوقاتهم في الصلاة والتعبد ودراسة الكتاب المقدس، يزعم البعض الآخر أنهم منشغلون بالتخطيط لكيفية التستر على فضائح الأساقفة والقسس في الولايات المتحدة وغيرها الذين ينتهكون أعراض الأطفال. وفي حين أعلن البابا استنكاره لقيام الولايات المتحدة بالهجوم على العراق، نراه في لقائه مع وزير الخارجية الأمريكي كولن باول عقب انتهاء الحرب يدعو بأن «يحفظ الرب أمريكا».

لعل هذه التصرفات المتناقضة هي التي جعلت عالم لاهوت وسياسة أمريكي يقول في كتابه الشهير (الفاتيكان من الداخل) «كان الباباوات دومًا قديسين وصعاليك في الوقت ذاته، محرضين على الحروب ودعاة سلام، إصلاحيين ومفسدين».

غريب أن يكون يوحنا بولس الثاني، هذا الرجل الواهن الصوت، الضعيف البنية، المنحني الظهر، المرتجف اليدين، واحدًا من أقوى الرجال في العالم، فالكل يعمل له ألف حساب. لا يستطيع أي حاكم في الغرب على وجه الخصوص أن يصرح على الملأ بأنه يعارض له رأيًا، فالبابا لا يناقش ولا يتباحث، بل يعطي تعليمات، وكلمته «مقدسة، ولا يعتريها قصور أو خطأ» كما يعتقد الكاثوليك. إذا أعلنت وكالات الأنباء أنه سيزور دولة ما، استعد الناس قبلها بأسابيع طويلة، وذهبوا بمئات الآلاف ينتظرون خطبته. وهو عبقري لغات، يتحدث الكثير من اللغات الأجنبية.

ولكن لندع القداسة التي يضفيها عليه أتباعه، لكي نتعرف على حقيقة



هذه الأسطورة وحتى لا يتهمنا أحد بالتحيز واللاموضوعية سنعتمد على مصادر مسيحية غربية فقط، في إطار حديث مع متحدث بلسان الفاتيكان، وعلى المعلومات التي ينشرها الفاتيكان نفسه في صفحته الرسمية، وعلى مؤلفات كتبها رجال دين مسيحيون كاثوليكيون، وتقارير إعلامية غربية لصحفيين متدينين عاشوا سنوات طويلة في الفاتيكان، وعرفوا بواطن الأمور فيه.

في البدء كانت الهضبة

الفاتيكان كلمة لاتينية معناها الهضبة. ويعتقد الكاثوليك أن الرب تكلم إلى بطرس «الرسول» - بزعمهم - وقال له إنه الصخرة التي يقوم عليها هذا الدين. ويستمد البابا مكانته من أنه خليفة بطرس، مما يجعله منزهًا عن الوقوع في الخطأ، حتى ولو ناقض العالم كله برأيه، وهو الأمر الذي لا يتوانى البابا يوحنا بولس الثاني عن القيام به من آن لآخر.

كانت الكنيسة الكاثوليكية في بداية انتشار المسيحية فقيرة أشد الفقر، وكانت الصلوات الجماعية تقام في بيوت الناس، وكان المحسنون يطعمون رجال الدين المعدمين، ثم بدأ الحكام ومعهم الناس في القرن الرابع في التبرع للكنيسة. ولم تقتصر التبرعات على الأموال فقط، بل شملت أيضًا أراضي أوقاف لتمويل أنشطة الكنيسة التي بدأت عندئذ في فرض ضرائب على المنتفعين بهذه الأراضي التي أصبحت مملوكة لها، والواقعة في داخل الدولة الإيطالية. واستغلت الكنيسة موت القيصر قسطنطين، وأعلنت امتلاكها لصك منه يعطيها الحق في إقامة دولة مستقلة بها، بعد أن كانت أراضيها قد اتسعت كثيرًا. وقد أثبتت كتب التاريخ أنه ما من شك في أن هذا الصك كان مزيفًا - ولنتخيل دولة تزعم القداسة تقوم جذورها على زيف!! - ولكن هذه الدولة استطاعت من خلال سلطتها الدينية توسيع هيمنتها على جميع أنحاء أوروبا، فأصبح المسيحيون في كل مكان يتبرعون لها، ومن لا وريث له كان يهب أملاكه للكنيسة. وشاعت التجارة بصكوك الغفران، بمعنى شراء أسهم في الجنة مقابل التنازل عن أملاك في الأرض.

وكان العصر الذهبي للكنيسة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، حيث زادت ممتلكاتها في كل مكان، ولكن تردت الأحوال في القرنين التاليين. وفي عام ١٨٧٠م قضت الحكومة الإيطالية الجديدة على الدولة الكنسية التي كانت مترامية الأرجاء، وقررت مصادرة غالبية الأملاك، من الأراضي وغيرها. ولكن أمكن التوصل إلى اتفاق في عام ١٩٢٩م بين البابا آنذاك وحكومة روما، ينص على تنازل البابا عن هذه الأراضي المصادرة، مقابل حصول الكنيسة على ٩١,٧ مليون دولار كتعويض عن ذلك، مع الاحتفاظ بالمساحة الحالية للفاتيكان البالغة ٤٤ هكتارًا فقط، وما فيها من مقتنيات جعلته يمتلك أكبر متحف في العالم، علاوة على أن يكون بابا الفاتيكان هو حاكم هذه الدولة المتنامية الصغر، إضافة إلى كونه أسقفًا لروما، والكثير من التسهيلات الأخرى، مثل عدم تحصيل رسوم على الصرف الصحي، وتحمل الدولة الإيطالية تكاليف المؤسسات الكنسية الكاثوليكية في روما بالكامل، وأحقية الكنيسة في جمع التبرعات، وإعفاء المواطنين من الضرائب على المبالغ التي يتبرعون بها، لتشجيعهم على القيام بذلك.

الفاتيكان دولة تزعم القداسة .. وصك أرضها «مزيف»!

البابا الحالي لا يناقش ولا يتباحث. بل يلقي تعليمات.



هياكل الدولة

تتكون دولة الفاتيكان من الميدان المحيط بكاتدرائية (كنيسة ضخمة) سانت بيتر، وكنائس أخرى مجاورة لها، علاوة على أكبر مجموعة متاحف متلاصقة في العالم، ومقار عمل البابا وإضافة إلى ذلك تتبع هذه الدولة بعض القصور الموجودة في روما، والمقر الصيفي للبابا في قلعة كاندولفو في الأراضي الإيطالية. والفاتيكان أصغر دولة في العالم، وترتيبها من حيث المساحة رقم ١٩٣ بين كل الدول، ولها سفراء في ١٤٥ دولة، ويكون سفيرها في الغالب عميدًا للسلك الدبلوماسي في هذه الدولة، ويجرى اختيار المرشحين لتولي منصب البابا من بعده من بين سفراء البابا هؤلاء.

ولا يحمل جنسية الفاتيكان سوى ٤٥٥ شخصًا، وتسقط الجنسية عن الشخص بفقدان عمله في هذه الدولة. ولكن هناك ١٦٤٠ شخصًا تقريبًا يأتون من الخارج للعمل هناك (غالبيتهم من إيطاليا)، ولكن لا يحق لهم تكوين نقابات عمالية، علمًا بأن الأجور متدنية مقارنة مع الوضع في إيطاليا، لأن الدولة لا تطالب المقيمين فيها بدفع ضرائب، علاوة على توفير مساكن مجانية لرجال الدين المقيمين هناك.

أما الرهبان، فلا يحق لهم امتلاك أية أموال، ولذلك يتسلم الدير الذي يتبعه أحدهم راتبه، ويستخدمه في تمويل احتياجات الدير بالكامل. ورغم وجود استياء من هذه الرواتب المتدنية، فإن هناك أكثر من ألفي طلب عمل تأتي سنويًا للفاتيكان.

وهناك محطة للقطارات فيها، بل وهناك نظام تأمين صحي مستقل، لكن لا توجد شرطة أو نيابة، ولا محاكم مدنية، بل يتولى القضاء الإيطالي البت في فض أي نزاعات. ورغم استخدام العملة الإيطالية في الفاتيكان، فإنه يضيف رموزًا خاصة به على العملات المستخدمة في التعامل بها داخل أراضي الفاتيكان. ويمتلك كذلك مرصدًا فلكيًا في ولاية أريزونا الأمريكية، به أحدث تليسكوب في العالم، وله مصلحة بريد مستقلة ومتميزة، ومحطات إذاعية بالكثير من اللغات، مسموعة في جميع أنحاء المعمورة، وصحيفة يومية، وفريق كرة قدم يضم العاملين في المتاحف وأفراد طاقم الحماية السويسري، والعمال الحرفيين وأعضاء نادي سائقي البابا. وهناك لغتان للتعامل الرسمي هناك، هما اللاتينية والإيطالية.

ويترأس الكاردينال أنجلو سودانو منذ عام ١٩٩١م سكرتارية البابا، وهي الجهاز التنفيذي لشؤون الدولة وتتولى السكرتارية المذكورة تنسيق شؤون مبعوثي البابا،

وتعادل مكانة الكاردينال سودانو منصب رئيس الوزراء في الدول الأخرى وهناك مسؤول عن حقيبة الخارجية، وآخر عن الداخلية، وثالث عن الشؤون العقائدية، وأحد عشر استشاريًا باباويًا.

وقد تقلد البابا يوحنا بولس الثاني - وهو البابا رقم ٢٦٤ في الكنيسة الكاثوليكية - هذا المنصب في عام ١٩٧٨م كأول زعيم روحي لها من خارج إيطاليا منذ ٤٥٥ سنة، واسمه الأصلي كارول فويتيلا، وهو بولندي من مدينة كاراكوفا الشهيرة.

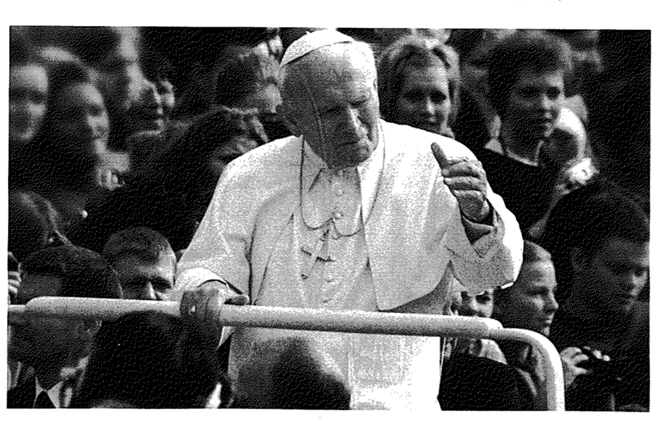
ومجلس الكاردينالات هو أعلى سلطة دينية في البلاد، وهي المخولة باختيار البابا من بين المرشحين، ويبلغ عدد أعضائه حوالي ١٨٣ عضوًا، من ٦١ دولة، لإيطاليا وحدها فيه أكثر من ٢٠ عضوًا، في حين ليس لقارة إفريقيا بأكملها سوى ١٣ عضوًا فيه، ولألمانيا ٧ أعضاء، وبولندا خمسة أعضاء، بل حتى البوسنة (المسلمة) لها عضو يمثلها في هذا المجلس. ويحق للعضو التصويت حتى يبلغ سن الثمانين، ثم يفقد هذا الحق، علما بأن البابا تجاوز هذه السن.

وليس للدولة قوات مسلحة، بل فرقة من السويسريين مشهورين بزيهم المزركش الذي صممه الفنان العالمي مايكل أنجلو، وهم غير قادرين على القيام بمهام عسكرية، بل يقتصر دورهم على صد الفضوليين عن الأماكن المحظورة على السائحين.

الفاتيكان والعالم الخارجي

من أطرف ما كتبه أحد العارفين بخبايا الفاتيكان أن المخابرات المركزية الأمريكية (سي آي إيه) تحسده على حجم المعلومات المتوفرة لديه، فالبابا لا يعين ممثلاً له في البعثة الدبلوماسية فحسب، بل لا يحصل رجل الدين الكاثوليكي على مرتبة أسقف إلا بأمر من البابا، ولذلك يأتمر جيش الأساقفة البالغ تعدادهم حوالي ٤٠٧١ أسقفًا، والذين يتبعهم ٤٠٠,٠٠٠ قسيس، بتعاليم البابا، وهم يوفرون له المعلومات التي يحتاجها عن أوضاع الناس بمنتهى الدقة، بل وفوق كل ذلك فإن الكنيسة الكاثوليكية ترى أن الرب لا يغفر الخطيئة إلا بعد الاعتراف لدى القسيس بها، وتتضمن هذه الاعترافات أخص خصوصيات كل إنسان.

ويؤكد المحللون السياسيون أن الفاتيكان أثبت قدرته على الوقوف أمام أعتى القوى العالمية، كما



فعل في مؤتمر السكان العالمي في القاهرة عام ١٩٩٤م، حينما حاولت إدارة الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون إضافة بند في البيان الختامي للمؤتمر يعطي المرأة الحق في الإجهاض والتوسع في تحديد النسل، فكوّن الفاتيكان جبهة قوية بالتعاون مع المؤسسات الدينية الأخرى، ونجح في إحباط هذه المحاولة. كما تعرضت قبلها إدارة الرئيس ريجان لمعارضة قاسية من الفاتيكان، عندما قررت الحكومة الأمريكية فرض حصار اقتصادي على بولندا، بعد إعلان وارسو آنذاك سريان قانون الحرب.

ولا يقام مؤتمر مهم في الأمم المتحدة إلا وحظي رأي الفاتيكان فيه باهتمام كبير، رغم أن مندوبي الفاتيكان يشددون على عدم وجودهم كممثلين لدولة الفاتيكان المحدودة المساحة وعدد السكان، بل كممثلين عن مئات الملايين من المسيحيين الكاثوليكيين على مستوى العالم، ولذلك أيضًا لا يعتبر سفراء البابا في الخارج ممثلين لدولة الفاتيكان، بل رسلاً «للكرسي المقدس».

كما لا يغيب البابا عن الساحة العالمية حتى في القضايا الشائكة، ويظهر ذلك في تصريحات الفاتيكان في شأن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، المؤكدة دومًا على ضرورة إقامة دولة فلسطينية، ورفضه لسنوات طويلة إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، حتى وافق على ذلك تحت ضغوط أمريكية في عام ١٩٩٣م.

وهناك إجماع بين المراقبين الغربيين على أن البابا أدى دورًا مهمًا في إسقاط الشيوعية في بولندا، من خلال دعمه لنقابة العمال المعروفة باسم (تضامن - زوليدارنوش)، برئاسة العامل البسيط ليش فاونسا، الذي أصبح بعد ذلك رئيسًا لبولندا، بل يرى البعض أن البابا ساهم في انهيار الاتحاد السوفيتي كله.

والبابا يوحنا بولس الثاني لا يقبل بغير الطاعة المطلقة، ولذلك استمر في دعم المعارضة البولندية، حتى بعد تولي حكومة ديموقراطية اختارها البولنديون الحكم هناك، لأنها لا تلتزم بتعليمات كنيسة روما بالدرجة الكافية، حين وافقت تحت ضغوط الناخبين على الإجهاض. وأراد البابا أن يكرر نفس التصرف مع حكومة أندريوتي الإيطالية المسيحية، وفكر في إنشاء حزب مسيحي آخر في روما يكون أكثر ولاء له، لكنه تراجع في آخر لحظة، خوفًا من ضياع أصوات الناخبين بين الحزبين، وتولي حكومة يسارية الحكم هناك.

يأتمر جيش الأساقفة البالغ تعدادهم حوالي ٤٠٧١ أسقفًا، والذين يتبعهم ٤٠٠,٠٠٠ قسيس، بتعاليم البابا، وهم يوفرون له المعلومات التي يحتاجها عن أوضاع الناس بمنتهى الدقة.

ولكن تأثير الفاتيكان ليس سياسيًا فحسب، بل يشمل العديد من جوانب الحياة التعليمية والثقافية والاجتماعية، والدينية بالطبع.

التأثير الديني

يرى الكثيرون أن نشأة البابا في دولة شيوعية جعلته لا يحترم الرأي الآخر، بل إنه لا يسمعه من الأصل، حيث يسد أذنيه وينشغل بأمر آخر. وهو لا يدلي بأحاديث صحفية، بل يتلو مجموعة تعليمات للمؤمنين بالمذهب الكاثوليكي، ولا يختار أساقفته إلا تبعًا لولائهم، بل إنه رفع أحد موظفيه الإداريين، كان مسؤولاً عن القسم الدبلوماسي، في سابقة غريبة من نوعها، إلى درجة أسقف.

وحينما حذره الكثيرون من أن تأكيده في كل مناسبة تحريم استخدام وسائل منع الحمل، حتى في مناطق إفريقيا التي يتفشى فيها الإيدز وغيره من الأوبئة التي تتسبب

في ولادة أطفال محكوم عليهم بالموت سلفًا، رفض الاستماع إليهم، حتى إن واحدًا من أكبر أساتذة اللاهوت الكاثوليكي السابقين الذين غضب عليهم البابا، وهو السويسري هانس كوينج، أعرب عن سخطه في أعقاب تصريحات البابا قائلاً: «لقد أثبت البابا أنه أكثر تطرفًا من الأصوليين من أتباع الأديان الأخرى».

كما تسبب رفضه استمرار الكنائس في منح الحوامل، اللاتي يرغبن في الإجهاض، شهادة بأنهن أجرين حديثًا مع القسيس حول دوافعهن لهذا التصرف، وهو الأمر الذي تشترطه بعض الدول الأوروبية قبل السماح للطبيب بإجراء هذه العملية، وكذلك إغلاق المراكز الكنسية الاستشارية للراغبات في الإجهاض - في جعل الكثيرات يعلن تركهن للعقيدة الكاثوليكية، وانفصالهن عن الكنيسة.

وهناك مجلات أسبوعية تصدرها الكنائس الكاثوليكية، تتضمن آخر أخبار البابا، وآراء الفاتيكان في تطورات السياسة العالمية، بحيث يوفر للمؤمنين بهذه العقيدة رؤية كنسية تؤثر على قارئها بلا شك، لأنها تكتسب نوعًا من القداسة، خصوصًا إذا امتزجت ببعض الاقتباسات من الكتاب المقدس.

وتتغلغل الكنيسة في جميع نواحي الحياة في الدول الغربية، فهناك مستشفيات كنسية، يعلق فيها الصليب في كل ركن - مما يجعل المسلمين يأنفون البقاء هناك - وتقوم فيها الراهبات بخدمة المرضى، ويمر القسيس بصورة منتظمة عليهم، يستمع إلى شكواهم، ويذكرهم بوجود الرب. وتبث أجهزة التلفاز المتوفرة في غرف المستشفيات من بين ما توفره من تسلية، برنامجًا كنسيًا طوال الوقت، علاوة على وجود كتاب مقدس في كل غرفة، وتوفير الكثير من الكتب الدينية في مكتبة المستشفى، والتي تعرض على المرضى لاختيار ما يريدون قراءته أثناء إقامتهم هناك.

الفاتيكان والتعليم

رغم أنني قرأت الكثير عن بغض الفاتيكان للصحافة، ورفضه أن يكشف للصحفيين شيئًا «لأنه يدرك أولاً أنه لا مصلحة له في كشف خباياه، وثانيًا لأنه يدرك أنهم لن ينصفوه، لأنهم سيقيسون تصرفات الفاتيكان بمقاييس دنيوية، لا تصلح للتطبيق في دولة دينية» أجريت اتصالاً مع متحدث باسم الفاتيكان، سألته عن وزير التعليم في الفاتيكان، فاستغرب من السؤال، ونبهني إلى أنه لا توجد مدارس هناك، بل ليس هناك تقريبًا أطفال في هذه الدولة التي يسكنها رجال دين، حرمت عليهم الكنيسة الزواج، وراهبات وهبن أنفسهن - حسب أقوالهن - للمسيح، ويعملن في خدمة البابا فقط، ولم يدل بأي معلومات إضافية في هذا الشأن.

وبعد الاطلاع على الكثير من الكتب عن الفاتيكان، اتصلت به مرة أخرى، وسألته عن الجهة المسؤولة عن تحديد المناهج الدراسية في مادة التربية المسيحية الكاثوليكية في العالم كله، فاعترف أنه الفاتيكان، موضحًا أن الفاتيكان يمارس هذا التأثير عن طريق الأساقفة الموجودين في كل دولة، والذين يتعاونون مع وزارات التعليم في هذه الدول لتحديد المضامين الدراسية.

ألححت في السؤال بأنني غير مقتنع بأن تتنازل الدولة عن سيادتها التعليمية، وتترك الأمر للأساقفة

دول الاتحاد الأوروبي تستثني الكنائس من الالتزام بـ«الدستور».

لا ضرائب.. ولا شرطة، و٤٥٥ شخصًا فقط يحملون الجنسية.

عن طيب خاطر، فكشف أن الفاتيكان يعقد مع كل دولة في العالم بها كاثوليك اتفاقيات، تنص على التزام هذه الدولة بتدريس العقيدة الكاثوليكية تبعًا للفهم الباباوي لها.

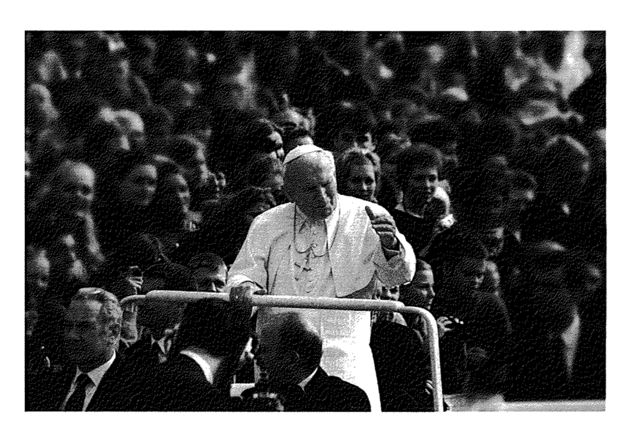
تعجبت من الدول التي تزعم العلمانية، وترفض تعيين معلمة اجتازت كل الاختبارات، وحصلت على تقديرات ممتازة في أثناء التدريب العملي، لأنها ترتدي الحجاب الإسلامي، زاعمة أن ذلك يؤثر على حيادية الدولة، لأنها لو قبلت بتعيين هذه المعلمة فستساهم في التأثير الديني على الأطفال، لأن للحجاب مدلولاً دينيًا. ورفضت المحكمة المرة تلو الأخرى طلب المعلمة المسلمة، حتى بلغ الأمر للمحكمة الدستورية العليا، (مثل حالة السيدة فريشتا لودين الألمانية الجنسية الأفغانية الأصل، التي عاشت طفولتها في المملكة العربية السعودية، حين كان والدها سفيرًا لبلاده هناك).

وأوضح المتحدث أن أول اتفاقية عقدها الفاتيكان مع الدولة البروسية - في أراضي ألمانيا حاليًا - كانت عام ١١٢٢م، وما زالت سارية حتى الآن، وتساءلت عن كيفية قبول حكومات الولايات في ألمانيا أن تتدخل الحكومة الاتحادية في مسألة التعليم التي تعتبرها ضمن سيادة كل ولاية، فكشف عن توقيع أول اتفاقية مع ولاية ألمانية في عام ١٩٣٣م مع ولاية بافاريا، علمًا بأن هذا التاريخ مرتبط بوصول الفوهرر أدولف هتلر للحكم. وهناك الكثير من الكتابات التي تتهم الكنيسة الكاثوليكية بالتعاون مع النازيين ضد اليهود، ومداهنة الكنيسة لهتلر، بهدف عدم تعرضها لسخطه، والحفاظ على سلامة أتباعها.

سألته عن الاختلافات بين المناهج من دولة إلى أخرى، وهل تراعي المناهج التعليمية الثقافة السائدة في كل دولة، فمثلاً تصبح المسيحية الكاثوليكية في إفريقيا، غيرها في أمريكا اللاتينية، غيرها في أوروبا، أم أن العقيدة تبقى كما هي دون تمييع مع الواقع السائد، فاستنكر السؤال مشددًا على أن العقيدة ثابتة، وأي تغييرات عليها يجعلها تفقد مصداقيتها، وتمحو عنها صفة الرسالة الربانية، لتصبح مسخًا بشريًا. وكانت بالضبط هي الإجابة التي أريدها، فسألته: لماذا إذًا تطالب كنيستكم الكاثوليكية، والأحزاب المسيحية التابعة لكم المسلمين بأن يتبنوا «إسلامًا أوروبيًا» يتفق مع الدساتير الأوروبية، التي تطالب بالمساواة بين الرجل والمرأة في الإرث.

كما يطالب الغرب المسلمين بإعادة صياغة الإسلام تبعًا للمفهوم الغربي، بإلغاء الحجاب لأنه دليل على التخلف والقبول بفصل الدين عن الدولة، وغير ذلك من مسخ للثوابت الإسلامية.

صمت المتحدث باسم الفاتيكان لحظة، وأدرك أنني أوقعته في فخ، فإما أن ينقض



كلامه السابق، ويوافق على أن تكون هناك مسيحية كاثوليكية إفريقية، وأخرى أوروبية، وآسيوية، وإما أن يضم صوته إلى صوتي بضرورة تراجع المؤسسات الكاثوليكية عن مطالبة المسلمين بما لا تقبله على دينها. ولكنه آثر أن يتعلل بأنه لا يعرف عن الإسلام ما يسمح له بالخوض في هذا الأمر.

فرددت عليه بأنه قد لا يعرف الكثير عن الإسلام، ولكنه من المؤكد يعلم ما يكفي عن دور المدارس المسيحية التبشيرية في دول المسلمين، بل بين الطوائف المسيحية الأخرى - يذكر أن هناك تقارير تشير إلى فقدان الكنيسة القبطية المصرية حوالي ١٠٪ من أتباعها الذين انضموا إلى الكنيسة الكاثوليكية، بفضل حملات التبشير للفاتيكان، الأمر الذي جعل البابا شنوده الثالث زعيم الطائفة القبطية في مصر (والتي تخالف عقيدة الفاتيكان بأنها تؤمن بأن المسيح ذو طبيعة لاهوتية فحسب، على عكس روما التي تؤمن بأن المسيح كان له طبيعتان ناسوتية ولاهوتية) يرفض المشاركة في استقبال البابا يوحنا بولس الثاني في أثناء زيارته إلى القاهرة في فبراير ٢٠٠٠ م -.

فقال إن دور الفاتيكان ينطلق من الكتاب المقدس الذي يطالب أتباعه بالخروج إلى جميع أرجاء المعمورة، لنشر هذه العقيدة، ولكن دور كنيسته يقتصر على جمع التبرعات، وتوزيعها على مختلف الجهات المسيحية الكاثوليكية المحلية التي تتولى هذا الأمر.

وعن المدارس التبشيرية التي نشطت في الدول الشيوعية السابقة، في كل من الاتحاد السوفيتي، والصين، وكوبا، خصوصًا منذ آخر زيارة للبابا في كوبا، صرح لي أحد المسؤولين الأوروبيين عن مساعدات التنمية في العالم الثالث، قائلاً إنه شاهد في إفريقيا أساليب تبشيرية قاسية، فالطفل يحصل على التعليم في مقابل اعتناقه هذه الديانة الكاثوليكية. ولما سألته كيف يوافق الأهل في هذه الدول على ذلك، وكيف توافق أصلاً الحكومات على ذلك، فذكرني بأنه حتى في أوروبا التي تزعم ضمان حرية العقيدة، فإن رياض الأطفال والمدارس الكاثوليكية لا تقبل طفلاً حتى يوقع الأهل - حتى ولو كانوا مسلمين أو من أتباع أديان أخرى، بأن ينتظم ابنهم أو ابنتهم في حضور حصة التربية الدينية المسيحية الكاثوليكية، والمشاركة في القداس في

الكنيسة، والاحتفال معهم بأعيادهم. ولما أعربت عن أسفي، نبهني أيضًا إلى أن المدرسة الفرنسية في الإسكندرية فصلت تلميذة لارتدائها الحجاب، ولم يستطع أحد أن يفرض على إدارة المدرسة التراجع عن قرارها، وكذلك ما نشرته مؤخرًا صحيفة «الحياة» من تصريحات لمسؤولين في الجامعة الأمريكية في القاهرة، يتأسفون على سماحهم مسبقًا بتخصيص قاعة في الجامعة لصلاة الطلاب، وعزمهم على إلغاء ذلك في المبنى الجديد، علاوة على منع دخول المنقبات إلى الجامعة.

توصلت إلى أن بصمات الفاتيكان واضحة، خصوصًا في قطاع التعليم، إذ إنه يتدخل - عن طريق الأساقفة -، حتى في اختيار معلمي ومعلمات مادة التربية الدينية. ومن حق الأسقف أن يلغي عقد أحد المعلمين إذا رأى عدم التزامه بتدريس العقيدة بالصورة الصحيحة. والغريب أن المحاكم المدنية لا تتدخل في هذا الأمر، لوجود بند في القانون ينص على أن للكنيسة خصوصيات لا تجعلها ملزمة بقبول شروط التعيين وإنهاء عقود العاملين لديها التي تسري على غير العاملين فيها. بل إن الاتحاد الأوروبي ينص في اتفاقياته على استثناء الكنائس من الالتزام بدساتير الدول الأعضاء فيه.

وقد حدث خلال السنوات الماضية إلغاء عقود معلمين ومعلمات رفضوا تصريحات الكاردينال الألماني يوزيف راتسنجر المسؤول عن شؤون العقيدة في الفاتيكان، بتاريخ ٥ سبتمبر ٢٠٠٠م التي قال فيها إن «الخلاص الرباني الحقيقي لن يتحقق إلا بالتبعية للكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي تتوفر لها دون غيرها الحقيقة المطلقة»، وطالب بالابتعاد عن «التسامح الخاطئ» في التعامل مع الأديان والمذاهب الأخرى.

ورغم محاولة البابا التخفيف من هذه التصريحات في ١ أكتوبر ٢٠٠٠م، بعد موجة السخط العارم على الفاتيكان، بقوله «إن الكنيسة الكاثوليكية هي صاحبة الحق في حقيقة المسيح، وليس باعتبارها صاحبة الحق الأوحد في الحقيقة»، فإن الفاتيكان لم يتورع عن طرد قسيس كاثوليكي في مدينة برلين مؤخرًا، لأنه اشترك مع قسيس بروتستانتي في قداس يجمع المسيحيين من المذهبين، وأخذ البركة من القس البروتستانتي.

في إفريقيا يمارس المبشرون سطوتهم باشتراط اعتناق المسيحية مقابل التعليم

كل هذه التصرفات تبين أن الفاتيكان يتمسك بصرامة بما يراه يتناسب مع عقيدته، دون مبالاة بما يراه الآخرون، ويسعى لنشر ذلك في المناهج التعليمية، ومن يرفض ذلك لا يستحق أن يكون ممثلاً لهذه العقيدة. وهو الأمر الذي ظهر بجلاء عندما قام الرئيس البرتغالي بزيارة إلى إيطاليا عام ١٩٩٧م، وأراد أن يلتقي هو وزوجته الكاثوليكيان البابا، ورغم الإعلان المسبق عن اللقاء، رفض الحراس السويسريون دخول قرينة الرئيس البرتغالي، لأنها الزوجة الثانية له، لأن الفاتيكان لا يسمح بالطلاق، ولا يمنح مباركته للزواج الثاني، مما دفع الرئيس البرتغالي للاكتفاء بالزواج المدني فقط. ودخل الرئيس وحده إلى البابا، وانتظرت زوجته في الخارج.

الفاتيكان بين المظهر والجوهر:

ويحرص البابا من آن لآخر على أن يخصص لقاءات للشباب فقط، حتى لا يفقدهم في خضم الحياة المعاصرة، وقد حضر احتفالات الألفية الثالثة حوالي مليوني كاثوليكي من جميع أنحاء العالم، كثيرون منهم من الشباب، ولكن أحد المعلقين الصحفيين أجرى الكثير من المقابلات مع الشباب المشارك في هذه الاحتفالات، وتوصل إلى أنهم يشعرون بسعادة بالغة في الحضور، لكنهم لا يأبهون بما يقوله البابا. وسأله أحد الشباب: هل تعتقد أن المعجبين بأحد المغنيين العالميين يفهمون نصوص

أغنياته؟ ولما رد بالنفي، قال: كذلك نحن الشباب، فإن الحضور إلى البابا يعني المشاركة في حدث له رونق خاص، لكننا لا ننصت إليه، ولن نعمل بما يقول، ولا يعنينا رأيه في شؤون حياتنا. وقالت فتاة إنها على يقين بأن السيدات اللاتي يأتين للاستماع إلى البابا يحتفظن في حقائبهن بحبوب منع الحمل، رغم تحريم البابا لها.

وقد توصلت دراسة على الطلاب الجامعيين في دول أوروبية إلى أن ٤٨٪ منهم يرون أن البابا أضر بالكنيسة بسبب مواقفه المتشددة، مقابل ٤٣٪ يرون أنه قدم أفضالاً كثيرة للكنيسة، وثبت من دعائم قوتها في الوقت الحاضر. أما بالنسبة للمجتمع الغربي بأكمله فتشير تقديرات الخبراء في الشؤون الدينية إلى أن عدد الذين يلتزمون بكلام البابا لا يزيد على ١٣٪ من إجمالي عدد الكاثوليك.

ومن جانبه عبر كاتب فرنسي علماني عن استغرابه الشديد، من أن هذا البابا «يطوف الدنيا شرقًا وغربًا، ولكنه يعود دون أن يعرف شيئًا عن العالم، لأنه يعيش في عالمه هو، ويرفض أن يكون متفتحًا، بل يصر على أن يكون مندوبًا للرب على الأرض، وحاكمًا مطلقًا بأمره». ودلل على ذلك بقيام البابا في عام ١٩٩٠م في زيارته لكيجالي عاصمة رواندا بالإشادة بدور المبشرين هناك، وكيف استطاعوا كسب الكثير من المسيحيين الكاثوليكيين الجدد، ولكن لم تمر شهور قلائل حتى اندلعت حروب طاحنة، تقاتل فيها أتباع الكنيسة الكاثوليكية الجدد، ولم يدفعهم اقتناعهم السطحي بتعاليم هذا المذهب إلى التراجع عن قتل الإخوة في العقيدة.

ويرى بعض المراقبين أنه منذ محاولة البابا السابق باول السادس والتي أكملها البابا الحالي يوحنا باول الثاني خوض معركة التطوير في إطار ما يعرف بـ(المجلس الفاتيكاني الثاني) والذي بدأ في عام ١٩٦٢م - ١٩٦٥م ليتواءم مع العصر، يجعل الفاتيكان يفقد الكثير من قداسته، فلجوؤه إلى إلغاء اللغة اللاتينية في القداس، واستبدل بدلاً عنها اللغة القومية، وهو ما جعل المسيحيين الكاثوليك لا يجتمعون على فهم القداس، عكس ما كان عليه الوضع في السابق.

وكذلك أدت محاولة استثمار أمواله في إطار بنك الفاتيكان إلى تعرضه إلى فضائح المؤسسات المالية الأخرى، من غسيل للأموال ومساعدة البعض على التهرب من الضرائب، كما حدث عام ١٩٨٤م عندما دفع الفاتيكان مبلغ ٢٤٤ مليون دولار لعملاء بنك أمبروسيانو، بعد أن أدان القضاء الإيطالي ٣٣ شخصًا في فضيحة الـ ١,٢ مليار دولار، ولكن الكاردينال المسؤول عن البنك في روما لم يتعرض للمحاكمة لتمتعه بالحصانة الدبلوماسية. وفي عام ١٩٩٣م صرح أحد الشهود في قضية رشوة حكومية بقيامه بغسل ٥٠ مليون دولار في بنك الفاتيكان. صحيح أن الفاتيكان برر تورط مؤسساته المالية في تلك الأعمال بعدم خبرة رجال الدين الذين يشرفون على هذه المؤسسات في القضايا المالية، ولكن

عندما قام الرئيس البرتغالي بزيارة إلى إيطاليا عام ١٩٩٧م، وأراد أن يلتقي هو وزوجته الكاثوليكيان البابا، ورغم الإعلان المسبق عن اللقاء، رفض الحراس السويسريون دخول قرينة الرئيس البرتغالي، لأنها الزوجة الثانية له، لأن الفاتيكان لا يسمح بالطلاق، ولا يمنح مباركته للزواج الثاني، مما دفع الرئيس البرتغالي للاكتفاء بالزواج المدني فقط، ودخل الرئيس وحده إلى البابا، وانتظرت زوجته في الخارج

وسائل الإعلام لم تعفه من المسؤولية. وقد توصلت تقارير حكومية إلى أن الفاتيكان يستغل مصرفه في تحويل الأموال لمؤسساته في الدول المفروض عليها حظر مثل كوبا حاليًا، وكما فعل مع بولندا عام ١٩٨١م حين أراد التملص من القيود التي فرضتها الحكومة الإيطالية، بهدف تطبيق قرارات الأمم المتحدة على وارسو.

ومن الطرائف التي تبين الهوة الكبيرة بين المظهر والجوهر، ما حدث عندما زار البابا المكسيك ذات الغالبية الكاثوليكية عام ١٩٧٩م، وهبط بطائرته الهليكوبتر على هضبة في منطقة معروفة بفقرها المدقع. أظهرت صور التلفزيون التي شاهدها الملايين في العالم كله هذا الزعيم الديني وهو ينزل من طائرته، وجموع الناس تهلل له، وتدعو له، وتطلب البركة، في مشهد مؤثر للغاية يجعل المتفرج يشعر بعمق إيمان هؤلاء الأشخاص السعداء المغتبطين بقدومه إليهم. ولكن أحد الصحفيين كشف الحقيقة، حيث صور أحد رجال الدين الذي كان يقف بالقرب من الطائرة، وهو يحرك يديه لهذه الجموع لتتحرك تبعا للإشارة المتفق عليها، وتحدث مع هؤلاء «المؤمنين الورعين»، فقالوا له إن رجال الكنيسة الكاثوليكية هناك قدموا لهم طعامًا وملابس ووسائل نقل جماعي، كما وفروا لهم إقامة في هذه المدينة من

وتكرر الشيء نفسه في كوبا بعد ذلك بعشرين سنة حين زارها البابا، ولم يمانع حاكمها الشيوعي فيدل كاسترو في أن يقيم البابا قداسًا تحضره الجموع، لأنه واثق أن اللغة التي سيتحدث بها البابا، رغم أنها إسبانية سليمة، لن يفهمها الناس الذين لم تسمع آذانهم منذ ثلاثين عامًا رجل دين يتكلم، ولم يدخلوا كنيسة منذ مولدهم، ولن يؤثر في قلوبهم التي فقدت الإحساس بالكتاب المقدس، خصوصًا أن الهدف الأول والأخير من هذه الزيارة بالنسبة لكوبا، كان كسر العزلة التي تفرضها عليها الولايات المتحدة.

إلى متى أيها البابا؟

رغم أن البابا يوحنا بولس الثاني قد بلغ الثالثة والثمانين من عمره، إلا أنه لا يتوقف عن القيام برحلات للعالم الخارجي، آخرها الرحلة رقم ١٠٠ في مطلع يونيو ٢٠٠٣م إلى كرواتيا، التي زارها للمرة الثالثة منذ استقلالها عن الاتحاد اليوغسلافي السابق عام ١٩٩١م، وجاءه أكثر من ١٠٠ ألف شخص من البوسنة والهرسك، وهنغاريا وصربيا، وهناك الكثيرون يتساءلون عن مصير البابا، خصوصًا أن نظراءه في مجلس الكاردينالات يفقدون الحق في التصويت عندما يبلغ أحدهم الثمانين من عمره.

عمومًا لو فعل ذلك فإنه سيعيد ما قام به سلفه قبل أكثر من ٧٠٠ سنة، عندما استقال من منصبه في ١٣ ديسمبر ١٢٩٤م، وقرر الاعتكاف في الدير حتى مات في ١٩ مايو ١٢٩٦م. وإذا لم يفعل فهناك شكوك في أن تظل الكنيسة محتفظة بمكانتها، وسيترسخ الانطباع الذي يؤكده الكثيرون أن «الغرب المسيحي»، لم يعد له وجود منذ الثورة الفرنسية، إلا في أذهان أشخاص لا يرون الواقع بعيونهم ■

الدولة لا تسمح ، وهم يرونها حرية رأي وعقيدة :

متدينون مسيحيون يرفضون إرسال أبنائهم إلى مدارس الحكومة!

خاص . المعرفة

في حين يبلغ عدد الأطفال الذين لا يدرسون في المدارس الحكومية ولا الخاصة في الولايات المتحدة، (لأسباب رفض دينية) حوالي مليوني طفل وشاب، فإن أوروبا حديثة عهد بهذه الظاهرة، ولا تعرف كيف تتعامل معها بما يحقق التوازن المطلوب بين فرض سلطة الدولة التي تنص قوانينها على إلزامية التعليم من ناحية، وبين توفير حرية العقيدة وحرية الرأي، التي تنص عليها الدساتير الأوروبية من الناحية الأخرى.

كانت قضية عائلة باور الألمانية محط اهتمام الرأي العام، فقد رأى الأب الذي يعمل ميكانيكي سيارات، وزوجته ربة البيت، أن تأثير المدرسة على ابنتهما الكبرى سلبي للغاية، فقررا قبل عامين عدم إرسال أطفالهما الخمسة إلى المدرسة، والاستعاضة عن ذلك بتحويل إحدى الغرف في بيتهم إلى صف دراسي، فيه طاولة للتلاميذ، ولوح للشرح عليه، ووسائل تعليمية ملصقة على الحوائط. يبدأ الدوام فيه من السابعة والنصف صباحًا، وحتى الساعة الواحدة بعد الظهر.

تلقت الأسرة الإنذار تلو الآخر من المدرسة، ثم من الدائرة التعليمية، مع التهديد بإحالة الأمر إلى القضاء، بل وبحرمانهما من حضانة أبنائهما، ونقلهم إلى مؤسسات الرعاية الاجتماعية، لكن السيد باور وزوجته لم يأبها بتلك التهديدات، وكانت المفاجأة أن القاضي اقتنع بوجهة نظر الأب، الذي برر منع أطفاله من الذهاب إلى المدارس بالأسباب التالية:

* تدريس نظرية النشوء والارتقاء لعالم الأحياء تشارلز روبرت داروين، التي تتناقض مع المفهوم الديني لنشأة العالم، كما خلقه الله.

* التوسع في تدريس الثقافة الجنسية بصورة مثيرة، بما يشكل حثًا مباشرًا على عدم العفة وصيانة الشرف.

* تلقين الأطفال عدم طاعة الوالدين، وإظهار الانصياع لرغبتهما كمظهر للتخلف والتأخر عن روح الحرية والاستقلالية وقوة الشخصية.

* تعريف الأطفال بالأديان الأخرى، وما يتضمنه ذلك من معتقدات مخالفة لصورة الرب في العقيدة المسيحية.

* التأثير السلبي لقرناء السوء من متعاطي المخدرات، والمدخنين، وشاربي الخمر.

ضياع هيبة الدولة

وخوفًا من فقدان الدولة لهيبتها، وانهيار إلزامية التعليم تدريجيًا، لم تكتف سلطات التعليم باستئناف الحكم أمام محكمة أعلى، بل قررت اتخاذ إجراء حازم تجاه أسر أخرى، كانت تحتمي داخل أحد الأديرة مع أطفالها البالغ عددهم ٢٣ طفلاً، وتتولى تدريسهم بعيدًا عن التعليم الحكومي. وفي خطوة غير مسبوقة أرسلت سلطات التعليم قوات الشرطة لتحاصر الدير، وتأخذ الأطفال عنوة، لتلحقهم بالمدارس القريبة.

توجه أولياء الأمور إلى تلك المدارس، واعتصموا في غرف المعلمين، وأخذوا يناقشونهم في أسلوب التدريس، وجعلوا النقاش سبيلهم لتعطيل المعلمين عن العمل، وفعلاً فشل المعلمون في ممارسة عملهم، وقرروا أن يخلوا بين أولياء الأمور وبين أبنائهم. ونظرًا لأن أسر هؤلاء من طائفة

تسمى «القبائل الاثنا عشر»، التي ترفض امتلاك شيء انتظارًا لقدوم الساعة، فلم يكن بوسع الدولة أن تحجز على أموالهم، وبقيت الغرامات التي فاقت المليون يورو غير مدفوعة، حيث إن ما يحصلون عليه من دخل يقل عن الحد الأدنى للمعيشة، وبالتالي لا يحق للسلطات اقتطاع شيء منه.

أمام القضاء من جديد

وفي محاولة جديدة من الأب للتأثير على المحكمة الثانية، كما فعل مع القاضي الأول، طلب مراجعة المناهج التعليمية في الكثير من المواد، للصفوف من الأول الابتدائي، وحتى الصف العاشر، لكن القاضية قررت قصر مراجعة الكتب على مادة الأحياء، وتوصل الخبراء الذين أعدوا تقريرهم عن هذه الكتب إلى وجود بعض الأمثلة عن الثقافة الجنسية تخدش الحياء فعلاً. إلا أن القاضية رأت أن قوانين التعليم في كافة الولايات تسمح بتقديم طلب للإعفاء من إحدى الحصص، علاوة على وجود مبررات أخرى تفرض إلحاقهم بالمدرسة، من أهمها:

* اكتساب الأطفال خبرات اجتماعية من خلال الاحتكاك مع نظرائهم، مثل كيفية حل النزاعات، وتعلم التسامح مع الآخرين الذين يدينون بأديان أخرى، أو يتبنون آراء فكرية مغايرة، علاوة على تعلم التفكير المستقل، والقدرة على اتخاذ القرارت النابعة من القناعات الذاتية.

* تحقيق مبدأ تساوي الفرص، من خلال منح الأطفال الحظوظ نفسها من التعليم، والحصول على الشهادات الدراسية نفسها، وبالتالي الحصول على الوظيفة أو الحرفة التي تتفق مع ميولهم، وليس بسبب عدم حصولهم على الخبرات والمعلومات المطلوبة.

أكبر معهد تعليمي في العالم لا يملك صفًا ولا أثاثًا

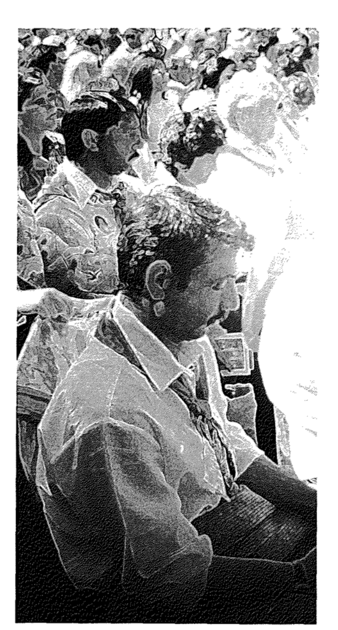
وأصدرت المحكمة في مطلع الشهر الماضي حكمها الرافض لاستمرار تعلم الأطفال في البيت، ولكن الأسرة لم تعبأ بذلك، وتوضح الأم - التي لم تحصل إلا على الشهادة المتوسطة- أنها قادرة على تدريس جميع المواد لأبنائها وبناتها حتى الصف العاشر، أي إلى نهاية فترة التعليم الإلزامي. موضحة أنها تعتمد في تدريسها على المنهاج الذي وضعته (مدرسة فلادلفيا) التي تتبع طائفتها الدينية.

ورغم أن هذه المدرسة غير معترف بها من الدولة، فإن مؤسسها ألكسندر بارتي - المعلم السابق، والبالغ من العمر ٦٨ عامًا، والذي تولى تدريس أبنائه الأحد عشر بنفسه - يعتبرها أكبر معهد تعليمي في العالم، حيث إن لها فروعًا في سلوفينيا، وبلجيكا، والمجر والنمسا وألمانيا، رغم أنها لا تمتلك أي مبان، ولا صفوف لها خارج البيوت.

ولكن مهمة هذه المدرسة أنها تختار المناهج المدرسية التي تتفق مع المفاهيم الدينية لهذه الطائفة المتشددة، ويتولى مدرسوها الإشراف على العملية التعليمية، من خلال القيام بزيارات متكررة للصفوف

رأى الأب الذي يعمل ميكانيكي سيارات، وزوجته ربة البيت، أن تأثير المدرسة على ابنتهما الكبرى سلبي للغاية، فقررا قبل عامين عدم إرسال أطفالهما الخمسة إلى المدرسة، والاستعاضة عن ذلك بتحويل إحدى الغرف في بيتهم إلى صف دراسي.

...وأصدرت المحكمة في مطلع الشهر الماضي حكمها الرافض لاستمرار تعلم الأطفال في البيت، ولكن الأسرة لم تعبأ بذلك، وتوضح الأم - التي لم تحصل إلا على الشهادة المتوسطة- أنها قادرة على تدريس جميع المواد لأبنائها وبناتها حتى الصف العاشر، أي إلى نهاية فترة التعليم الإلزامي.



المنزلية، للتعرف على مدى استيفائها للشروط المدرسية، وتعليم الأطفال كيفية الاعتماد على النفس في التعلم. ومن خلال الاختبارات الدورية عن طريق البريد أو الإنترنت، يتولى بارتي وزملاؤه تقييم مستوى الطلاب، وإصدار شهادات في نهاية كل عام، تحدد نتيجة الطالب من النجاح أو الرسوب، أما بالنسبة للمواد الدينية، فيكون تدريسها على يد رجال الدين الموجودين في المنطقة.

ويختلف الجو المدرسي في هذه الصفوف المنزلية عن غيرها بعدم ضياع وقت في الانتقال، وتقتصر الرسوم المدرسية على ٧٥ يورو كل عام عن كل طفل، نظير تسجيله في مدرسة فلادلفيا، و٣٠ يورو شهريًا أجرة المعلم الذي يتابع المستوى التعليمي. علاوة على أن اليوم الدراسي يبدأ بقداس للصلاة يستمر نصف ساعة، قبل بدء الدراسة، التي تجمع في الصف ذاته كل الإخوة من مختلف الأعمار، ليساعد بعضهم بعضًا، تحت إشراف الأم، التي يرى بارتي أنها «أقدر الناس على فهم أبنائها، وبناتها، وأقرب الناس إليهم، مما يسهل التعلم في هذا المناخ الأسري المألوف».

ويؤكد أن جميع أبنائه كانوا يؤدون اختبارات نهاية العام عن طريق الانتساب في المدارس الحكومية، وبعد انتهاء الصف العاشر، التحقوا بالمدارس الثانوية، «بعد أن اكتسبوا حصانة دينية وأخلاقية، لا تهتز»، وأنهوا دراستهم الثانوية ، قبل الالتحاق بالجامعة. ويشير إلى أنهم لم يتعرضوا لصدمات في صفوفهم كما يتوقع الكثيرون، بل اختارهم زملاؤهم ليكونوا المتحدثين بأسماء صفوفهم.

وإذا كان نظام التعليم في الغرب لا يسمح بالدراسة في البيت إلا لمن كان مصابًا بإعاقة بالغة تمنع الانتقال من المدرسة وإليها، فإن أتباع هذه الطوائف المسيحية المتشددة يرون أنه (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).

هل يحتذي المسلمون حذو هؤلاء؟

ورغم أن عدد هؤلاء الطلاب، من أبناء الأسر المسيحية المتشددة، لا يزيد على ٣٠٠ طفل من الذين فضلوا (مدرسة فلادلفيا)، على المدارس المعترف بها، فإن خبراء التعليم يتخوفون من أن يتخذ البعض أي موافقة لسلطات التعليم على هذا الوضع، سابقة يقاس عليها. فيطالب المسلمون مثلاً بسحب أبنائهم من المدارس الحكومية، في الوقت الذي تبذل فيه سلطات التعليم جهودًا حثيثة لتوفير معلمي تربية إسلامية للأطفال المسلمين، لتراعي احتياجاتهم الدينية بدلاً من انعزالهم عن مجتمعهم الجديد.

أبناء الجاليات المسلمة في أوروبا :

الاندماج مرفوض والانغلاق ممنوع!

فائزة محمد ولها . فرنسا

برغم حرص أولياء الأمور المسلمين على تعليم أبنائهم والحفاظ على هويتهم الإسلامية في المجتمعات الغربية، إلا أن هناك تحديات كبرى تواجههم في سبيل تحقيق تلك الغاية.

من أبرز تلك التحديات النفور لدى الأطفال بخصوص الإقبال على اللغة العربية وذلك لأسباب عدة منها:

أولاً: هذه اللغة بالنسبة إليهم ثانوية، لا يحتاجون إليها في حياتهم اليومية وهم يعيشون في المجتمعات الأوروبية، ويتحدثون لغتهم في الشارع وفي المدرسة وفي مختلف المؤسسات، ولا يستعملون اللغة العربية إلا في إطار عائلي ضيق، وهنا يكمن التحدي، ذلك أن تعلم اللغة العربية أساسي في نظر الوالدين باعتبارها وسيلة للحفاظ على الهوية العربية الإسلامية ولغة القرآن الكريم والوحي، ومدخلاً أساسيًا لفهم الحضارات والأمم، ولكنها ليست أساسية في نظر الأبناء لأنهم لا يعرفون قيمة هذا الأمر، خصوصًا إذا كانوا صغارًا. حتى إن حاولت إقناع طفلك بقيمة اللغة العربية وأهميتها، فلن تجد لديه الاهتمام والتفاعل، فكيف بالاقتناع التام بهذا الأمر؟ ربما يقتنع بذلك في سن الشباب، ويشعر بأهمية اللغة العربية، وقد يصل به الأمر إلى الندم على عدم تعلمها في صغره، وربما يتوجه باللوم لوالديه، وتحميلهما مسؤولية تقصيره.

وربما أيضًا تجد لدى الطفل القابلية للتحدث بلهجة البلد الذي ينتمي إليه والداه، أكثر من استعداده للحديث باللغة العربية الفصحى. وقد جرب بعض أولياء الأمور الاقتصار على استعمال العربية الفصحى في مخاطبة أبنائهم، ولكنها تبقى تجارب محدودة تتطلب جهودًا كبرى لأنها تواجه تحديات جمة من المحيط بما في ذلك دائرة الأصدقاء، حيث يغلب الحديث باللغة الأوروبية أو اللهجة القطرية أو المحلية.

ثانيًا: تعلم اللغة العربية يأتي غالبًا في وقت راحة الطفل ووقت فراغه، حيث يتوجه الطفل المسلم إلى دراسة اللغة العربية بعد الانتهاء من دراسته في نهاية الأسبوع، وبعد أن يكون أصيب بالإرهاق نتيجة إعداد دروسه في المدرسة الرسمية، في الوقت الذي يستغل أقرانه فترات الراحة في القيام بعدة أنشطة ترفيهية وتثقيفية مثل ممارسة رياضة معينة أو المطالعة في المكتبات المنتشرة في كل حي أو التجول للاطلاع على معالم تاريخية ومعارض علمية أو تعلم الإنترنت وغيرها من الأنشطة التي تجدد وتنمي طاقاته الفكرية والبدنية، ولا ننسى أن الأقران يتبادلون الحديث عن أوقات فراغهم وعن هذه الأنشطة، فيشعر الطفل المسلم بالروتين والملل مقارنة بأصدقائه غير المسلمين.

ثالثًا: المدارس العربية التي يتوجه إليها أبناء المسلمين في أوروبا. تتفاوت من حيث مستوى المنهج المعتمد في تعليم اللغة العربية. والطابع العام السائد هو الضعف بسبب اعتماد مدرسين غير متخصصين في الغالب، إلى جانب الضعف من حيث النظام والنظافة والذوق والسلوك غير المستقيم لدى بعض الأطفال الذين ينقصهم التوجيه التربوي.

ومن المفيد في هذا الإطار قيام المدرسة العربية بحملات توعية في أوساط أولياء الأمور الذين يغلب عليهم طابع الأمية، والذين لا يخول لهم مستواهم الثقافي فهم الإشكالات والتحديات المطروحة في الواقع. ويكون ذلك عبر تنظيم دورات تأهيلية لأولياء الأمور الذين تنقصهم القدرة على التوجيه، يقوم بها المشرفون على المدارس. وهنا يأتي دور النخبة المثقفة - خصوصًا ذوي الاختصاصات في علوم التربية وعلم النفس - في مساعدة أولياء الأمور عن طريق دورات تثقيفية وتوجيهية وتأهيلية، بالإضافة إلى ضرورة توفير مرشد اجتماعي أو مرشدة اجتماعية في المدرسة العربية لمساعدة أولياء الأمور الذين يجدون صعوبات في تربية أبنائهم وبناتهم. فبحكم الفارق في المستوى الثقافي، قد يحدث صراع بين الطرفين لعدم إمكانية التفاهم. وقد يتطور الصراع إلى طرد الابن أو هروب البنت من المنزل. فالمطلوب إيجاد حلول عملية ومساعدتهم على الخروج من هذا

الواقع المرضي.

ومن خلال ما تقدم، يعتبر الطفل المسلم المقيم في الغرب معذورًا إذا أبدى نفورًا من تعلم اللغة العربية، لأن هذه اللغة لا يحتاج إليها، وتكون على حساب راحته، ويتعلمها في إطار يختلف عن المدرسة الرسمية، خصوصًا في وجود مغريات تجذب الطفل أو الشاب إلى المدرسة الحكومية. ويجدر في هذا الصدد التوقف عند التحديات المتعلقة بارتياد أبناء المسلمين المدارس الرسمية في البلاد الأوروبية.

تحديات التعليم في المدارس الحكومية

هناك إشكالات وتحديات عديدة منها:

* مع تعلم اللغة، هناك تأثر بالقيم الغربية ذات الطابع المسيحي. فالإنسان معقد التركيبة، والطفل في المدارس الأوروبية لن يتعلم اللغة وحدها مجردة من كل ما تحمله من معان، ذلك أن اللغة تحمل في طياتها الثقافة والقيم والتاريخ والأخلاق. فله أصدقاء من كل الجنسيات بما في ذلك الأوروبيون الذين لهم عقلياتهم المتمثلة في أسلوب الحديث، والسلوك، والتصورات، ونمط التفكير، والعيش، والقيم، والأخلاق.

* الاختلاط الذي ليس له حد ولا فصل، خصوصًا في الأنشطة الرياضية. على سبيل المثال فإن السباحة التي تدخل ضمن البرنامج الدراسي في المدارس الرسمية تكون مختلطة وهذا يحرجني كأم، حتى وإن ما زالت ابنتي صغيرة، حيث وصل الأمر في بعض الحالات أن حجرة الملابس التابعة للمسبح كانت مشتركة بين الذكور والإناث، وهذا تحد كبير وضرب لقيمنا ومبادئنا وهويتنا وديننا الذي يأمر بالتفريق بين الأخ وأخته في المضاجع منذ صغر سنهما. فنحن نعلم أبناءنا العفة والحياء والآداب الإسلامية، وفي المقابل نجد التفسخ والميوعة خارج البيت وفي المدرسة. والوالدان مهمتهما القيام بعملية إعادة تثقيف مستمرة وانتباه شديد لآثار هذه التربية.

وترتبط بذلك مسألة الرقص المختلط التي تعتبر ظاهرة منتشرة، بل إنها تدخل ضمن البرنامج الدراسي الخاص بتعليم الأطفال فن الرقص، ويتم تطبيق ذلك في مناسبات يتم إحياؤها في المدرسة مثل أعياد الميلاد (الكريسماس) ونهاية السنة الميلادية. كما يمكن إدراج عادة «الكرنفال» في هذا الإطار، حيث يتم التنكر في ملابس ووضع أصباغ على الوجه. فهل هي مجرد وسيلة للترفيه، أم هي وسيلة لملأ الفراغ عن طريق التهريج؟ في تصوري هذه العادة لها خلفيات أبعد من الأهداف المذكورة فهي نوع من كسر للقيم وللحواجز، والخروج عما هو عادي والنمط السليم والمستقيم وفرصة للتنفيس وإطلاق المكبوتات. فباسم الحرية تفعل ما تريد ويمكنك أن تتمرد في اللباس وفي الحركات. والأدهى أن المعلمين والمدير - وهم القدوة - يكونون هم أيضًا متنكرين ويشجعون الأطفال على ذلك. فإذا كان هذا الأمر يتماشى مع تصوراتهم وتفكيرهم وقيمهم المسيحية، فإنه في رأيي لا يتماشى مع قيمنا الإسلامية.

* المدرسة هي إحدى مؤسسات المجتمع وصورة له، والمجتمع الأوروبي لا يقبل الآخر بسهولة، خصوصًا إذا كان مسلمًا مطبقًا لدينه، في ظل أجواء التخويف من الإسلام الذي تعمل جهات عديدة إعلامية وأكاديمية وسياسية على تشويه صورته وصورة المنتسبين إليه، وتكفي الإشارة إلى موضوع الحجاب، الذي تحصل باستمرار ضجات حوله. وبالتالي، كثيرًا ما تكون عادات المسلمين وشعائرهم التعبدية محل استهزاء داخل المدرسة الرسمية نفسها، سواء من أقران الدراسة أو من المدرسين، خصوصًا إذا كان هؤلاء متأثرين بطروحات أقصى اليمين. فمثلاً لا يجد التلميذ المسلم تفهمًا كاملاً من محيطه الدراسي بل يتم إشعاره بالنقص وبالإقصاء إذا رفض تناول اللحم غير المذبوح في المطاعم المدرسية في الحالات التي تصعب فيها

يعتبر الطفل المسلم المقيم في الغرب معذورًا إذا أبدى نفورًا من تعلم اللغة العربية، لأن هذه اللغة لا يحتاج إليها، وتكون على حساب راحته، ويتعلمها في إطار يختلف عن المدرسة الرسمية.

العودة لتناول الغداء في البيت. قد يتفهمون عدم أكل لحم الخنزير لأن اليهود لا يأكلونه، ولكن يحاولون إقناعه بأكل ما تبقى من أنواع اللحوم بدل تعويض ذلك بأشياء أخرى يتفق فيها مع أولياء الأمور كما يحصل في كندا مثلاً.

من ناحية أخرى، فإن الأطفال يميلون إلى التحدث عن أعيادهم ومناسباتهم السعيدة، وهو أمر طبيعي، فعندما يتحدث الطفل المسلم عن عيد الأضحى على سبيل المثال، يسخرون منه لأن ذبح الأضحية ممقوت وفيه تعذيب للحيوانات في نظرهم، حتى وإن حاول التلميذ المسلم إقناع أقرانه وربما مدرسيه أيضًا بأن الإسلام يحترم الحيوان، وأن الذبح يشترط فيه إراحة الذبيحة. وكذلك إذا وضعت البنت المسلمة الحناء وذهبت بها إلى المدرسة يسخرون منها، فتتولد بمثل هذه المواقف عقدة الشعور بالنقص لدى الطفل المسلم. هذه السلبيات في التعليم في المدارس الأوروبية الحكومية لا تعني أنه ليس هناك إيجابيات مثل احترام شخصية الطفل، والتركيز على الفكر الديكارتي القائم على المنطق وربط الأشياء بمسبباتها، وتعود التعددية الثقافية، وغيرها من الإيجابيات التي ما زالت تنقص المدارس الإسلامية.

ولكن المقلق أننا كأولياء أمور لا نستطيع أن نتحكم في تربية أبنائنا في الواقع الأوروبي الغربي، ليس لضعف فينا وعدم قدرة، وإنما بسبب ضغوط الواقع المسلطة علينا، وما دام أبناؤنا يحتكون بهذا الواقع ويتأثرون به، فيحصل لهم دخن في هويتهم ولغتهم وعقليتهم وتفكيرهم وقيمهم، ويصبحون مذبذبين من حيث تاريخهم الإسلامي وحضارتهم ودينهم. وفي الحقيقة، هذا الأمر مصدر معاناة للأبناء الذين يعانون انفصام الهوية والشعور بأنهم ينتمون إلى أقلية غير مقبولة، ومصدر قلق لأولياء الأمور حيث نشعر بالمرارة في قرارة أنفسنا، لأننا نغرس فيهم معاني العزة بالإسلام، دين نظافة الظاهر والباطن ودين العلم، وفي الوقت نفسه نحرص على نجاحهم وتفوقهم وذلك بمساعدتهم على فهم دروسهم التي تلقن أبناءنا التاريخ واللغة والحضارة الأوروبية المسيحية، ونحن مضطرون إلى أن نشرح لهم ذلك ونؤكد لهم تعلم كل هذه المواد لضمان نجاحهم، فيتشبع الأطفال بالثقافة الأوروبية بحذافيرها، وهذا ما لا يمكن تحقيقه بالمستوى نفسه باللغة العربية والدين الإسلامي بحضارته وتاريخه، وهي



أشياء عزيزة على كل مسلم، وإن كان لا يصلي ولا يطبق دينه، فهو يرغب في أن يتحدث أبناؤه العربية ولا يأكلون لحم الخنزير ويعرفون دينهم، ولكن بحكم العوامل المذكورة تبقى معرفة الأطفال والأجيال الصاعدة من أبناء المسلمين في أوروبا محدودة على مستوى اللغة العربية والدين الإسلامي، ولا تتحول هذه المعرفة إلى زخم فكري وثقافي عميق، لأنهم لم يتشربوها منذ صغرهم ولم ترافقهم في نشأتهم، وهنا مكمن الداء ومنبع الخطر.

ورغم التحديات، يظل الإنسان المؤمن واثقًا بالله سبحانه، وبإيمانه يجعل من هذه التحديات مصدر قوة وثبات على المنهج الرباني في تربية أبنائه وتعليمهم. والسؤال المطروح: هل سيأتي اليوم الذي يتحقق فيه ذلك الحلم الذي طال انتظاره، والمتمثل في إنشاء مدارس إسلامية منتظمة كامل الأسبوع تستوعب كل أبناء المسلمين وتقوم عليها كفاءات إسلامية، ومعترف بها رسميًا، حتى نضع حدًا أو على الأقل نقلل من ثقل التحديات؟

مدرستي الابتدائية



محمد بن أحمد الرشيد
وزير التربية والتعليم

عُرفت المدارس النظامية في منطقتي مكة المكرمة والمدينة المنورة في وقت مبكر جدًا؛ فالمدرسة الصولتية بمكة أنشئت عام ١٢٩٢هـ، والمدرسة الفخرية العثمانية عام ١٢٩٨هـ، ومدارس الفلاح عام ١٣٢٣هـ. وأصدر جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله مرسومًا يقضي بإنشاء أول مديرية للمعارف في أول رمضان ١٣٤٤هـ.

أما خارج منطقتي مكة المكرمة والمدينة المنورة فبدأ التعليم بأربع مدارس، إحداها المدرسة السعودية بالمجمعة التي تم إنشاؤها عام ١٣٥٦هـ.

إن لريادة هذه المدرسة وجوهًا عدة بالإضافة إلى عامل التقدم الزمني، أهمها: أنها حظيت بإدارات مخلصة تعاقبت عليها، ومن تلك الإدارات انطلق جلّ رجالها إلى ما هو أرحب، وأصبحوا من المرموقين في مجتمعهم السعودي.

كما حظيت بصفوة من المعلمين المتفانين في أداء واجبهم، هم الآخرون نخبة من المشايخ الأفاضل، غادرها معظمهم ليتسنم مناصب مرموقة في الدولة.

ووجه آخر لريادتها أن معظم من تلقى تعليمه الأساسي من أبناء تلك المحافظة في العشرين سنة التي تلت إنشاء المدرسة تخرج فيها، وحين

أستعرض في مخيلتي بعض الأسماء أجد أصحابها من اللامعين الذين كان لهم، ولا يزال، أثر كبير في النهضة التي حققتها المملكة.

أما أنا، أحد طلاب هذه المدرسة المباركة، فذكرياتي عنها حية في قلبي، مضمخة بعبير الماضي وشذاه - فأنا مدين لها - بعد الله - بما تعلمت، يوم كانت المدرسة المصدر الوحيد للعلم والثقافة والمعرفة. وحين أتذكر أيام طفولتي فيها وكيف كانت حالة مدارسنا أجد أمرين لزامًا عليَّ أن أنوه بهما:

الأول: ما تحلى به ذاك الرعيل من المعلمين من صفات أبوية تربوية جعلتهم يتفانون في تربيتنا وتعليمنا وإعطائنا كل ما عندهم من علم وخبرة في الحياة. لقد نالوا محبتنا وتوقيرنا نحن الطلاب، وكانوا محل تقدير المجتمع واحترامه.

الثاني: القفزة الحضارية الهائلة التي تحققت في ميدان التعليم: فمن بيت الطين يضمنا والحصير نجلس عليه، إن وجد الحصير، إلى أبنية جيدة، وتجهيزات حديثة، ووسائل تعليم متطورة، فالحمد لله على ما أنعم به، والدعاء لكل العاملين المخلصين بالأجر الجزيل.

إنني - في هذا المقال الموجز - ألبس ثوبين اثنين:

* ثوب الطالب الذي يذكر مدرسته بالحنين، ولا يزال يعلق صورة مبناها الطيني القديم حين كان طالبًا فيها على جدار منزله يريها لأهله وأولاده، وكلما شردت به الذكرى وعيناه تسبران حجب الماضي ليعيش بخياله أيامه التي لن تعود، ردد مع الشاعر قوله:

قد يهون العمر إلا ساعة
وتهون الأرض إلا موضعًا!!

* وثوب من كلف وشرف بتولي مهام وزارة التربية والتعليم، الوزارة الأولى التي تسهم في صناعة المستقبل عن طريق صناعة أبنائه، وفق توجيه الدين الحنيف ليكونوا قرة أعين أهليهم، ووطنهم، ويسهموا في بناء حضارة إنسانية رشيدة. وفي الوقت ذاته الذي يفخر فيه بتلك المدارس الرائدة التي خرجت رعيل البناة الأوائل فإنه يدرك أن تلك المرحلة كانت لا بد منها للوصول إلى ما نحن فيه من تقدم وتطور.

* إنها سنة الحياة في التطور، والحكيم هو الذي يستلهم منها العبر.

ومن وعى التاريخ في صدره
أضاف أعمارًا إلى عمره

سذاجة أو سوء نية أن تتهم مناهجنا :

الإرهاب بضاعة يهودية وغربية

حامد عبدالعزيز العبدالقادر - الدمام

إذا اكل مئة شخص على مائدة واحدة ومن طعام واحد واصيب واحد منهم بأعراض التسمم فإنه حين يدّعي أو يدّعى له بأن تسممه ناشئ عن الطعام فإن تسعة وتسعين من أدلة الإثبات (هي سلامة الباقين) سوف تكذبه، وبالمثل إذا كان واحد من مليون شخص من الملايين الذي تعرضوا لتأثير المناهج المدرسية السعودية خلال سبعين سنة ظهرت عليه اعراض الإجرام فإن مليون شخص إلا واحدًا يقدمون دليلاً قاطعًا على براءة المناهج من أن تكون سببًا في ظهور تلك الأعراض.

قبل سنوات حينما روعت اليابان وروع معها العالم بسبب حادث تفجير الغازات السامة في أنفاق القطارات، تلك الجريمة التي نفذت بوساطة مجموعة تميز أفرادها بحصولهم على مستوى جيد من الثقافة والتعليم وتعرضوا لتأثير المناهج الدراسية اليابانية في كل المراحل الدراسية لم يخطر لحكماء اليابان أو للحكماء الأجانب أن يتهموا مناهج الدراسة اليابانية بأنها السبب في تلك الجريمة، وإنما غاية ما انتهت إليه التفسيرات النظرية أنه قد يكون الفراغ الروحي هو السبب فيها.

وبالمثل حينما عانت أوروبا من العمليات الإرهابية (للألوية الحمراء) لم نسمع أن الحكماء الأوروبيين اتهموا مناهجهم الدراسية بأنها الدافع أو السبب.

وقبل حوالي ربع قرن عندما أقنع أحد القسيسين في الولايات المتحدة الأمريكية مئات من المواطنين بالانتحار الجماعي فتقاطروا على براميل العصير الممزوج بالسم يسقون أطفالهم ثم يشربون منها نظرت أمريكا إلى هذا الحدث على أنه من حالات الهوس الفكري لا تدعو الحاجة معه إلى مراجعة المناهج التعليمية والتثقيفية.

وهكذا نظرت أمريكا إلى حادث انتحار ٣٩ شخصًا جماعيًا من أعضاء (هفنز جيت) في سان دييجو عام ١٩٩٧م.

ومن الواضح أن الاتهام الذي يوجه الآن - وفي حالات الإجرام المشابهة - إلى المناهج الدراسية السعودية لا يقصد به مناهج الرياضيات أو العلوم أو اللغويات وإنما يقصد به منهج التربية الدينية، وهو اتهام مجمل وعام ومبهم فلا يخصص أو يعين أو يحدد جزءًا من هذا المنهج.

والمفترض أن هذا المنهج لا يخرج عن تعاليم الإسلام ولا تعاليم القرآن، فإذا كان مفهومًا أن يصدر هذا الاتهام عن غير المسلمين سواء عن جهل بالإسلام أو سوء نية تجاهه فإن صدوره عن مسلمين أمر محير وغير مفهوم!!

هناك حقائق يعرفها كل الذين يحمّلون المناهج الدراسية السعودية المسؤولية عن أعمال إرهابية يتهم بارتكابها سعوديون، ولكننا نوردها هنا للتذكير ولنضع في دائرة الضوء حقيقة هذا الاتهام سواء كان صادرًا عن غفلة وسذاجة أو صادرًا عن هوى وسوء نية:

* أول ما شاع مصطلح «الإرهاب» بمعنى المصطلح الإنجليزي TERRORISM في اللغة العربية، كان عندما يصف المتكلمون بالعربية العمليات التي اعتادت أن ترتكبها قبل إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين العصابات الإرهابية: هاجانا، وسترن، وارجون زفاي لئومي. وقد دخلت عصابة الهاجانا في تشكيل جيش الدولة اليهودية بعد إنشائها، وأصبحت العصابات الإرهابية وعملياتها في مجال الثقافة والتعليم - في الدولة اليهودية - تسمى حركات التحرير، وتسمى عملياتها المقاومة من أجل الاستقلال!!

ولم يكن من بين عناصر هذه العصابات الإرهابية مسلم ولا عربي بل كان كل عناصرها وافدين من أوروبا وأمريكا، وكان فكر هذه العناصر نتاجًا خالصًا للحضارة والثقافة الغربية.

* كان أول مبنى عام يفجر في الشرق الأوسط هو مبنى فندق كنج ديفيد بالقدس. وقد راح ضحية التفجير الإرهابي حوالي ١٠٠

نفس من شاغلي المبنى، ذلك في ٢٢ يوليه عام ١٩٤٦م، ولم ينسب تفجير المبنى إلى عربي أو مسلم وإنما نسب إلى عناصر من نتاج الغرب وثقافته. وقد اعتبرت هذه العملية فيما بعد عملية بطولية لأنها - كما قيل - سرعت إنشاء الدولة اليهودية، وصارت معلمًا في تاريخها.

وبالمثل فإن أول عمل إرهابي في الشرق الأوسط ضد طائرة مدنية ينتج عنه سقوطها وقتل عدد كبير من ركابها، هو إسقاط طائرة الخطوط المدنية الليبية على سيناء، بسبب ظن مرتكبي الجريمة أن أحد أعدائهم ضمن ركاب الطائرة. ولم يتهم عربي أو مسلم بهذه الجريمة الشنيعة، إذ كان معروفًا أن مرتكبيها مجرمون

كان أول مبنى عام يفجر في الشرق الأوسط هو مبنى فندق كنج ديفيد بالقدس. وقد راح ضحية التفجير الإرهابي حوالي ١٠٠ نفس من شاغلي المبنى. ذلك في ٢٢ يوليه عام ١٩٤٦م. ولم ينسب تفجير المبنى إلى عربي أو مسلم وإنما نسب إلى عناصر من نتاج الغرب وثقافته.

بين عامي ١٩٤٧. ١٩٤٨م كان لابد لوجود الدولة اليهودية من إخلاء فلسطين من سكانها الأصليين فقامت العصابات الإرهابية اليهودية بارتكاب مجازر وحشية لم يكن قتل غير المحاربين من النساء والصبيان والمدنيين يتم فيها عرضًا. وإنما كان يتم قصدًا وبتعمد. وذلك بهدف نشر الفزع والهلع في نفوس السكان لحملهم على الفرار وترك أرضهم ليستحلها الغزاة القادمون من أوروبا وأمريكا.

ينتمون إلى الثقافة والحضارة الغربية.

* بين عامي ١٩٤٧ - ١٩٤٨م كان لابد لوجود الدولة اليهودية من إخلاء فلسطين من سكانها الأصليين فقامت العصابات الإرهابية اليهودية بارتكاب مجازر وحشية لم يكن قتل غير المحاربين من النساء والصبيان والمدنيين يتم فيها عرضًا، وإنما كان يتم قصدًا وبتعمد، وذلك بهدف نشر الفزع والهلع في نفوس السكان لحملهم على الفرار وترك أرضهم ليستحلها الغزاة القادمون من أوروبا وأمريكا.

كان من بين هذه المجازر مجزرة دير ياسين في ١٠ أبريل ١٩٤٨م التي كتب أحد المسؤولين عنها مناحم بيجن (الحائز جائزة نوبل للسلام فيما بعد) يصفها في مذكراته المنشورة بقوله (كان لهذه العملية نتائج كبيرة فقد أصيب العرب بعد انتشار أخبار دير ياسين بالهلع فأخذوا يفرون مذعورين فلم يبق على أرض فلسطين سوى ١٦٥ ألف فلسطيني بعد أن كان عددهم يزيد على ثمانمئة ألف) ثم يقول (لولا دير ياسين ما كان يمكن لإسرائيل أن تظهر إلى الوجود).

* ليس هناك حاجة لسرد قوائم لا نهاية لها لعصابات الإرهاب والعمليات الإرهابية في أوروبا والولايات المتحدة، وإن ما سبق يكفي لإيضاح أن الإرهاب ليس اختراعًا عربيًا ولا إسلاميًا وإنما هو بضاعة مستوردة شكلاً ومضمونًا من الغرب المتمدن.

* قبل ثلاث سنوات كانت التقارير توضح أن ٢٥٪ من الجيش اليهودي العامل من خريجي المدارس الدينية، وتتنامى هذه النسبة باطراد، والكل يعرف طبيعة مناهج هذه المدارس.

وفي الولايات المتحدة يعتبر المذهب الديني الأسرع نموًا وانتشارًا هو المذهب الذي يؤمن أتباعه بأن وجود الدولة اليهودية في فلسطين وبناؤها المعبد اليهودي للمرة الثالثة، شرط سابق لعودة المسيح الثانية والتي تأتي بعد سبع سنوات من المحن والحروب، وبعد وقوع معركة أرمجدون في فلسطين التي سيقتل فيها مائتا مليون نفس، ويستأصل الكفار (المسلمون)، ويمتد ميدانها لتبلغ نهايته مائتي ميل عن القدس!!

ويعتقد أتباع هذا المذهب أن من واجبهم العمل على تسريع الأحداث، ويعتقد القادة في المذهب أن مجرى الأحداث سيضمن أن يكون للسلاح النووي وصواريخ كروز فيها دور فاعل وحاسم.

يقول جيري فالويل أحد قادة المذهب المرموقين إن

أتباع المذهب يبلغون سبعين مليونًا من السكان. أما المسح الذي أجرته جامعة أكردن الأمريكية عام ١٩٩٦م فيظهر أن ٣١٪ من السكان المسيحيين البالغين في أمريكا أي اثنين وستين مليونًا يوافقون أو يوافقون بقوة على عقيدة أن العالم سينتهي بمعركة أرمجدون (في فلسطين) G.HALSELL,FORCING GOD'S HAND, 1999P.18.

والسؤال: هؤلاء الملايين وأفكارهم نتاج أي مناهج تعليمية هم؟

* لمزيد من الإيضاح لوزن مدى معقولية اتهام مناهجنا، من المفيد أن نذكر هذه الحقيقة أن أهم كتاب مدرسي في مناهجنا هو «القرآن الكريم» ولا أعلم أنه يوجد كتاب مدرسي في أي منهج تعليمي في الدنيا يتضمن النهي على سفك الدماء والإفساد في الأرض والتنفير منه، في أكثر من مئة وعشرين موضعًا، كما هو في القرآن الكريم.

* تضمن القرآن الكريم في أكثر من ثلاث مئة موضع منه تفصيل وإيضاح منهج الحكم على الآراء والأشياء والأشخاص.

وقد تنبه لهذا علماؤنا السابقون فكانوا على وعي كامل به، علمًا وعملاً. وتضمنت كتبهم إيضاحه والدعوة إليه والتنبيه إلى أهميته في مجال العلم والسلوك. ويتلخص هذا المنهج في وجوب أن يرتكز الحكم على عنصرين:

أ - تحري الحقيقة بمعنى أن يبذل المسلم غاية ما يستطيعه كإنسان للوصول إلى الحقيقة فلا يبني على الظن أو الانطباع أو على معلومات مبتسرة، ويطلق علماؤنا السابقون على هذا العنصر اصطلاح «العلم».

ب - الموضوعية وعدم التحيز، ويطلق عليه علماؤنا اصطلاح «العدل».

في ضوء ما سبق، وبعد الوعي بأن سلبيات الابتعاد عن التفكير العقلاني كما يفعل (حكماؤنا) من بعض الكتاب في اتهامهم لمناهجنا الدراسية لا تقتصر على الضلال الفكري بل إن له آثارًا سلبية شديدة الخطورة منها:

أ - الاستسلام لتفسير الحدث على أساس وهمي والاقتناع بهذا التفسير يصرف أنظار المهتمين عن البحث عن الأسباب الحقيقية للحادث وكيفية التعامل معه.

ب - خطورة أن تتحول الفكرة إلى مسلمة بديهية مع شيوعها وكثرة ترديدها - وفق الطبيعة البشرية.

ج - ربط مثل هذا الحدث الإجرامي بالمناهج والعمل على تأكيد هذا الارتباط في أذهان الناس لن ينتج عنه فقط التشويه الظالم للمناهج بل تأنيس مثل هذا الحدث وإيجاد مبررات قبوله ما دامت عقيدة الناس أن المناهج مبنية على أسس دينية موافقة أو غير مخالفة للقرآن والسنة، ولقواعد الإسلام الأساسية.

وإذا كان (حكماؤنا)، أتوا من الغفلة والسذاجة، فإن أهداف الآخرين الشريرة والخطيرة لا تخفى على (حكمائنا).

ولا يعني كل ذلك الدعوة إلى الجمود والاستغناء عن مراجعة المناهج وتقييمها وتطويرها، بل إن هذا الأمر مطلوب على الدوام والحاجة إليه مستمرة، وفيما يتعلق بالمناهج الدينية فيجب ألا يكل المربون ولا يملوا من إعادة تقويمها وتطويرها بهدف تقويتها لتحقيق أهم أهدافنا وهو تنمية صفة التقوى في قلوب طلابنا، ورفع درجة استعدادهم للبذل في سبيل البر والعمل الصالح، وتدريبهم على تطبيق المنهج القرآني للحكم على الآراء والأشياء والأشخاص.

نحن والغرب ومسألة الصراع

عبدالله علي العليان . عمان



* كاتب وباحث عماني .

لا تزال بعض الأوساط السياسية المقربة من مراكز صناعة القرار فى الولايات المتحدة تطلق مقولة صراع الحضارات وصدامها التي اطلقها صامويل هنتنجتون في القرن الماضي وأن الاسلام هو العدو الحقيقي للغرب...إلخ. مستفيدة من أجواء النقد لسياسة الولايات المتحدة فى العالم العربي بسبب انحيازها المطلق لإسرائيل، وإصرار هذه الأوساط على ما تسميه بحملة الكراهية ضدها، وضرورة فرض الديموقراطية وحقوق الإنسان وتغيير مناهج التعليم في العالم العربي، حيث إنها - كما يقولون - تغذي الإرهاب والعنف عند العرب والمسلمين.

ويرون أنه ما لم يتم تطبيق هذه المضامين فإن ما طرحه هنتنجتون يعد طرحًا صحيحًا فى إشكالية الصراع بين الإسلام والغرب فى ظل غياب القيم الغربية فى الديموقراطية والليبرالية وغيرها من مضامين التسامح والانفتاح السياسي والفكري.

وعندما أصدر البروفيسور (صموئيل هنتنجتون) أستاذ العلوم السياسية ورئيس أكاديمية هارفارد للدراسات الدولية والإقليمية كتابه الجديد: (صراع الحضارات وإعادة وضع النظام الدولي) توقعت الأوساط السياسية والأكاديمية أن يعيد البروفيسور النظر في أفكاره من خلال أطروحاته التي كتبها في مجلة (فورين أفيرز) ١٩٩٣ (الصدام بين الحضارات) والتي كانت بحق الشرارة الأولى لفتح هذا الملف، وربما الصعوبة في إغلاقه أيضًا، والسبب الأقوى أن ما طرحه يعد أخطر ما أثير بعد انتهاء الحرب الباردة في هذا القرن.

وكان من المفترض أن تتم المراجعة بطريقة عقلانية وواقعية بغض النظر عن حاجة بعض المؤسسات في الغرب لمثل هذه الأطروحات وترويجها، والأسباب متعددة ومتوافرة وفق المنظور الاستراتيجي القائم، لأن ما قيل في هذا الكتاب يعد خطرًا بكل المقاييس، سواءً وافقناه فيما طرحه من آراء وتحليلات أو اختلفنا معه.. فالأهم أن كتاب البروفيسور هنتنجتون يسهم في تأجيج الصراع المفترض وإعادة طرح العداوات القديمة المدفونة بمفاهيم ونظريات جديدة وافتراضات قد لا تكون صحيحة في الواقع، لكنها ربما تجد من يصغي لها في ظل التوتر والتنافس في وقت تحتاج الإنسانية إلى التعاون والتعايش والتماسك والوئام.

ومن الافتراضات والاستنتاجات التي تدور حولها أطروحة البروفيسور (صموئيل هنتنجتون) هي المخاطر المتوقعة على الغرب من التحالف الإسلامي الكونفوشي المقبل وتهديده للمصالح الغربية وقيمها وسلطتها، وأن نهضة الصين الاقتصادية ستكون أكبر حدث مهدد للاستقرار بعد انتهاء الحرب الباردة .. لماذا؟

يقول هنتنجتون: أظهر التاريخ أنه كلما تطورت الدول من الناحية الصناعية أصبحت أكثر قوة ونفوذًا وأحيانًا تصبح لهذه الدول أطماع توسعية وإمبريالية.. ويبدو من المحتمل (لي) أن ترغب الصين في تأكيد نفسها في هذا المجال، فخلال ألفي عام ظلت الصين قوة مسيطرة في شرق آسيا، ولكن منذ عام ١٨٥٠م تفوقت عليها اليابان ودول الغرب

ولذلك يشعر الصينيون بالذل والهوان، ومن الطبيعي أنهم يريدون استئناف ما يرونه كمكانهم الطبيعي في العالم، وأن الحضارات الكونفوشية والإسلامية تتحدث عن الغرب باعتباره الخصم الرئيس لها.

وعلى الرغم من عدم تماسك هذه الاستنتاجات فإن (هنتنجتون) يود من خلالها أن ينبه الغرب ومراكز النفوذ ومؤسسات صناعة القرار إلى أن هناك قوى صاعدة تحمل مخزونًا حضاريًا وتاريخيًا عريقًا، وإذا ما توطدت أركانها اقتصاديًا واستقرت سياسيًا فإن هذا هو الخطر المحدق بالغرب وثقافته (الكونية) فالغرب لا يريد أن يتنازل عن مكانته وتفوقه وريادته، وبالتالي فإن الافتراضات التي وضعها هنتنجتون ليست صحيحة من الناحية التحليلية الاستقرائية للواقع والتاريخ، بل إن ما قاله هو إعادة (شحن بطارية) الغرب الروحية التي بدأت في النفاد كما يعتقد البعض ولذلك فإن مقولات (الصدام المقبل) قد تعني أن شيئًا ما ينتظره، وما إذا كان باستطاعة الغرب أن يقود الحضارة في القرن القادم أم لا؟ وهذا أيضًا يقود إلى افتراضين:

ـ أن مراكز القرار فوجئت بصدور الكتاب الذي أصدره فرانسيس فوكوياما (نهاية التاريخ وخاتمة البشر) الذي قال فيه ما خلاصته أن النظام الليبرالي هو أقصى ما يمكن أن يبلغه المجتمع السياسي.. فالديمقراطية الليبرالية انتصرت ولن ننتظر الجديد بعد الآن، فهذا القول وإن كان يدعو إلى الفخر والزهو ببلوغ النظام الرأسمالي الحر انتصاره في الحرب الباردة بعد انهيار الماركسية، إلا أن هذا الطرح قد لا يفرح مؤسسات صناعة القرار في الغرب التي يهمها افتعال الصراع وافتراض الصدام القادم، وهذا ما أتت به أطروحة (صدام الحضارات) للبروفيسور هنتنجتون في ١٩٩٣م.

ـ أن يكون التخوف الغربي في محله، والسبب أن تصاعد بعض الحضارات تقنيًا وثقافيًا ربما يعني أن الغرب سيتراجع عن الصدارة والمكانة الدولية، وهذا نذير غير سار للحضارة الغربية التي تعاني في الأساس التراجع الروحي والأخلاقي، وهذا ما قال به بعض المفكرين والسياسيين بينهم الأمير تشارلز في محاضرته في (ويلتون بارك) بلندن التي دعا فيها إلى استمداد العون من تراث الإسلام في هذا الخصوص.

والإشكال القائم الآن هو التخوف من الانتقام مما فعلته الحضارة الغربية بالحضارات والثقافات التي أخضعتها لهيمنتها وهو ما اعترف به (هنتنجتون) عندما قال: ابتداء من سنة ١٥٠٠م بدأ التوسع الضخم للغرب مع جميع الحضارات الأخرى، وقد تمكن الغرب في أثناء ذلك من الهيمنة على أغلب الحضارات وإخضاعها لسلطته الاستعمارية، وفي بعض الحالات دمر الغرب تلك الحضارات.

إذًا هناك شعور بالذنب في الغرب يقابله شعور آخر مما قد تفعله هذه الحضارات في حالة صعودها أو تفوقها أو نديتها مع الغرب، وهو اعتقاد لا مبرر له على الإطلاق أو على الأصح اعتقاد وهمي تبريري لكوامن نفسية ذاتية في طبيعة الغرب الذي يؤمن بقضية (الصراع) حتى مع نفسه حيث ظل يعاني عقدة (الصراع) بين مثاليته التي يؤمن بها ومركزية حضارته وبين الواقع الذي يعيشه..

والأخطر في أطروحة هنتنجتون كما نعتقد هي تلك الرؤية الأحادية للاختلاف، حيث يرى أن الاختلاف الثقافي دليل الانقسام والتصارع وهذه

والأخطر في أطروحة هنتنجتون كما نعتقد هي تلك الرؤية الأحادية للاختلاف . حيث يرى أن الاختلاف الثقافي دليل الانقسام والتصارع وهذه للأسف نظرة شمولية يفترض أن لا تقال من الغرب الديمقراطي العقلاني . بحكم أن طرحه الذي يرفعه يؤكد أهمية التعددية والاختلاف والتنوع بين الحضارات الإنسانية

للأسف نظرة شمولية يفترض أن لا تقال من الغرب الديمقراطي العقلاني، بحكم أن طرحه الذي يرفعه يؤكد أهمية التعددية والاختلاف والتنوع بين الحضارات الإنسانية ، وإذا ما نظرنا نظرة فاحصة إلى تاريخ الحضارات ونشأتها وجدنا أن التعدد والاختلاف سمة عامة في أغلب الحضارات الإنسانية عدا محطات قليلة في فترات الانحطاط والتراجع .

لكن عندما جاء الاستعمار إلى الكثير من بقاع العالم استعمل ورقته الرابحة عند الاحتلال من خلال (فرق تسد)، حيث عمل على وتر الاختلاف وتناقضاته، والتمايز بين الشعوب لتأليب الإثنيات والمذهبيات وحتى الديانات بعضها على بعض، بهدف استمرار احتلاله البغيض، وهذا في إطار الحضارة الواحدة. أما بالنسبة للحضارات المختلفة، فإن صراعها كان لأسباب اقتصادية أو سياسية ولم يكن الاختلاف الثقافي المبعث الأول للصراع، حتى الحروب الصليبية لم يكن أساسها الاختلاف الديني، كما يعتقد البعض وإن كانت حملت اللافتة الدينية، بل إن الدافع الأول لتلك الحروب كان سياسيًا واقتصاديًا بغض النظر عن الكلام الكثير في هذا الجانب الدقيق والذي يجب أن يوضع في إطاره التاريخي الصحيح.

لكن هنتنجتون كما نرى لا ينظر هذه النظرة الواسعة للحضارات والثقافات الإنسانية، بحكم رؤيته الأحادية وأحكامه المسبقة أو المدفونة، وإن كان أعطاها البعد الاستراتيجي والتخطيط المستقبلي. واستنتاج هذه الفرضية الشمولية لصدام الحضارات والهويات واختلافها الفارق وانقسام الثقافات وتقاطعها.

ولا شك أن الحضارات كيانات ثقافية ضمن عناصر أخرى تدخل في تركيبتها الفكرية والثقافية، لكن التمايز الحضاري والاختلاف الثقافي والديني واللغوي، لا يعني بالضرورة الصدام والصراع، إنما العناصر الأهم للصراع والتصادم المصالح السياسية والاقتصادية والاستراتيجية التي تسهم في توظيف هذه التمايزات والاختلافات المصلحية، لكن ما قيل في هذا الصدد عن الصدام الحضاري والثقافي مجرد لافتة أو غطاء لستر المصلحة أو الحاجة الأخرى غير المعلنة، بما يستتبعها من هيمنة

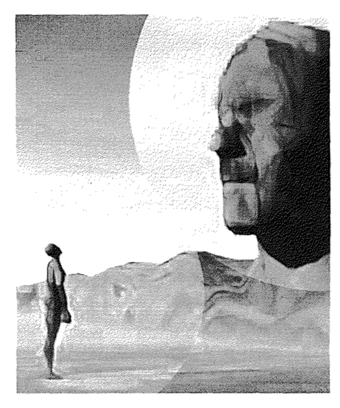


وسيطرة و إن وضع تحت شعار الخطر القادم من الهويات والثقافات المعادية للغرب وحضاراته... إلخ.

صحيح أن صناع القرار في الغرب يقولون إن الإسلام دين التسامح والسلام، لكن هذا القول لا يستقيم ودرجة العداء في وسائل الإعلام والمؤسسات الاستراتيجية في الغرب، على الرغم من أن بعض هؤلاء الذين يتهمون بالإرهاب الآن لا يمثلون الغالبية في المجتمعات العربية المسلمة، إلا أن بعض الدوائر المؤثرة في الغرب ومنذ عقود عدة أعطتهم دعاية أكثر مما ينبغي وسلطت عليهم الأضواء بطريقة تبعث على الاستغراب، وهذا ربما يؤكد ما تطرحه بعض القوى في الغرب في إطار البحث عن عدو وإخراجه إلى السطح، لتثبت بالتالي نظرية العدو المفترض كما جاء في أطروحة «صدام الحضارات»، ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن الخطر الإسلامي والتهديد المقبل للحضارة الغربية، وهذا ما تبرزه الأحداث المتلاحقة والمتتابعة

منذ وقوع الزلزال السوفييتي وتداعياته في القرن الماضي، حتى وقت التفجيرات في نيويورك وواشنطن.

وقد أكد هذا المنظور الاستراتيجي في قضية البحث عن عدو مفترض العميد السابق لجامعة نيس الفرنسية «روبير شارفان» عندما قال : إن رؤية صدام الحضارات تفترض حاجة بعض الدول إلى خلق عدو وهمي أو فعلي يكون بمثابة «كبش فداء» تتحدد مهمته في تبرير المتاعب الداخلية لتلك الدول والتمويه على تناقضاتها الفعلية.



فقد لعبت في هذا الإطار مقولات «التهديد السوفييتي» و«الحرب الباردة» و«إمبراطورية الشر» و«مواجهة الشيوعية» دورًا مهمًا في تبرير المتاعب الاقتصادية والاجتماعية التي تتخبط فيها الولايات المتحدة وأوروبا. لكن مع تفكك الاتحاد السوفييتي وبروز عهد العولمة والشمولية صار من اللازم البحث عن عدو خارجي آخر ، وما لبث «مرتزقة المجموعات الصناعية والمالية الغربية» أن عينوا هذا العدو : «إنه الشرق عمومًا والإسلام على وجه الخصوص».

إن التخوفات الكامنة في هذا الصدد ترى أن الأسباب الدافعة للصدام هو نمو الحضارة المعاصر نتيجة للدور المزدوج للغرب، فرغم أن الغرب في أوج قوته فهو يواجه حضارات ليست غربية، وترغب في تشكيل العالم بطرائق غير غربية في مجال التكنولوجيا الحديثة، فهذه الرؤية التي لا تطيق الآخر، أو تقبل الاختلاف معه، رؤية أحادية في العقلية الأكاديمية في الغرب حيث تضع الخطط والاستراتيجيات للسياسيين والقادة في الغرب، بطريقة غير عادلة، لكنها تضع ما ينبغي أن يكون عليه الغرب من المكانة وفق تلك المصالح والرغبات حتى ولو تم التعسف والقمع والهيمنة في هذه الاستراتيجية. وإلا ماذا تعني الإشارة إلى أن الغرب سيواجه حضارات ترغب في تشكيل العالم، وعلى الغرب ألا ينام قرير العين على طرح «نهاية التاريخ وخاتمة البشر»، حيث إن تلك النظرة تستعدي الآخر وتضع التصادم قبل الحوار، وتقدم اختلال الموازين في تعاملها مع الحضارات والهويات الأخرى.

أما الرؤية الأخرى لهنتنجتون فتقول إن الخصائص والفروقات أقل قابلية للتبديل وغير قابلة للحلول الوسط، وكذلك أن الحضارات تتمايز الواحدة عن الأخرى في التاريخ واللغة والثقافة والتقاليد والدين، وأن هذه الاختلافات أكبر بكثير من الاختلافات الأيديولوجية السياسية، إذ كان السؤال أيام الحرب الباردة أين نقف؟ ومع من نكون ؟ أما السؤال الآن فهو من نحن؟ ومن هم؟

وبغض النظر عن المبالغة غير الدقيقة في تصوير هنتنجتون للتحالفات على أساس الفروقات والخصائص والتأثيرات الثقافية التي لا نشك في دورها في تشكيل الوعي الإنساني، إلا أنه من استقراء الواقع نجد أن هذا التصنيف لم يتحقق في الحرب العالمية الأولى، فقد تحالفت البروتستانتية في برلين مع الكاثوليكية في فيينا والإسلام في إسطنبول، وتحالفت الأرثوذكسية في روسيا مع الكاثوليكية في فرنسا، والبروتستانتية السائدة في بريطانيا، وفي الحرب العالمية الثانية تحالف الألمان واليابانيون على الرغم من اختلاف أصولهم العرقية وعقيدتهم الدينية.

ومـا يدحض نظرية هنتنجـتـون في قـضـيـة التـحـالفـات على الأسس الثقـافـيـة التـحـالف الجـديد القـوي بين الولايات المتـحـدة وباكـسـتـان في الحـرب القائمة في أفغانستان، وهذا ما يجعل الافتراضات التي طرحـهـا هنتنجـتـون غـيـر مـتـمـاسكة، لكنهـا في الواقع تبـرر للغـرب مـا يـفـعلـه بعـيـدًا عن الدقـة والمصداقية، كما أن مقولة تضامن البلد المماثل لا يستقيم مع التحالفات التي جاءت بعد تفجيرات نيويورك وواشنطن في ١١ سبتمبر.

ومن القضايا التي أشار إليها صاحب الأطروحة الآنفة الذكر إشكالية العودة للهوية أو البحث عنها في كثير من بقاع العالم بعد انتهاء الحرب الباردة مما أدى إلى نشـوب أزمـات وحـروب عـرقـيـة كـثـيـرة في العديد من القارات لم تألفها الإنسانية فترة ما قبل انتهاء الحرب الباردة، ولم يسأل هنتنجتون نفسه لماذا هذه الفروقات الثقافية؟ وما هي أسبابها الحقيقية الدفينة؟ فقضية العودة إلى الهوية الثقافية صحيحة ، لكنه لم يناقش أبعادها وكوامنها الداخلية المستعصية، لماذا اختلفت الأسئلة بهذه الحدة.. من نحن؟ ومن هم؟ ولماذا صاحبتها نزاعات دموية كثيرة، و لا تزال نارها تحت الرماد؟ لقد طرح هنتنجتون الوصفة دون أن يشخص الحالة ومسبباتها أو كيفية علاجها.

فالشعور بالهوية والاعتزاز بالثقافة الذاتية عند الكثير من شعوب العالم بعد انتهاء الحرب الباردة ، همـا مـشـاعـر دفـيـنـة وكـامـنـة في الذاكـرة الإنسـانـيـة، لكنها محبوسة بسبب القمع والتهميش، ومعظم هذه الإشكالية كان سببها الغرب نفسه بشقيه الرأسمالي والاشتـراكي أنذاك، عندمـا تم تهـمـيش الكثـيـر من الشعوب والأقليات التي حكمت بعد انتهاء الحربين الكونيتين، إلى جانب غياب العدل والمساواة عندما تم التعاطي مع مطالبها، وحرمانها الكثير من حقوقها الذاتية والإنسانية، وما حصل بعد انهيار المعسكر الشرقي من تمزق وفوضى سياسية كان جزءًا من هذه الإشكاليـة. إلى جـانب أن الكثـيـر من اتفـاقـات الحدود التي رسمت في العالم كانت نتيجة من نتائج الحـرب واتفـاقـات الإذعـان لا التـوافق والتـفـاوض العادل.

ولعل مـا حـصل في فلسطين في ١٩٤٨ كـان إحدى تلك المظالم الكبرى التي اشتركت فيها الدول العظمى في قيام إسرائيل على حساب الشعب العربي الفلسطيني، وهي معايير لم تسـتند إلى القـانون الدولي أو العـدل الإنسـاني، وطرد شـعب من أرضـه وسلبت حقوقه منذ أكثر من خمسين عامًا وحجبت القرارات الدولية بحق النقض «الفيتو» من قبل بعض هذه الدول لتمرير الاحتلال وتسويغ مظالمه.

إن رؤية صدام الحضارات تفترض حاجة بعض الدول إلى خلق عدو وهمي أو فعلي يكون بمثابة «كبش فداء» تتحدد مهمته في تبرير المتاعب الداخلية لتلك الدول والتمويه على تناقضاتها الفعلية.

فالأطروحة أيضًا من جانب آخر تخفي الواقع السياسي والاستراتيجي والاقتصادي الذي يعانيه الغرب في داخله، وتبرز فقط ما تسميه بالصراع والصدام، على الرغم أن كثيرًا من هذه الصراعات الموجودة أو التي وجدت في الحرب الباردة، لا ترجع إلى الاختلاف الديني أو الثقافي أو الحضاري أو حتى اختلاف المرجعيات العقائدية. فهذا الرفض للآخر وثقافته يرجع إلى عقلية التمركز الغربي والإقصاء.

إلى جانب أن فكرة الصراع كامنة في عقلية الغرب حتى مع نفسه وعلى قاعدة «الأنا والآخر» و«الغرب ضد الباقي» وهي عقدة للأسف لم يتخلص منها الغرب حتى الآن.

والشيء الذي ربما نسيه هنتنجتون أو تناساه وبعض الاستراتيجيين في مؤسسات صناعة القرار في الغرب، أن التاريخ أثبت أن الإرادات الإنسانية لا يمكن إلغاؤها أو كبحها بصورة نهائية، وأن الخوف أو التراجع في

زمن أو مرحلة من المراحل قد يؤجل أو يخمد الرغبة في إبقاء هذه الإرادة حبيسة في الذهن لحين تحريكها، إلى وقت آخر، يكون زوال ذلك الظرف فرصة لانطلاقها، بمعنى أن نضال الشعوب لنيل حقوقها المشروعة سيظل قائمًا مهما كانت تحولات موازين القوى في العالم، وهذا ما تم تجاهله من قبل هنتنجتون وبعض الاستراتيجيين في الغرب بعد انتهاء الحرب الباردة، وركزوا فقط على قضية الصراع بين الغرب والإسلام وبعض القوى الصاعدة في القرن الحادي والعشرين.

فالحضارات تقابلت وتعايشت وتصارعت لكنها ظلت أقرب للتعايش والتسامح وبقي الصراع والتنافس محدودًا بظروف معينة، فالأهم هو الاستعداد للتعايش والندية في التعامل، ويجب على الإنسانية أن تفهم بشكل أفضل لغة الحوار مع الأمم الأخرى، ولهذا نحتاج إلى سياسة ثقافية تقوم على فهم طبائع الشعوب بحيث نصبح قادرين على التعامل مع خصائصها المتميزة في التفكير، بدلاً من الحديث عن أن خطوط التماس بين الحضارات.. ستكون خطوط الحروب في المستقبل.. إن الحرب العالمية القادمة - إن نشبت - ستكون حربًا بين الحضارات، إن للإسلام حدودًا دموية.

وهذا ربما ما تبتغيه أطروحة (الصدام بين الحضارات) لأنه لا يمكن أخذ هذا الاستنتاج إلا في هذا الإطار، بحيث أصبحت المقولة واضحة المعنى بكل إفرازاتها السلبية (المناطحة.. وتأجيج العداوة.. وصراع الهويات). والحق أن لا الإسلام ولا المسيحية في تاريخهما الطويل يأخذان الصدام أيديولوجية.. مضادة للآخر إنما الذي أجج الصدام هي عوامل أخرى يجب أن توضح في إطارها التاريخي، وهذه قضية لها تقويمها من أهل الاختصاص لكن اللافتة الجديدة للصدام ليس لها مبرر على الإطلاق، لكنها تقدم الهيكل النظري الذي يجعل كلاً من الإسلام والمسيحية يرى في الآخر



شيطانًا وهو بذلك إنما يعلن نبوءة ذاتية التحقق.

ويتساءل البعض من المفكرين والمثقفين عن جدية الحوار بين الحضارات وضرورة تعايشها في ظل هذه المقولات والإصرار على دورها في تعزيز الهويات وتهميش صعود وبروز بعضها مستقبلاً في ظل غياب معايير الندية والتكافؤ.. وقد لا نغالي إذا قلنا إن جزءًا كبيرًا من هذا السؤال له من المبررات المقبولة ما يعني أن ثمة حاجة ماسة لوضع أسس واضحة لنجاح هذا الحوار وتقوية منطلقاته الهامة. والقضية أن الحوار مبدأ أصيل في الإسلام وفي الديانات السماوية، إنما الأهم أن يكون الحوار مجديًا وناجحًا، ولا أعتقد أن أحدًا سيقول إنني أرفض الحوار.. لكن من الواضح أن الحوار الذي يحقق أهدافه في تعايش ووئام الأمم والحضارات يجب أن لا يقوض بالافتراض المتعارف عليه في عصرنا الحالي الذي يجعل القوي يفرض ما يراه منسجمًا مع نزعاته وقناعاته غير العادلة، فإن هذا الحوار يصعب نجاحه إذا ما أريد لهذا الحوار النجاح المؤمل منه.

أما إن تحققت النزاهة والموضوعية في قضايا الاختلاف وفي إطار التعدد الثقافي والتمايز الحضاري والنظرة العادلة التي (تعطي كل ذي حق حقه) فإن هذا الحوار سيعزز مستقبل الإنسانية بالوئام والتعايش بدلاً من التنافس والصدام وتكريس الكراهية

للرجال والسيدات

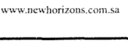
الخليج للتدريب



www.newhorizons.com.sa

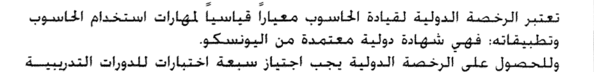
حتى لا يتوقف العمل

هل موظفو شركتك لديهم رخصة لقيادة الحاسوب ؟



تعتبر الرخصة الدولية لقيادة الحاسوب معياراً قياسياً لمهارات استخدام الحاسوب وتطبيقاته: فهي شهادة دولية معتمدة من اليونسكو.

وللحصول على الرخصة الدولية يجب اجتياز سبعة اختبارات للدورات التدريبية التالية:



- المفاهيم الأساسية لتقنية المعلومات
- استخدام الحاسوب في إدارة الملفات
- معالجة النصوص
- الجداول الحسابية
- قواعد البيانات
- تصميم العروض
- المعلومات والاتصالات

الآن بمراكز نيوهورايزن يمكنك تأهيل الموظفين للحصول على الرخصة الدولية عن طريق التدريب في المركز أو التدريب الإلكتروني عبر بوابة الخليج الإلكترونية www.alkhaleej-elearn.com أو الجمع بين الاثنين.

الاستشاري الأكاديمي كلية علوم الحاسب والمعلومات

جامعة الملك سعود

الرياض التخصصي ٤١٦٠١٢٣ الروضة ٢٧٨٨٣٨٩ السيدات : (طريق الملك فهد) ٤٦٢٨٣٩٣ الروضة ٢٢٥١٠٠٠

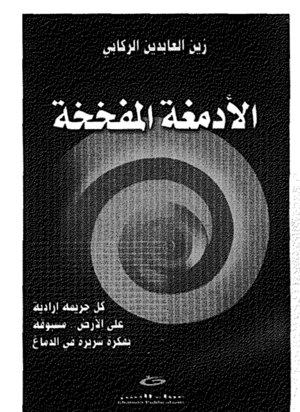
	جدة	الخبر	الجبيل	الأحساء	مكة	خميس مشيط	أبها	الدمام	بريدة	تبوك	حائل	نجران
الرجال	٦٦٤٢٢٧٧-٦٤٧٥٦٥٧	٨٥٨٨٨٨٢	٣٤٦٥٤٦٤	٥٣٠٥٠٠٧	٥٤٩٣٥٥٥	٢٣٧٥٠٥١	٢٢٨٢٧٠٠	٨٣٥٥٤٤٠	٣٢٦٥٨٥٥	٤٢٤٦٧٧٠	٥٣٣٩٩٣٣	٥٢٢٥٤٤٤
السيدات	٦٦٨٣١٨٤	٨٥٧١٦٦٤	٣٤٦٠١٣٨	٥٨٢٢٢٢٨	٥٤٢٢٠٠٠	٢٣٦١٠٩٠	٢٢٩٧٩٠٠					

ما هو الإرهاب ومن هو الإرهابي ولماذا ؟

الأدمغة المفخخة

ما أولويات الناس على هذا الكوكب؟ بهذا التساؤل الذي تلتقي إجاباته عند الحق في الحياة الآمنة صدر المؤلف كتابه التحليلي لظاهرة الإرهاب والغلو مقررًا منذ مقدمته أن من دلائل النظرة السطحية في مكافحة الإرهاب الوقوف في التعامل معه عند الإجراءات الأمنية القوية والمتطورة تقنيًا، والتفسير المضطرب له في ربطه بالفقر أو بغياب الديمقراطية أو بالمناهج التعليمية.

الكتاب : الأدمغة المفخخة (الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ).
المولف : زين العابدين الركابي .
الناشر : دار غيناء للدراسات والإعلام. الرياض .
عرض : عبدالوهاب المكينزي .



ولتحقيق هذا المطلب الأولي للحياة البشرية كان لا بد من تصحيح المفهوم الأمني وتوسعته ليشمل الأمن الثقافي والفكري والإعلامي والاجتماعي والشعبي والحضاري والمدني والإنساني وتحويله إلى هم جماعي يشارك في توفيره كل أحد.

ورغم أن الكتاب بفصوله الثلاثة محصلة مقالات اختطها الكاتب، الأكاديمي الإعلامي، في جريدة الشرق الأوسط على مدى عشر سنوات، إلا أنه راعى في ترجمتها إلى هذا الكتاب (حسب رأيه) تأصيل المنهج، واستحضار عبرة التاريخ، واستنباط الواقع، واستشفاف واستكشاف المستقبل.

ضد الإرهاب الأقرب في الزمان والمكان

يحمّل المؤلف في مطلع الفصل الأول العلماء (ورثة الأنبياء الذين أخذوا على عاتقهم تبيين الحق) جزءًا كبيرًا من مسؤولية بروز الإرهاب بسبب خفوت نبرتهم في إنكار الغلو والعنف سواء بتحسين لنوايا حاملي هذا الفكر أو بامتناعهم عن نقدهم علنًا خشية أن يعينوا عليهم الفاسقين.

وعن التحريف الذي داخل مفهوم الجهاد يرى المؤلف أن هذا الحق الطبيعي للمسلمين قد التاث بما يقبحه في وصمه بالعنف والبطش والفتنة وما تبع ذلك من كراهية للإسلام وأمته، وأنه لو رفض كل منهج لسوء الفهم والتطبيق فإنه لن يبقى مبدأ سليم قائم في الحياة. ومن دلائل هذا الحق البشري العام على صفحة الواقع أن هناك ١٩٠ وزارة دفاع في العالم، وأن مجلس الشيوخ

الأمريكي وافق على إنتاج قنابل تعادل في قوتها ثلاثة أضعاف قنبلة (هيروشيما)!!

ومن حديثه عن هذا الحق يعرج المؤلف إلى تبيين القواعد الأساسية للجهاد في الإسلام متتبعًا مصادر تأويلات آية السيف ما بين إسراف واعتدال ونفي.

وينفي أن يكون الإرهاب حكرًا على أمة بعينها فهو متعدد الجنسيات، بل إن الحقائق التاريخية تثبت أن الغرب هو مصدر الإرهاب. فالحركات العنيفة الكبرى في القرن الماضي (وفي تاريخ البشرية كله): الصهيونية، الشيوعية، النازية - صناعة غربية خالصة. وقد تأثرت حركات وجماعات كثيرة في العالم العربي بما كان يموج في أوروبا بعد عشرينيات القرن العشرين من أفكار ومسالك تنزع إلى التطرف والعنف. وعلى مستوى الأفراد يكتفي المؤلف بنقل ما كتبه (بريجسكي) في كتابه (عالم خارج السيطرة): «لقد انتشرت الجريمة والعنف انتشارًا واسعًا. وما جعل الأمر أسوأ هو السهولة الغريبة في امتلاك الأسلحة الفتاكة، حيث إن المسدسات التي في حوزة الأشخاص، بل حتى في حوزة المجرمين تزيد عما لدى معظم الجيوش في أنحاء العالم».

وفي هذا المبحث تدخل مسألة (الولاء والبراء)، حيث يؤكد المؤلف أن الأمم جميعها تشترك في هذا المبدأ، وأن المسلمين ليسوا بدعًا فيه. فإذا ما كان في المادة الثالثة من الدستور الأمريكي ما نصه: «جريمة الخيانة العظمى ضد الولايات المتحدة ستشتمل فقط على شن حرب ضدها، أو الموالاة لأعدائها، وتقديم العون والمساعدة لهم» - فإن من حق المسلمين (كما هو حق لغيرهم) أن يوالوا وأن يعادوا وفق مقاييسهم وموازينهم الخاصة. أما تعطيل قيمة الخير للناس التي هي من مقاصد النبوة وحكمة التشريع، وتعطيل قيمة الدعاء لغير المسلمين بالدعاء عليهم أجمعين فهذا (حسبما يرى المؤلف) من الفهم الخاطئ لمفهوم الولاء والبراء.

قبل قارعة ١١ سبتمبر

في مستهل الفصل الثاني من الكتاب يبين المؤلف أن الخلط بين الإسلام والغلو يقع حين يغيب المنهج المتفق عليه. ومن هنا يكون لزامًا نقد التجاوزات التي تقع باسم الإسلام (شريطة معرفة الموقف الأصلي للناقد بحيث لا يكون معاديًا للإسلام أو متحاملاً عليه). واعتمادًا للمنهج الشرعي في عمليتي النقد والتقويم. ومهما بلغت ممارسات بعض المسلمين الزائغين المغالين فإنها لن تبرئ ساحات جهات غربية من مسؤولية تشويه الإسلام كالاستشراق الذي أخذ على عاتقه منذ قرون إنتاج تراث يشوش صورة الإسلام أمام أتباعه وأمام غيرهم.

ومن خضم التفجيرات التي حدثت في بعض المدن العربية ينفذ المؤلف إلى قضية وضع غير المسلمين في الدول الإسلامية والتي ترتكز على مبدأين هما: ماهية الرسالة الإسلامية (لماذا جاء الإسلام)، ومفهوم التعامل بين المسلم وغير المسلم في الدول الإسلامية.

ومن هذين المبدأين تتحدد الأحوال الشرعية لشن الحرب التي تقع تحت مسوغي الفتنة والعدوان. وذلك لأن الأصل في العلاقة بين الناس في الإسلام هي السلم فلا يكره الناس على الدين، ولا تنتقض العهود والمواثيق التي بها تعصم الدماء. وهذا كله مما يدخل تحت مبدأ التوسط والاعتدال ونسخ الغلو ودحضه الذي نادى به الشرع في رسائله الضمنية والمباشرة في القرآن والسنة النبوية.

أما عن غايات هذه التفجيرات فيفند المؤلف دعواها الإصلاح بوسائل الإفساد بأن الله لا يحب الفساد، ودعواها تحقيق مطالب معينة من خلال الضغط بأن المطالب السياسية لا تتحقق بإراقة دم الأبرياء وجعل دم المسلمين ذريعة لها، إذ إن القاعدة الشرعية تقتضي تحمل الضرر الخاص في سبيل دفع الضرر العام لا العكس. أما إذا كانت غاية التفجيرات هي ضرب الدولة ومحاولة تفتيت بنيتها فإن هذا هو هدف العدو.

ويخطئ المؤلف الحكومات التي تظن أن التضييق على الإسلام نهج صحيح في مكافحة الإرهاب، لأن هذا النهج الخاطئ حجة للإرهابيين بأن هذه الدولة أو تلك الحكومة إنما تكافح الإسلام نفسه مستدلين على ذلك بأن الدولة قلصت حظوظه في التعليم والثقافة والتشريع.

وفي محاولة منه لتتبع خيوط ظاهرة العنف يتطرق المؤلف إلى الدور الذي لعبته صناعة السينما في هوليوود في بروز ملامح هذه الظاهرة. فمن الفاصل الزمني الذي لا يتجاوز ١٢ ساعة بين حفل توزيع جوائز الأوسكار في هوليوود وجريمة مدرسة (جونسبورو) التي ذهب ضحيتها طلاب أبرياء - يربط المؤلف تأثير السينما الأمريكية بالجريمة في تفخيخها لعقول الشباب الأمريكي بالعنف ولا سيما مع غياب الوعي والبعد الإنساني عن جائزة الأوسكار،

حين انحصرت معاييرها في التقويم في تكتيك صناعة السينما من قصة ودراما ومؤثرات... وتوارى نهائيًا الأثر الإيجابي الذي يمكن غرسه في نفوس الناس وأخلاقهم ومسالك حياتهم. ولا دلالة على خطورة السينما الأمريكية على المجتمع أبلغ مما قاله الرئيس الأمريكي السابق (ريتشارد نكسون): «إن هوليوود مريضة وتتاجر بالجريمة والجنس من أجل المال متخلية بذلك عن مسؤولياتها في مراعاة القيم الأساسية للأخلاق».

في وجه القارعة ومجابهة مسببيها

يوضح المؤلف أن موقف المسلمين في إدانة الإرهاب ومكافحته لا تستمد من أدبيات (CIA) ولا من إعلام الإثارة والتهويل. وأن في بلدان العالم الأخرى توجهات مماثلة في إدانة الإرهاب إلا أنها تريد الاستيثاق من منهج مكافحة الإرهاب ورشد الوسيلة. وأن الحاجة ماسة حاليًا لتقديم الآراء وممارسة النقد حتى لا تستغل هذه الأزمات استغلالاً خبيثًا في تقديم الرأي المضلل إلى الولايات المتحدة الأمريكية التي لا تحتاج إلى المعلومات الاستخبارية بقدر حاجتها إلى الرأي والمشورة. ومن ذلك الاستغلال انتقال الصهيونية خطوات واسعة لتطبيق استراتيجيتها الثابتة.

ومن الخطوط العامة لاستراتيجية مكافحة الإرهاب التي يرشد إليها المؤلف تحديد مفهوم مشترك له، بحيث لا توضع استراتيجية لقتال أعداء مجهولين! ولعل ما أعلنه الأمين العام للأمم المتحدة حين قال: «إن الخلاف شديد جدًا حول مفهوم الإرهاب. فتعريف الإرهاب من التحديات الحقيقية أمام الأمم المتحدة» مؤشر على عدم اتفاق في تعريف الإرهاب. وبالمثل ففي داخل النسيج الأمريكي خلاف شديد بين المشرعين الأمريكيين ووزارة العدل. ففي الحين التي تريد وزارة العدل أن يكون تعريف الإرهاب فضفاضًا يتحفظ المشرعون عن مثل هذا التوسع في تعريف الإرهاب خشية أن يشمل قراصنة الكمبيوتر، والمراهقين!

والإدارة الأمريكية تناقض نفسها حين تطلب من العالم العربي والإسلامي التعاون معها في مكافحة الإرهاب وتعمد في الوقت نفسه إلى ما يضعف هذا التعاون في وضعها لحركات التحرير الوطني في فلسطين ولبنان في دائرة الإرهاب ملغية بذلك الشرعية الدولية والقانون الدولي، مما يعني مساواة المفسدين في الأرض (الإرهابيين) بالمصلحين فيها من أجل الاستقلال، والتشكك في أهداف الحملة الدولية المضادة للإرهابيين ليظل مفهوم الإرهاب بمعنى متسع للتصورات الصهيونية.

وقد كشفت الأزمة الراهنة في التعاطي مع هذه الظاهرة عن أزمات أخرى عديدة (حسب تصنيف المؤلف) منها: أزمة العلاقة بين الحرية والأمن، والأزمة الاقتصادية، وأزمة تحويل الأزمة إلى صراع بين الأديان والحضارات. إلا أن أضر هذه الأزمات وأفدحها في تقويم المؤلف هي (أزمة التفكير في الأزمة). وتتدرج تحت هذه الأزمة الكبرى عدة أزمات منها: أزمة التعميم الخاطئ في التفكير. فلم تعد تنحصر الجريمة في الفاعلين (على اعتبار صحة القرائن)، بل عممت على جميع العرب والمسلمين. والسؤال الذي ينبغي طرحه مقابل هذا التعميم: (هل يصح أن نشمل الغربيين بالجور والنهب والاستبداد وإشعال الحروب على خلفية ما صنعه الفاشيون والنازيون والجيش الإيرلندي وغيرها من المنظمات الإرهابية؟).

وأزمة التفكير لدى المسلمين تمثلت في محاولة النفي المطلق الذي يراغم الواقع الموضوعي في ظهور إرهاب قام به أناس ينتمون إلى المسلمين.

ومن صور أزمة التفكير المسارعة السياسية الإعلامية المبرمجة المشحونة بأعلى درجات المخادعة بتحويل السؤال الأمريكي المركزي (لماذا يكرهنا الناس؟) عن إجابته الحقيقية بعد دخول الصهيونية طرفًا في الإجابة لتكون (إن العرب والمسلمين يكرهون أمريكا لحريتها وحضارتها وديانتها) بينما الجواب الحقيقي لهذا السؤال هو أن كراهية العرب والمسلمين لأمريكا بسبب الابتزاز الصهيوني المستمر لها بجعلها واقفة إلى صفه.

وكشفت الأزمة عن اعوجاج في التفكير الديني في القول بمجازاة أمريكا بالمثل في حين أن المثلية ليست مطلقة فهي لا تتعدى الظالم إلى الأبرياء. كما كشفت عن اعوجاج في التفكير غير الديني الذي صور المشكلة بأنها تكمن في التحرر من إطلاق اللحى!!

ومن أزمات التفكير سجن العقل البشري بين إما وإما من قوم يحتكرون الصواب في قولهم إن العالم انقسم إلى فسطاطين: فسطاط الإيمان الخالص، وفسطاط الفكر والنفاق الخالص. ومن آخرين يحبسون الإرادة الإنسانية بقولهم: إما أن تكونوا معنا أو تكونوا مع

الإرهاب (أعدائنا).

ويخلص المؤلف من ذلك برؤية مفادها أن من يعارض الوسائل الخاطئة في مكافحة الإرهاب ليس مؤيدًا له، وأن من يؤيد كل وسيلة خاطئة في مكافحة الإرهاب ليس معارضًا في الحقيقة له.

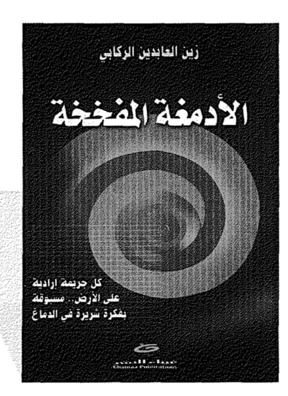
وفي الحين الذي ترفض دول العالم كلها الإرهاب تعارض في الوقت نفسه الفوضى السياسية والأمنية والإعلامية في مكافحته بجعله غطاء لتصفية حسابات مؤجلة أو لتنفيذ أجندة سابقة بنقل الحرب من بلد إلى بلد أخرى.

ولا ينفي المؤلف تورط العرب والمسلمين في الأخطاء والخطايا إلا أنه يرفض أن يحملوا أوزار آخرين وأن يسقط عليهم ما تعج به حياة الغربيين من أخطاء. والمشكلة كما يصورها المؤلف تكمن في أن طوائف من المسلمين صدقت (أو كادت تصدق) ما يسقط عليها بأن الإرهاب من خصائصها وسماتها التي لا تنفك عنها! في حين تبين دلائل التاريخ الموثق أن الحروب والصراعات التي كان المسلمون طرفًا فيها عبر ١٤١٠ سنوات لا تساوي واحدًا بالمئة من الصراعات والحروب التي أوقدها وخاضها الغربيون!

وفي تطرقه للمدارس الدينية في الوطن العربي والإسلامي يشير المؤلف إلى أن الاتهامات التي وجهت للمناهج الدينية والثقافية والاجتهادات البشرية فيها لم تقف عند حد التشنيع وتحميلها المسؤولية عن الإرهاب، إنما تجاوزتها إلى المصادر العظمى: كتاب الله والسنة النبوية. هذه الاتهامات تنطوي عليها مخاطر منها: التدخل في الحرية الدينية، وترجمة المطالب الصهيونية على نطاق واسع في تعديل (حسب انحراف قولهم) الإسلام نفسه. علاوة على تأكيد مقولات الإرهابيين بأن الغرب والأمريكيين بوجه خاص يحاربوننا على أساس عقدي خالص.

وفي التدقيق في المؤسسات الدينية الأمريكية يتضح سيطرة الحركة المسيحية الأصولية (التي تؤيد الممارسات الصهيونية) على معظم محطات الكنيسة المرئية والمسموعة. ورغم أن الدستور الأمريكي يقتضي ألا يصدر أي قانون يرسخ الدين أو يمنع ممارسته إلا أن العلاقة بين الدين والدولة في أمريكا لا تزال قوية، وفي إسرائيل أيضًا حيث الصهيونية التي خرجت مدارسها التلمودية إيجال عايير (الذي اغتال إسحاق رابين) والتي تعد بمجموعها ثمرة تعليم ديني قائم على العنف والإرهاب.

والسؤال المفتوح الذي ينتهي إليه المؤلف من هذه



المقارنة هو (هل تنتظم الدعوة إلى تغيير المناهج الدينية كلاً من الولايات المتحدة وإسرائيل؟).

وفي تمام الفصول الثلاثة يوضح المؤلف حقيقة مسيرة الفعل البشري بأنها منبثقة من فكرة ومغذاة ومحكومة بفكرة، وأن المنهج القويم في بناء الأفكار يقوم على خمسة أسس، هي: السنن الكونية والاجتماعية، هدي الدين، حقائق العلم، وحدة الأسرة البشرية، الوحدة الجغرافية الكوكبية.

ويلحق المؤلف الكتاب برسالة (غير سرية) يوجهها إلى الرئيس الأمريكي تحت عنوان (تكلم أيها الرئيس قبل احتراق الكوكب) يذكره فيها بالأبعاد السامية للمجتمع الأمريكي والتي منها الغيرة الوطنية التي تأججت بعد أن نال العدوان رموز الحضارة الأمريكية مؤكدًا له أن هذه الغيرة تفوقها غيرة المسلمين على كرامة نبيهم ﷺ، وأن من حق المسلمين كما كان من حق الأمريكيين (خصوصًا بعد ما صرح به بعض رموز السلطة الأمريكية في وسائل الإعلام الأمريكية) الدفاع عن نبيهم الكريم بالصور المشروعة.

ولأن هذا النيل من نبي المسلمين مادة تخدم الإرهابيين في رفع معدلات تصديق منطقهم القائل: إن الولايات المتحدة تعادي وتحارب الإسلام لذاته ـ دعا المؤلف الرئيس الأمريكي إلى لجم وسائل الإعلام الأمريكية أو ضبطها مثلما تم على إثر أحداث الحادي عشر من سبتمبر ■

متعددة المنظورات تجمع كل الاتجاهات والتخصصات :

الدراسات الثقافية

محمد الدعمي . بغداد

ما انفك الحديث يدور في الدوائر الأكاديمية والثقافية العربية حول اختلالات جادة تشوب العلاقة بين الجامعات العربية من ناحية، والمجتمعات العربية وحكوماتها من الناحية الثانية. وإذ تتوسم هذه المجتمعات في المؤسسة الأكاديمية أدوارًا أساسية تتواشج مع خطط التنمية الوطنية وبناء الإنسان العربي في عصر متجدد ومتغير بسرعة مذهلة، فإن الجامعات والأقسام العلمية العربية،من جهتها، وبسبب انكفاء أعداد لا بأس بها من أساتذتها على حقول تخصصهم الدقيق، لم تحاول أن تقطع نصف المسافة نحو المجتمع في سبيل الالتحام به وتوظيف خبراتها وخزينها المعرفي والبحثي الرصين في الخطط التنموية وعلى سبيل الاستجابة للأحداث والمتغيرات الجذرية التي تعصف بعالمنا الذي تكون فيه الدول العربية (والوطن العربي، وحدة ثقافية متجانسة) عنصرًا متفردًا.



واحد من الإشكالات الرئيسة التي تعيق عملية مد جسور الاتساق والتناغم بين الجامعات والمجتمعات يتلخص في معضلة التقوقع الذي تفرضه الأقسام العلمية المتخصصة على نفسها من خلال بناء جدران يصعب اختراقها بينها وبين الأقسام العلمية الأخرى في الجامعة أو في الكلية الواحدة أحيانًا. وغياب الاتساق والتعاون بين مختلف الأقسام يؤدي إلى تحجيم فعالية ومنفعة كل تخصص تمثله هذه الأقسام بسبب الابتعاد عن كونية المعرفة ونتيجة للتشبث المتعامي بالمجتزأ الذي يمثله القسم الدراسي. وتكون النتيجة المؤكدة هي أن المجتمع (إذا ما أراد توظيف الجامعة في سبيل خدمته) يضطر إلى الاستفادة الانتقائية من كل قسم علمي على نحو منفرد، ولذلك تكون النتائج محدودة ووحيدة الجانب بسبب نقص شمولية الرؤية.

وبناء على أن لفظ «جامعة» ينطوي على أنها مؤسسة تربوية بحثية تجمع مختلف التخصصات العلمية والإنسانية في كيان واحد يضطلع بإدارة تناغم وظيفي عضوي تكمل الأجزاء فيه عمل بعضها بعضًا، فإن علينا أن ندرك أن التأكيد على «التخصص الدقيق» لا يعني الانفصال في جزيرة نائية وإنما يعني تكامل التنسيق مع

التخصصات الدقيقة الأخرى، ذلك أن التحجر في قوقعة ما يسمى بـ«الحقل العلمي» فقط إنما يؤول إلى أنشطة نظرية تجمع غبار رفوف المكتبات دون التلاؤم مع متطلبات مجتمع يتطلب خلاصات علمية جماعية ومتسقة يمكن تطبيقها على مجتمع حقيقي. وقد لاحظ المنظرون الجامعيون والإداريون الحكوميون عواقب هذا الاختلال النابع من الحواجز التي تقيمها الأقسام العلمية حول نفسها، فابتكروا عددًا من الوسائل والتقنيات التي ترنو إلى نسف هذه الحواجز أو إلى فتح ثغرات ومد جسور عبرها من أجل التواصل بين مختلف الفروع العلمية على سبيل تطوير أعمال وأبحاث علمية (تطبيقية على نحو خاص) تتفاعل مع متطلبات العصر والمجتمع على نحو آلية مجدية. ومن هذه الابتكارات التي يؤكدها التربويون الجامعيون (لاحظ أن كلمة «جامعة» تنطوي على انسايكلوبيدية موسوعية) هو، مثلاً، استحداث حقول الدراسات العلمية المتداخلة التي ترنو إلى تفاعل اكتمالي بين، مثلاً، الهندسة المعمارية وعلوم البيئة، أو بين الدراسات التاريخية والاجتماعية، أو بين أقسام اللغات الأجنبية والعلوم السياسية وهكذا. وقد تم ابتكار الدراسات المقارنة و بحوث التقاطع الثقافي (مقابلاً لهذه الدراسات العلمية المتداخلة). والحقلان أعلاه يحاولان، من ناحية أخرى، رصد وتقصي الظواهر الحضارية والثقافية المتباينة والمشتركة من خلال منظور واسع لا يكتفي بثقافات قومية أو دينية معينة بل يضعها إلى جانب الثقافات الأجنبية ليرصدها ويحللها من خلال زاوية معاصرة أو تاريخية. وتشترط اليوم بعض المجلات العلمية العالمية الرصينة في البحوث المقدمة للنشر أن تكون هذه البحوث ضمن واحد من هذه الحقول المتداخلة.

وتأتي «الدراسات الثقافية» كمحاولة أوسع وأكثر شمولية، ليس فقط لهدم الجدران الفاصلة بين حقلين علميين على نحو ثنائي، بل لإلغاء جميع الجدران الفاصلة بين الحقول العلمية قاطبة في سبيل الخروج بآلية مكتملة تتواشج ومتطلبات المجتمع على نحو عام. ولم تزل الدراسات الثقافية حقلاً علميًا في طور التطوير والتجريب، برغم ما تمخضت عنه التطبيقات الأولية من ثمرات مفيدة وواعدة. وترجع جذور هذه الدراسات الفتية إلى ألمانيا وبريطانيا، إذ برزت أولى محاولات الترويج الجماعي لعمل الأنظمة العلمية المختلفة، على طريق رصد أو دراسة ظاهرة معينة أو حدث ما، أواسط القرن الماضي. وبرغم انطلاق هذه المحاولات الأولية في أوربا، فإن الدراسات الثقافية استقطبت اهتمامًا أكبر وحظيت بدعم مادي ومؤسساتي أقوى في الولايات المتحدة الأميركية، نتيجة طبيعية لضرورات عصر جديد ولفرضيات تأسيس جامعات رائدة ومداخل علمية جديدة في «عالم جديد». وتتسارع الخطى اليوم على نحو يصعب مواكبته في سبيل تطوير دراسات ثقافية كاملة الشمول والفاعلية. وهذا ما يوجب علينا في البلدان العربية، وعلى المؤسسات الجامعية على نحو خاص، محاولة الإلمام بهذا الحقل الجديد والعمل الجاد لتأسيس مؤسسات عربية مكافئة تتخصص في الدراسات الثقافية.

مفاهيم خاطئة بعيدة عن «الدراسات الثقافية» :

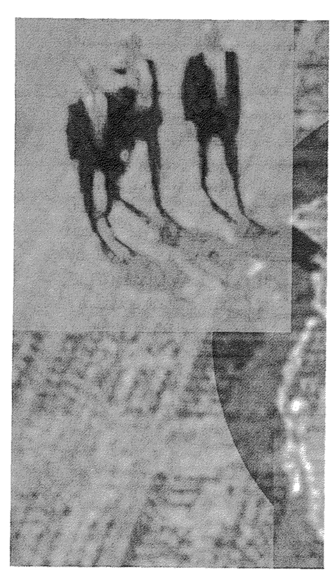
من أجل أن يقترب المرء من مفهوم الدراسات الثقافية يتوجب عليه أن يفقه ما هو ليس منها، ابتعادًا عن الخلط وخشية الإرباك. برغم ما تتطلبه الدراسات الثقافية من توفر تأهيل علمي عال في مختلف الأنظمة المعرفية كالجغرافية والتاريخ والاجتماع واللغات وغيرها، فإنها لا تمت بصلة لمفهوم «ثقافة النخبة». بينما يذهب بعضهم إلى أن الثقافة النخبوية هي تلك الثقافة التي تنتج وتصمم وتنتقى لمخاطبة النخبة أو

وتأتي «الدراسات الثقافية» كمحاولة أوسع وأكثر شمولية . ليس فقط لهدم الجدران الفاصلة بين حقلين علميين على نحو ثنائي . بل لإلغاء جميع الجدران الفاصلة بين الحقول العلمية قاطبة في سبيل الخروج بآلية مكتملة تتواشج ومتطلبات المجتمع على نحو عام .

الصفوة الغنية في مجتمع ما، فإن بعضهم الآخر ينظر إلى هذا المفهوم النخبوي على أنه ذلك النتاج الثقافي الراقي المصمم على طريق مخاطبة الصفوة الثقافية (وليس الغنية) من رجال فكر وكتّاب وفنانين وشعراء وغيرهم من هؤلاء الذين يرغبون في المحافظة على مسافة بينهم وبين عامة الجمهور. لهذا السبب ترفض الدراسات الثقافية فكرة الأبراج العاجية التي تختص بأي نوع من أنواع النخبوية (الثقافية / الاقتصادية). وعلى العكس من ذلك، تتجاوز الدراسات الثقافية الحدود الاعتباطية / السائلة التي تفصل بين الطبقات الاجتماعية أو الفئات السراتية، واقعية كانت أم غير واقعية.

ومن ناحية أخرى، تنأى الدراسات الثقافية بنفسها عن مفهوم «الثقافة الشائعة» وإذ يذهب المتخصصون في الثقافة الشعبية أو الشائعة إلى أنها تلك الثقافة المصممة والمنتجة لمخاطبة عامة الجمهور المتلقي على نحو يومي متاح في كل مكان، فإن بعضهم الآخر، يميل إلى الاعتقاد بأن الثقافة الشائعة إنما تعني، تلقائيًا، ثقافة العامة من جمهور الفقراء وغير الميسورين والطبقات الوسطى والدنيا. ولهذا فإن الثقافة الشائعة تستثمر جميع المساحات الممكنة والقنوات المتاحة لضخ نتاجها : من «التليفزيون» و«الراديو» و«السينما» إلى الإعلان والدعاية و«البوستر» والموسيقى وغيرها. لهذا السبب تعد الثقافة الشائعة ثقافة رخيصة، بمعنى أنها متاحة في كل مكان من محطات القطار إلى المنزل، ومن المتجر إلى الساحات العامة. وعليه يعد الخبراء الثقافة الشائعة هي المسؤولة الأولى عن تشكيل الذوق العام والرأي العام الشعبي السائد (وهو ما يطلق عليه برأي الشارع، خطأ). لهذا تبتعد الدراسات الثقافية عن الثقافة الشائعة كثيرًا، إذ إنها لا تستهدف جموع الفقراء والعامة على نحو منفصل ويومي، وهي لا ترنو لأن تكون ثقافة مبسطة على نحو مخل، تكون فيه الغايات مبررًا للوسائل. إن الدراسات الثقافية تنظر إلى جميع المتلقين باختلاف ثقافاتهم ورتبهم الاجتماعية على أنهم مستهلكون جيدون للنتاج الثقافي المتعدد الجوانب.

من منظور آخر، لا تدخل الدراسات الثقافية ضمن أي حقل من حقول المعرفة على نحو الاحتكار. الدراسات الثقافية ليست أدبًا، وهي ليست



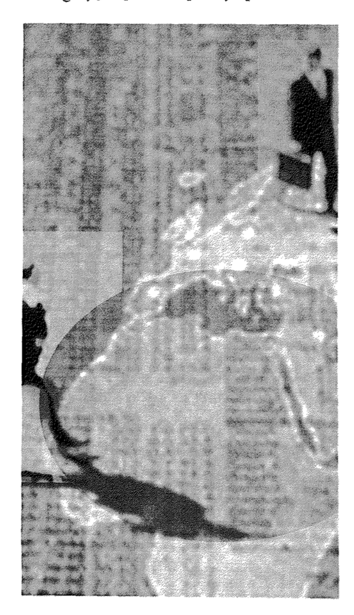
علومًا سياسية، ولا جغرافية ولا اجتماعًا أو تاريخًا أو ألسنية ولا أي من الحقول المعرفية التقليدية. وهي لا تمت بصلة قرابة إلى أي من هذه الحقول على نحو منفرد أقوى درجة من قرابتها إلى الحقول المعرفية الأخرى. إن الدراسات الثقافية تحتاج إلى نتاجات وأنشطة أدباء وإعلاميين واجتماعيين ومؤرخين ولغويين وغيرهم من الاختصاصيين في الحقول الأخرى جميعًا، دون أية وشيجة «خاصة» بواحد منها. وتوظف الدراسات الثقافية جميع التخصصات ولكن دون أن تذوب في واحد منها قط.

ميدان «الدراسات الثقافية» البانورامي : توسيع المنظورات

تأسيسًا على ما تقدم يلاحظ المتابع أن الدراسات الثقافية في جوهرها هي حصيلة

نهائية لخلاصات جميع أصحاب التخصصات العلمية التقليدية على نحو فرقي / اندماجي، ذلك أن خلاصات المؤرخ في حدث تاريخي تختلف تمامًا عن خلاصاته إذا ما عمل سوية مع متخصص في العلوم النفسية، وآخر في الجغرافية، وآخر في علم الاجتماع، وآخرين من فروع علمية أخرى، بهذه الطريقة تتحقق شمولية هائلة في تحليل الحدث. ومن ناحية ثانية، لا تركز الدراسات الثقافية على العمليات الإعلامية كلاً على انفراد : فهي لا تركز على إنتاج الثقافة ولا على نقل الثقافة ولا على طبيعة الاستقبال والاستهلاك الثقافي. ويحاول المتخصصون في الدراسات الثقافية الجمع بين كل مراحل العملية الإعلامية - الثقافية من إنتاج العمل الثقافي إلى ضخه في قنوات توصيله وحتى التلقي الثقافي والاستهلاك الإعلامي على سبيل الخروج بصورة بانورامية مكتملة الألوان والخطوط وبعيدة عن التجريد. لهذا السبب لا تؤكد الدراسات الثقافية الكلمة المقروءة أكثر من المادة المصورة، أو المسموع أكثر من المرئي المتحرك وهكذا. من هنا تنبع الدراسات الثقافية من مبدأ تقسيم العمل الذي يصب في الجمع الموسوعي / الإنسايكلوبيدي الملم بكل جوانب الحدث أو الظاهرة التي يتم تناولها. ولا تحاول الدراسات الثقافية دراسة ظاهرة معينة في عالمنا بمنظور تاريخي أو بمنظور معاصر أو مستقبلي على نحو مستقل، بل هي تحاول أن تجمع هذه الرؤى سوية على نحو اكتمالي متتبعة الجذور التاريخية للظاهرة، لدراسة نتائجها المعاصرة وآفاقها المستقبلية.

أما من ناحية المنظورات الأيديولوجية، فتحاول الدراسات الثقافية كذلك ألا تقتصر في تحليلاتها على مدخل فكري أو فلسفي معين، كما دأب نقاد الثقافة حتى هذا اليوم. فبرغم عدم إلغائها لأي من المداخل الفكرية والأيديولوجية، تحاول الدراسات الثقافية تركيب هذه المداخل والفلسفات في منظومة واحدة تجمع المداخل اليسارية والرأسمالية والدينية والمحافظة والاجتماعية والسيكولوجية وغيرها: فكلما زادت وتنوعت المنطلقات الأيديولوجية، زاد غنى النتائج التي ترنو إليها الدراسات الثقافية، وتنوعت جدواها العملية، بطبيعة الحال. لهذا السبب تتطلب الدراسات الثقافية العمل الجماعي الفرقي المتنوع، إذ يصعب على الفرد الإلمام بأكثر من حقل معرفي واحد أو الالتزام بأكثر من معيار فكري أو فلسفي واحد. وهنا تظهر نتائج الدراسات الثقافية أكثر اقترابًا من الاكتمال : فهي خلاصات متنوعة المداخل، مشبعة ومجدية للمتتبع وللمؤسسات التي تضطلع بتشجيع الدراسات الثقافية وتمويلها. وإذا شاء المرء تشبيهًا يقرب إلى الذهن صورة ما يمكن أن تقدمه الدراسات الثقافية من خدمة شاملة، فعليه أن يستحضر صورة لأوركسترا موسيقية كاملة يكون أفرادها أفضل الأساتذة كلاً على آلته الموسيقية. فبدلاً من سماع عزف كل واحد من هؤلاء الأساتذة منفردًا يحصل المستمع على جمع متناغم قادم من تلك الآلات الموسيقية مجتمعة في عمل جماعي خلاق واحد.



وبناء على ما تقدم، يمكن القول بأن الدراسات الثقافية تتفوق على الدراسات المعتمدة على فلسفة أو أيديولوجية واحدة، لأنها، بدلاً من أن تنبذها تقبل بها على قدم المساواة مع غيرها من الأيديولوجيات، فتحصل على إنارات وصور مجسمة مكتملة تغيب فيها المداخل وحيدة الجانب في عصر تقني تصعب مجاراته بالانغلاق على الذات وبما قبلت به من فلسفة.

ليس من شك في أن الثقافة في المنطقة العربية والجمهور المتلقي لها بحاجة ماسة إلى هذا النوع من الدراسات المتعددة المنظورات التي تجمع كل الاتجاهات والتخصصات لتضعها في بوتقة واحدة على طريق إنتاج ثقافي شامل وخالص من العصبيات المتنوعة والمحدوديات «النقابية» المجتزئة والمبتسرة. لهذا السبب ينبغي العمل على تأسيس أكاديمية عربية، أو مركز دراسات ثقافية عال يستقطب نخبة من أفضل المتخصصين في مختلف العلوم ومن جميع الأقطار العربية في سبيل الاضطلاع بدراسات ثقافية موسوعية وشمولية تتناول أكثر الظواهر أهمية بالنسبة للوطن العربي الكبير.

هذه هي إحدى الطرائق الناجعة التي تمكننا من تخطي السلبيات الثقافية الحاضرة على طريق انتشال الجمهور العربي من سلطة الإعلام وحيد الجانب والنتاجات الثقافية الغربية التي تبتدع كل الطرق والأساليب المغرية، شئنا أم أبينا، للوصول إلى النشء العربي والشبيبة المسلمة من خلال الاستهلاك المحلي للثقافة المستوردة الأكثر إغراء وبهرجة بسبب شموليتها. لا ينبغي أن نكتفي بإدانة النتاجات الثقافية التي يضخها الغرب إلينا، بقدر ما يتوجب علينا أن نحاول الارتقاء بثقافتنا، من خلال توسيعها واستثمار العقول العربية المتخصصة، كي تكون قادرة على المنافسة الواثقة بالذات وبقدراتها على مواكبة روح العصر. هناك من هو، مثلاً، رافض لفكرة الاستيراد الثقافي الجاهز من الغرب (كما في حالة تلفزيون الأقمار الصناعية، على سبيل المثال)؛ وهناك من يصرخ لإنقاذ الشخصية الثقافية العربية من محاولات الطمس والاغتراب، وهناك فريق يندب الغزو الثقافي ويدعو إلى مقاومته. ولكن قلما نسمع عن مشروع نتاج ثقافي محلي ينزل إلى جانب النتاجات الثقافية الغربية وينازلها بوصفه نتاجًا لا يقل عن تلك

ينبغي العمل على تأسيس أكاديمية عربية، أو مركز دراسات ثقافية عال يستقطب نخبة من أفضل المتخصصين في مختلف العلوم ومن جميع الأقطار العربية في سبيل الاضطلاع بدراسات ثقافية موسوعية وشمولية تتناول أكثر الظواهر أهمية بالنسبة للوطن العربي الكبير.

النتاجات الآتية من خلف حدود الوطن. لهذا السبب يتوجب على الهيئات العربية والجامعية على نحو خاص أن تتخطى الحدود القطرية الخانقة نحو توسيع مدارك المتلقي العربي عامة من خلال توسيع وتطوير نوعية النتاجات الثقافية التي يجود بها مفكرون ومتخصصون عرب من جميع أقطار الوطن العربي حتى من خارجه، إن تطلب الأمر.

وكخطوة أولى، يمكن لإحدى الحكومات أو الهيئات العربية، مثل جامعة الدول العربية أو غيرها، الاضطلاع بتأسيس مركز بحوث دراسات ثقافية يستقدم إليه نخبة من أفضل المتخصصين. ويمكن أن يتحقق هذا الإنجاز المهم بوساطة الحصول على موافقة مبدئية من المؤسسات التربوية والثقافية والجامعية العربية المتنوعة على القبول بأي ترشيح من قبل هذا المركز وسحب المرشحين للعمل في مشاريع من هذا النوع على نحو مؤقت أو دائم. وهنا يمكن الاضطلاع كذلك بإنتاج بحوث دراسات عليا من وجهة نظر الدراسات الثقافية، قد تكون الأولى من نوعها في الشرق الأوسط عامة. كما يتوجب ربط نتاجات الدراسات الثقافية المحلية بجميع وسائل الاتصال والضخ الإعلامي والثقافي العالمي المستوى في سبيل الارتقاء بالثقافة العربية الإسلامية نحو آفاق العالمية التي صارت تبدو وكأنها من احتكارات الغرب فقط.

الخيال العلمي

هل نذهب إلى الفضاء عبر مصعد؟!

هاني كرم . أبوظبي*



* صحفي لبنلني .

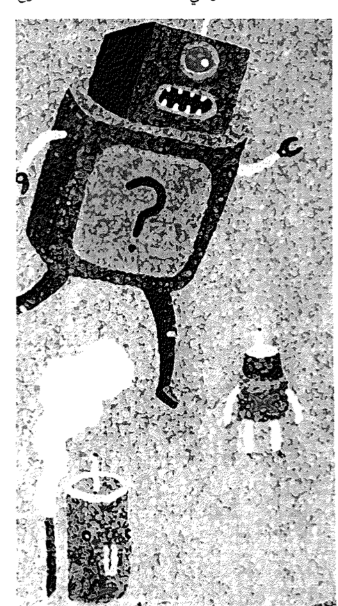
الخيال العلمي أو science fiction هو الانتقال عبر آفاق الزمن، على أجنحة الحلم المزين بالمكتسبات العلمية، وغالبًا ما يطرق مؤلفوه أبواب المستقبل بتنبؤاتهم دون زمان محدد، فهو نظرة واسعة على العالم يدخل فيها العلم فيمتزج بحقائقه مع خيال الكاتب، ترسم أحداثًا تنقلك إلى المستقبل، أو الماضي السحيق، فتثيرك وتذهلك. لن ينجح كل من يكتب في هذا النوع من الأدب دون ثقافة علمية ممتازة يستخدمها في أحداث قصصه ورواياته .

يعد الكاتب الفرنسي جول فيرن **jules verne** المولود عام ١٨٢٨م الأب المؤسس للخيال العلمي وقد كتب أول أعماله «خمسة أسابيع في منطاد» في فرنسا عام ١٨٦٣م، ثم جاءت روايته «رحلة إلى جوف الأرض» عام ١٨٦٤م، وبعدها كتب رائعته «من الأرض إلى القمر» عام ١٨٦٥م الذي تخيل فيها رحلة إلى القمر. هذا الخيال في الرواية تحقق بعد قرن، وبالتحديد في ٢٠ أغسطس ١٩٦٩م عندما وطئت أول أقدام بشرية القمر. كتب فيرن الكثير من الأعمال في الخيال العلمي من بينها «عشرون ألف فرسخ تحت الماء» عام ١٨٧٠م تحدث فيها عن غواصة تنتقل تحت الماء. وفي عام ١٨٧٧م كتب روايته «هكتور سيرفاداك» التي تتحدث عن مذنب يقتطع قطعة من كوكب الأرض، حيث ترافق هذه القطعة، المذنب في رحلته حول الشمس. وكتب فيرن أيضًا قبل عام واحد من وفاته روايته «سيد العالم» في عام ١٩٠٤.
ونلاحظ في روايات جول فيرن خيالاً مجنحًا غلب عليه المنطق العلمي، وهذا ما جعله أشبه بنبوءة علمية. فقد تخيل في روايته «من الأرض إلى القمر» انطلاق محطة فضاء من الأرض إلى القمر بوساطة مدفع هائل الطول، ووصف الرواد على سطحه والمناظر من فوقه، كما تحدث عن عودتهم إلى الأرض حيث هبطوا بمظلة في البحر، بطريقة شبيهة بما فعله رواد المركبة الفضائية (أبولو -١١)، وقد هبطت على القمر محطتها القمرية (العقرب) في ٢٠ أغسطس ١٩٦٩م. كما كتب جول فيرن عن الغواصة ووضع وصفًا لها، وكتب عن الطائرات النفاثة والصواريخ بعيدة المدى والغوص في أعماق المحيطات، وكلها تنبؤات تحولت إلى حقيقة ملموسة في العصر الحالي.

إلى جانب فيرن الفرنسي هناك الكاتب الإنجليزي هربرت جورج ويلز ١٨٦٦م الذي اعتبره النقاد شكسبير الخيال العلمي، وقد كتب أول رواياته الخيالية «آلة الزمن» عام ١٨٩٥م«وتعد أعظم روايات الخيال العلمي على الإطلاق وفيها يتخيل أن بطله صنع آلة حين يدير عجلتها يستطيع أن يقفز فوق الزمن وأن يعود إلى الماضي أو يخترق المستقبل لسنين بعيدة حسب الجهة التي يدير بها العجلة.تخيل ويلز في آلة الزمن أن مصير الإنسانية التي انغمست في الدعة والسلام وقنعت بالعافية من الهموم، سيكون قاسيًا. وحين ينتقل بطل الرواية إلى المستقبل بعد أن يدير عجلة آلته فإنه يرى البشر وقد تحولوا إلى قبائل بدائية ضعيفة حركتهم خابية، جمال كاذب، جندوا لخدمة قبائل المولوك

المتوحشة، التي تستوطن الكهوف والسراديب وشقوق الأرض، بعيدًا عن الضوء، ويبلغ به الحزن حد الفجيعة وهو يرى فناء الذكاء البشري، وكيف آل أمره إلى الانتحار على يد الإنسان الذي خلد إلى حياة المذلة والنعيم. وفي عام ١٨٩٨م كتب روايته المشهورة «حرب العوالم» ثم كتب «رجال القمر الأوائل»، ومن ثم رواية «طعام الآلهة» وبعدها «اليوتوبيا الجديدة»، وتلتها أعمال كثيرة أخرى.

في الواقع، إن كتاب قصص الخيال العلمي العصريين ليسوا هم من اخترعوا فكرة وجود حياة خارج نطاق الكرة الأرضية. فمنذ حوالي ٢٣٠٠ سنة مضت، اقترح



الفيلسوف اليوناني **Metrodorus** أن كوننا «لا يحتوي إلا على عالم مسكون واحد فقط، سيكون بعيد الاحتمال تمامًا» كما أن حقلاً واسعًا ينمو فيه كوز واحد من الذرة. كما كتب **Lucretius** وهو شاعر روماني عاش في القرن الأول للميلاد: «في أماكن أخرى من الفضاء، هنالك كواكب عديدة كالأرض وأجناس مختلفة من البشر».

يبدو أن الناس تواقون إلى التصديق بوجود حياة أخرى غير تلك التي نعرفها على الأرض، حتى ولو كان الدليل على ذلك ضعيفًا جدًا. كتب مراسل صحيفة عام ١٨٣٥م:«قد اكتشف الفلكيون حياة على القمر». وكتب:«إن حيوانات ونباتات غريبة، حتى أناس صغار يملكون أجنحة، يحومون ويومئون بشكل واضح، وقد شوهد الجميع بوساطة التلسكوب». ارتفعت بالطبع مبيعات هذه الصحيفة. وما زال بعض الناس يصدقون هذه القصة حتى بعد أن اكتشف أنها عملية احتيال.

لم يكن الصحفيون وعامة الناس وحدهم من يهتمون بذلك. فالعلماء أيضًا كانوا متحمسين. ففي أواخر قرن التاسع عشر، كان الفلكي **Percival Lowell** مقتنعًا أن باستطاعته رؤية شبكة معقدة من القنوات على سطح كوكب المريخ، حتى إنه رسم هذه الشبكة بالتفصيل على خارطة، وكتب كتبًا عن الحضارات التي بنتها.

في فرنسا، كانت الأكاديمية العلمية متأكدة من وجود حياة على كوكب المريخ، لدرجة أنها عرضت مكافأة لأول إنسان يتواصل مع أي من المخلوقات غير المريخية. اقترح بعضهم مخططات غريبة للتواصل مع مخلوقات العوالم القريبة. ففي سنة ١٨٩٩م شيد مخترع أمريكي سارية على رأسها كرة نحاسية كبيرة وأرسل من خلالها ذبذبات كهربائية ضخمة بغية التواصل مع المريخيين، وفي أثناء ذلك وقف شعر الناس، وتوهج الضوء على مسافة ٥٠ كيلومتر، ولكن لم يأت أي جواب من المريخ.

وما القول بفكرة بناء مصعد فضائي يرتفع على طول سلك يمتد آلاف الكيلومترات إلى محطة في مدار ثابت فوق الأرض؟ قد يبدو ذلك من نسج قصص الخيال العلمي، غير أن الباحثين ينكبون بمنتهى الجدية على دراسة إمكانية تحقيق مثل هذا المشروع.

وقد عقد بضع عشرات منهم في سبتمبر الماضي مؤتمرًا خصص حصريًا لهذا الموضوع، ووقع الاختيار على الكاتب أرثر سي. كلارك، كاتب روايات الخيال العلمي الشهير، لافتتاح «المؤتمر السنوي الثاني حول المصعد الفضائي» في نيومكسيكو، فهو أفضل من يعبر عن اقتناعه بهذه الفكرة، وهي فكرة أساسية في روايته «ينابيع الجنة» الصادرة عام ١٩٧٨ وأتاح الاجتماع الذي نظمه الباحث براين لوبشر في مختبر «لوس ألاموس» ناشونال لابوراتوري الاستماع إلى عشرين محاضرة تطرقت إلى جميع أوجه وخصائص هذا المصعد الفضائي، من سبل بنائه إلى كلفته، مرورًا بالمخاطر التي قد يشكلها على البيئة. وبعد أن كان هذا المشروع مجرد فكرة خيالية، بات واقعًا مع التوصل في مطلع التسعينيات إلى تركيب الأنابيب المصغرة (نانو تيوبس)، وهي أنابيب مجهرية قطرها يساوي نانومتر، وهي مؤلفة من شريحة أو عدة شرائح من الكربون وتتمتع بمقاومة تفوق بكثير مقاومة جميع مواد البناء الحالية. ويساوي النانومتر واحدًا على مليون من الململتر أو واحدًا على مليار من المتر.

واعتبر لوبشر أن «أول من سيبني مصعدًا فضائيًا سيمتلك الفضاء»، موضحًا أن مثل هذا المصعد يمكنه التنقل على سلك يمتد على مئة ألف كيلومتر، ويسمح بنقل حمولة من المركبات الفضائية والأقمار وقطع المحطات الفضائية إلى ما وراء حزام النيازك، في نظامنا الشمسي، مشيرًا إلى أن «العديد من برامج اكتشاف الفضاء قد يعاد النظر فيها في حال إتمام بناء مصعد فضائي».

وقدم الباحث من مركز مارشال الفضائي التابع لوكالة الفضاء الأمريكية **NASA** وصفًا لتكنولوجيا المصعد الفضائي، فأوضح أن «بنيته تمتد من سطح الأرض إلى مدار فضائي ثابت فوق الأرض على ارتفاع حوالي ٣٦ ألف كيلومتر، وهو المدار الذي تدور فيه أقمار الاتصالات والمحطة الفضائية الدولية».واعتبر أن «مثل هذا البناء يمكن أن يصبح في القسم الأخير من القرن الحادي والعشرين نظامًا لنقل الأشخاص والمعدات والوقود والكهرباء بين الأرض والفضاء». ويتفق الخبراء على أن تنفيذ مثل هذا المشروع سيستغرق حوالي خمسين عامًا، منوهين في الوقت نفسه بأن كلفته ستكون أقل من كلفة بناء المحطة الفضائية الدولية التي يتوقع أن تتجاوز ستين مليار دولار.

يبدو أن الناس تواقون إلى التصديق بوجود حياة أخرى غير تلك التي نعرفها على الأرض، حتى ولو كان الدليل على ذلك ضعيفًا جدًا.

خلال موسم ١٩٨٢-٨٣ السينمائي في هوليود، كان **ET** إي تي)، المشوه، ولكن اللطيف القادم من الفضاء الخارجي، الشخصية الأساسية للفيلم **E.T. The Extra-Terrestrial.** وكما لاحظ كل من شاهد الفيلم أن هذه الشخصية الأساسية والأكثر شعبية في الفيلم لم تكن من البشر على الإطلاق. هذا الفيلم هو واحد من الأدلة الكثيرة على الشعبية الساحقة التي حققتها قصص الخيال العلمي في السنوات الأخيرة. إنه الخيال العلمي نفسه الذي أُعتبر يومًا من الأيام عمل المنعزلين والحالمين، قد أصبح اليوم جزءًا مهمًا من وسائل الترفيه السائدة. ولكن ماذا وراء الارتفاع المثير لشعبية الخيال العلمي؟

للإجابة عن هذا السؤال، يجب أن نأخذ تاريخ الخيال العلمي في الحسبان. فمنذ قديم الزمان نسج الرجال قصصًا رائعة، كان الهدف منها إما الترويع، وإما إثارة الإعجاب، أو ببساطة لمجرد التسلية. على أية حال، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، دخلت أوروبا عصر التقدم العلمي والمادي. وبدأ العديد من الناس بتحدى السلطات والأفكار التقليدية. في هذا الجو بدأ بعضهم بالتخمين في كيف سيؤثر التقدم العلمي في البشرية في المستقبل.

ما زالت مسألة من الذي اخترع الخيال العلمي، مسألة نقاش. فكل من Francis Godwin، و Cyrano de Bergerac وهما كاتبان من القرن السابع العشر، قد تركا أعمالاً خيالية تضمنت رحلة الى الفضاء. وفي عام ١٨١٨م، نجد أن كتاب «فرانكشتاين» ل Mary Shelley، أو The Modern Prometheusوصف عالمًا لديه القدرة على الخلق. وقد صور الكتاب النتائج الشنيعة لهذا التدخل في أعمال الخلق. بعض الكتاب استعملوا هذا النوع من القصص لإبراز عيوب المجتمع الإنساني. لذلك عندما سخر Jonathan Swift من المجتمع الإنجليزي للقرن الثامن عشر، نسج هجاءه في سلسلة من الرحلات الخيالية. النتيجة كانت رحلات جولفير أو Gulliver's Trav- elsالتي دعيت أول قطعة أدبية نادرة للخيال العلمي.

الخيال يصبح حقيقة

في بداية القرن العشرين، بدأ العلماء بتحويل بعض هذه الأحلام الخيالية إلى حقائق ملموسة. وفقًا لكتاب The Great Ones، قضى الفيزيائي الألماني Hermann Oberthسنوات طويلة في محاولة تحقيق أحلام Jules Verne بإنجاز رحلات إلى الفضاء. أما حسابات Oberth فقد ساعدت على إرساء أساس علمي للسفر إلى الفضاء. على أية حال، لم يكن هو العالم الوحيد الذي تأثر بقصص الخيال العلمي. يقول كاتب قصص الخيال العلمي المشهور Ray Bradbury: بأن Wernher von Braun وزملاءه في ألمانيا والجميع في Houstonو Cape Kennedyطالعوا H.G. Wells و Jules Verne عندما كانا صغيرين. وقد قرروا أنهم عندما يكبران سيحولان كل ما كتب في كتب الخيال العلمي إلى حقيقة. في الواقع، كان الخيال العلمي نقطة انطلاق للابتكار في العديد من الميادين. يدعي الكاتب Rene Othأن الابتكارات أو الاكتشافات التي لم يتنبأ بها الخيال العلمي مسبقًا كانت قليلة. فقد كان الخيال العلمي مصدر الغواصات، والرجال الآليين، والصواريخ المأهولة. يصر كاتب قصص الخيال العلمي Frederik Pohl- tus على أن «قراءة قصص الخيال العلمي توسع آفاق العقل».

بالطبع ليس كل الخيال العلمي على علاقة بالعلوم. فبعض كتب وأفلام الخيال العلمي شعبية، وهي في الواقع نوع مما يدعوه بعض الناس الفانتازيا العلمية. إمكانية التصديق علميًا هي غالبًا ما تكون سمة قصص الخيال العلمي، في حين أن لا شيء يحد القصص الخيالية سوى خيال من يكتبها. مع ذلك كم هي دقيقة رؤية قصص الخيال العلمي للمستقبل؟ وهل كل قصص الخيال العلمي تستحق القراءة أو حتى النظر إليها؟

نظرة على الخيال العلمي اليوم

منذ ١٣٠ سنة خلت هل كان بإمكان أي منا تخيل اختراع السيارات، والهواتف المحمولة والنقالة، والكومبيوتر؟ كاتب القصص الخيالية Jules Verne فعل ذلك. اكتشفت هذه البصيرة العلمية السابقة لعصرها، في مخطوطة لقصة Jules Verneبعنوان «باريس في القرن العشرين»، تصف Verneفي هذه القصة التي لم تنشر، أداة غريبة الشكل تشبه آلة فاكس عصرية!

ولكن حتى أدهى كتاب قصص الخيال العلمي، هم أبعد من أن يكونوا متنبئين لما يمكن أن يفعله البشر - بصورة دقيقة - على سبيل المثال، رحلة Jules Verne إلى مركز الأرض التي فتنت وسحرت كل من قرأها، لكن العلماء يعرفون الآن أنه من رابع المستحيلات القيام برحلة كهذه. كما فشل أيضًا كتاب

بدأت قصص الخيال العلمي تؤخذ على محمل الجد بعد الحرب العالمية الثانية. فالدور المثير الذي أداه العلم في هذه الحرب أعطاها نفوذًا جديدًا. وأصبحت تنبؤات كتاب ومؤلفي قصص الخيال العلمي تتمتع بمصداقية كبيرة.

قصص الخيال العلمي بالتنبؤ بالعديد من التطورات العلمية المذهلة التي حدثت. يعترف كاتب قصص الخيال العلمي Thomas Disch في مقال ظهر في The Atlantic Monthly:" أخذين في الحسبان كل إخفاقات الخيال العلمي بتصور عصر الكومبيوتر، وتأثير الدفيئة أو تدمير طبقة الأوزون أو مرض نقص المناعة المكتسبة Aids. وأخذين في الحسبان أيضًا الخلل في موازين القوى على الصعيد العالمي، عندما نأخذ في الحسبات كل هذه الأمور، نسأل: ماذا قال الخيال العلمي عن كل هذه الأشياء؟ تقريبًا ولا كلمة واحدة.

الخيال العلمي- تجارة كبيرة

بالطبع بالنسبة للمعجبين فإن الخيال العلمي هو تسلية وليس علمًا. حتى لو كان كذلك هناك من يقصرون قيمته على ما يتعلق بالتسلية. بدأت قصص الخيال العلمي تأخذ سمعتها بأنها نوع من الأدب التافه في بداية القرن الماضي، مع نشر المجلات المتخصصة في هذا النوع من الأدب. أول مجلة نزلت إلى الأسواق هي Amazing Stories سنة ١٩٢٦، وقد اشتهر مؤسسها Hugo Gernsback بأنه مبتكر الكلمة التي تطورت بعد ذلك إلى عبارة «الخيال العلمي». شعر العديد من الناس بأن قصص المغامرة المثيرة هذه ليس لها قيمة أدبية فعلية.

بدأت قصص الخيال العلمي تؤخذ على محمل الجد بعد الحرب العالمية الثانية، فالدور المثير الذي أداه العلم في هذه الحرب أعطاها نفوذًا جديدًا. وأصبحت تنبؤات كتاب ومؤلفي قصص الخيال العلمي تتمتع بمصداقية كبيرة. هكذا بدأت رسوم قصص الخيال العلمي الهزلية، والمجلات بالانتشار بشكل متزايد. وقفزت مجلدات قصص الخيال العلمي إلى قائمة أعلى الكتب مبيعًا. ولكن مع كفاح الخيال العلمي لتلبية طلب السوق المتنامي، كثيرًا كانت التضحية بالنوعية الأدبية والدقة العلمية حتى إن كاتب قصص الخيال العلمي Robert Heinlein قال نائحًا: كل ما هو سهل القراءة ومتوسط الجودة هو ما ينشر هذه الأيام... وأضافت الكاتبة Ursula K.Le Guin قائلة: «حتى الأعمال الرديئة والمصنفة درجة ثانية تأخذ طريقها إلى النشر». على الرغم من كل هذه الانتقادات، وصلت قصص الخيال العلمي إلى مستويات عالية من الشعبية، فقد حصلت على دفع جديد وعلى قدر كبير من الأهمية، ليس من العلماء، بل من صناع أفلام السينما.

الخيال العلمي - يشق طريقه إلى الشاشة الكبيرة

وُجدت أفلام الخيال العلمي منذ عام ١٩٢٠م عندما صنع Georges Melies الفيلم Trip to the Moon. وافتتن الجيل الثاني من عشاق سينما الخيال العلمي ب Flash Gorden. ولكن سنة ١٩٦٨م، قبل سنة من وصول الإنسان إلى القمر، نال فيلم ٢٠٠١م: A Space Odyssey على الاعتراف الفني وكذلك على النجاح التجاري. وهكذا بدأت هوليود تخصص ميزانيات ضخمة لأفلام الخيال العلمي أواخر سبعينيات وبداية



ثمانينيات القرن الماضي، مثل Alien، Star Wars، Blade Runner، و ET:The Extra-terrestrial، جمعت نصف إيرادات شباك التذاكر في الولايات المتحدة الأمريكية. بالفعل لقد قدم الخيال العلمي واحدًا من أهم الأفلام قاطبة، Jurassic Park. كما رافق الفيلم سيل من حوالي ١٠٠٠ منتج ل Jurassic Park. والأمر لا يدعو إلى العجب فحتى التلفزيون قفز ليلحق الموكب. فالمسلسل الشعبي Star Trek أنتج عددًا من البرامج حول الفضاء الخارجي.

على الرغم من ذلك، شعر العديد أنه خلال تلبية الطلبات الشعبية، ساوم بعض كتاب قصص الخيال العلمي على النوعية التي أعطته قيمته. ويقول الكاتب الألماني Karl Michael Armer: إن الخيال العلمي اليوم هو مجرد ماركة مسجلة لا تُعرف بمضمونها بل بالأساليب التسويقية البحتة». يرثي بعض الناس النجوم الفعليين والحقيقيين لأفلام الخيال العلمي اليوم، بأنهم ليسوا أشخاصًا بل هي المؤثرات الخاصة. حتى إن أحد النقاد قال: «إن الخيال العلمي رديء وسطحي في العديد من تجلياته».

على سبيل المثال، فإن العديد مما يسمى أفلام الخيال العلمي في الحقيقة، لا يمت بصلة إلى المستقبل أو العلم. فمشاهد المستقبل تستعمل أحيانًا كخلفية للعنف التصويري. لاحظ الكاتب Norman Spinrad أنه في العديد من قصص الخيال العلمي اليوم، يطلق النار على أحدهم، أو يطعن، أو يتبخر، أو يصاب بالليزر، أو يقطع ببراثن أحد المخلوقات الغريبة، أو يُلتهم، أو يُدمر. وفي العديد من الأفلام يصور هذا التشويه بتفاصيل مرعبة!

أمر آخر يدعو إلى الاهتمام وهو العوامل خارقة الطبيعة في عدد من قصص وأفلام الخيال العلمي. فيما لا يرى بعض الناس في قصص كهذه سوى أنها معارك مجازية بين الخير والشر، إلا أن بعضهم الآخر يذهب أبعد من المجاز، ويروج إلى ممارسات لها علاقة بمعتقدات روحانية.

لم يصل الخيال العلمي إلى أي مكان

يقدم الخيال العلمي العديد والعديد من الروايات المختلفة حول: ماذا يخبئ لنا المستقبل؟ ولكن هل أنتم مستعدون للرهان على أي من هذه الروايات تبنون عليها حياتكم؟ على ماذا ستؤسسون اختياركم؟ فلا يمكن أن تكون كل هذه السيناريوهات، أو المشاريع حقيقية. في الواقع، بما أن كل هذه التوقعات مبنية على الحدس والخيال، هل يمكن أن تقولوا واثقين أن واحدًا منها حقيقي؟ في الواقع أقرب واحد من هذه الاقتراحات إلى التصديق هو أبعد ما يكون عن الحقيقة. فالعديد من سيناريوهات الخيال العلمي لم تصل إلى شيء. بأي معنى؟ بمعنى أن أولئك الذين اعتقدوا بأن العلم قد يقود إلى حضارة أفضل على الأرض لم يصلوا إلى نتيجة. بعيدًا عن الحضارة المتحسنة، فإن واقعنا هو العكس تمامًا. لاحظ الكاتب الألماني Karl Michael Armer: أن المستقبل قد

أرهقنا وهو يشير إلى «تهديد الموت النووي العالمي، والكوارث البيئية، والمجاعات، والفقر، وأزمات الطاقة، وإرهاب الدول».

بكلمات أخرى، إن مستقبل الأرض والجنس البشري كما هو موصوف في العديد من قصص الخيال العلمي لم يتحقق. على العكس من ذلك، في أثناء تدهور الظروف على الأرض، فإن الوضع الإنساني يذهب في الاتجاه المعاكس. فعلى الرغم من أي تقدم علمي وتقني، فإن المجتمع البشري يشهد في كل مكان الجريمة، والعنف، والفقر، والبغض العرقي، وتمزق العلاقات العائلية.

زادت بعض مساعي العلماء كثيرًا «على معاناة الجنس البشري. لنتأمل بعض الأمثلة: التلوث الكيميائي للهواء، الماء والطعام. الكارثة التي حدثت في **Bhopal** في الهند، حيث أدى حادث في أحد المصانع إلى تسرب غاز سام، مسببًا موت ٢٠٠٠ إنسان وإصابة أكثر من ٢٠٠٠٠٠ آخرين. تسرب الطاقة النووية في **Chernobyl** في أوكرانيا، الذي حصد العديد من الوفيات وكان السبب في تزايد الإصابة بالسرطان وبأمراض أخرى على مساحة واسعة في المنطقة.

استعمار الفضاء الخارجي؟

عدد كبير من قصص الخيال العلمي حول المستقبل، تقترح الهرب من مآسي الحياة ومن إخفاقات المخططات البشرية على الأرض بطريقة أخرى. فهم يحولون حماسهم إلى سيناريوهات خيالية في الفضاء الخارجي. استعمال الإنسان مركبات فضائية عابرة للمجرات لاستعمار الكواكب الأخرى وأقسام أخرى من الكون هي مواضيع شائعة. مثل هذه السيناريوهات تغري العديد ليشعروا كما شعر الشخص الذي كتب إلى محرر صحيفة النيويورك تايمز: «يكمن مستقبل الجنس البشري في سبر الفضاء».

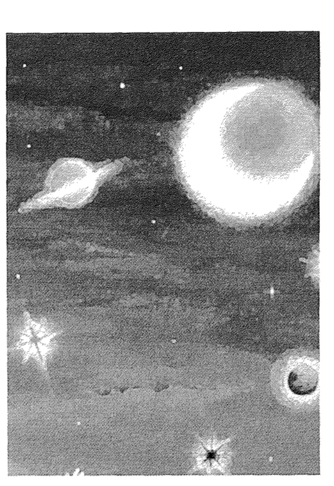
صحيح أن اكتشافات الفضاء مستمرة برحلات مكوك الفضاء وبإطلاق المعدات لسبر الفضاء. ولكن ماذا عن العيش في الفضاء الخارجي؟ على الرغم من الحديث عن رحلات فضائية مأهولة على نطاق واسع، ليس هنالك حتى الآن أية خطة موضوعة لاستعمار القمر أو الكواكب القريبة، ناهيك من المجرات الأخرى.

إن مستقبل الأرض والجنس البشري كما هو موصوف في العديد من قصص الخيال العلمي لم يتحقق. على العكس من ذلك، في أثناء تدهور الظروف على الأرض، فإن الوضع الإنساني يذهب في الاتجاه المعاكس.

في الحقيقة إن استعمار الفضاء الخارجي بجهود الإنسان ليس خيارًا واقعيًا وغير ممكن التحقيق في المستقبل القريب. وبدأنا نرى أن العديد من الأمم بدأت تتخلى عن برامجها الفضائية المرهقة اقتصاديًا.

قد تكون التكنولوجيا التي يستعملها العلماء اليوم للبحث عن عوالم أخرى متطورة، ولكن أمر واحد لا يتغير: ما زال العلماء واثقين بأننا لسنا وحدنا في الكون.كما كتب الفلكي **Otto Wohrbach**في الصحيفة الألمانية **Nurnberger Nachrichten:** من النادر أن يوجد عالم لا يؤمن بوجود حياة خارج كوكب الأرض. وضح **Gene Bylin-sky**، مؤلف«**Life in Darwin's Universe**" الأمر بهذه الطريقة: في أي يوم، إذا صدقنا الفلكيين، ستلمع إشارة آتية من النجوم لتنهي وحدتنا الكونية.

ولكن لماذا العلماء متأكدون إلى هذا الحد بأن الحياة موجودة على كواكب أخرى؟ بدأ تفاؤلهم مع النجوم. هنالك العديد منها،آلاف الملايين في مجرتنا فقط. هكذا بدأ الافتراض بوجود حياة في أماكن أخرى من الكون. فبالتأكيد، لدى العديد من هذه النجوم كواكب تدور في أفلاكها، ولا بد أن تكون الحياة قد تطورت على إحداها. فاتباع هذا المنطق يأمل الفلكيون في اكتشاف آلاف الملايين من



الحضارات في مجرتنا فقط!

ولكن ما الفرق بين إذا ما كانت هنالك حياة خارج الأرض أم لا؟ يشعر العلماء بأن الجواب سيكون له أثر هائل في العائلة البشرية. يقولون أيضًا المعرفة بأننا وحدنا في الكون قد تعلم الجنس البشري قيمة الحياة هنا وكم هي فريدة. من ناحية أخرى، يقول أحد العلماء المحترمين إن الحضارات الغريبة قد تكون أكثر تطورًا منا بملايين السنين وقد يشاركوننا حكمتهم الواسعة. قد يعلموننا كيفية شفاء أمراضنا، إنهاء التلوث، الحروب والمجاعات.

لا أمراض بعد الآن، لا حروب ولا مجاعات هذا النوع من الآمال قد يعني الكثير للعديد منا في هذه الأوقات العصيبة. لا شك أن ذلك يعني الكثير. ومع ذلك قد توافقون أنه من الأفضل ألا يكون هنالك أمل على الإطلاق، على أن نتكل على أمل كاذب. علاوة على ذلك، من المهم معرفة إذا ما كان العلماء يقفون على أرضية صلبة عندما يؤكدون لنا أن الكون محتشد بعوالم مسكونة.

الشكوك تنشأ

ولكن على ما يبدو ليست هذه هي الحال. فقد بدأ عدد كبير من العلماء يدركون أن زملاءهم قد ذهبوا بعيدًا جدًا في افتراضاتهم. حتى إن بعضهم توصل إلى عدد أقل بكثير من الحضارات المتطورة في الكون. قال بعضهم إنه لا يوجد سوى حضارة واحدة فقط وهي نحن.

ليس من الصعب رؤية أسباب الشكوك التي تساورهم. ومن الممكن تلخيص الأمر بسؤالين اثنين: إذا كانت حضارات كهذه موجودة، أين يمكن أن تعيش؟ وكيف وصلت إلى هناك؟ قد يجيب بعض منهم عن السؤال الأول بأنهم يعيشون على كواكب. ولكن يوجد كوكب واحد في نظامنا الشمسي ليس معاد للحياة بكل ما في الكلمة من معنى، الكوكب الذي نعيش نحن فيه. ولكن ماذا عن الكواكب الأخرى التي تدور حول آلاف الملايين من النجوم في مجرتنا؟ أيعقل ألا يأوي أحدها أو بعضها الحياة كما فعلت الأرض؟ في الواقع، إلى الآن لم يثبت العلماء وجود أي كوكب آخر خارج نظامنا الشمسي. لماذا؟

لأن اكتشاف أي كوكب جديد هو عملية صعبة إلى حد بعيد. بما أن النجوم بعيدة جدًا والكواكب لا يصدر عنها أي ضوء، فحتى اكتشاف كوكب عملاق مثل المشتري، هو كمن يحاول رؤية بقعة غبار تطوف حول مصباح كهربائي ضخم على بعد عدة أميال.

حتى لو كانت تلك الكواكب موجودة، وقد تجمعت بعض الأدلة غير المباشرة لتشير إلى وجودها، هذا لا يعني أنها تدور حول النوع نفسه من النجوم كشمسنا، وأنها على المسافة الملائمة من هذا النجم، وأنها بالحجم المناسب لدعم الحياة. لذلك نخلص إلى القول بأن بين قصص الخيال العلمي ما وجد طريقه إلى الواقع، فيما يبقى معظمها خيالاً من نسج مؤلفيها ينتظر إما أن يصبح قيد النسيان، وإما أن ينتقل من مرحلة الخيال العلمي إلى مرحلة الواقع العلمي الذي لا يقبل الجدل. على كل حال مسائل وأسئلة كثيرة طرحها أدب الخيال العلمي، يبقى الجواب عنها رهن الأجيال القادمة وما سيؤول إليه واقع الحال.

في نهاية اليوم الدراسي قالت المعلمة :إن بعض الأولاد ظنو أنهم يساعدون السمك بإلقاء الصلصال عليه كطعام ، ولكن هذا في الحقيقة يضر بالسمك! :

مشاهدات في روضة أطفال يابانية

ترجمة : فوزية البكر . الرياض*

(من كتاب : Japanese Schooling: Patterns of Socialization, Equality, and Political control. Ed By: James J. Shields. Jr)

* أستاذ مشارك . كلية التربية بجامعة الملك سعود .

يلتحق أكثر من ٩٠٪ من الأطفال في سن الطفولة المبكرة برياض الأطفال في اليابان. وتندرج هذه الرياض تحت نوعين: أكاديمي وغير أكاديمي.

وتعد مرحلة رياض الأطفال في اليابان هي الطريق للتحول من التربية غير المنضبطة، المدللة التي يتعرض لها الطفل في المنزل إلى التربية الصارمة في الابتدائية حيث يشترك من أربعين إلى خمسين طفلاً في مدرسة واحدة وحيث تخضع الرغبات الفردية للاحتياجات الجماعية.

يذهب الأطفال إلى الروضة من سن الثالثة أو الرابعة إلى سن السادسة وهناك ما يربو على ٦٠ ألف روضة ٦٠٪ منها غير حكومي و٤٠٪ منها حكومية.

وسنركز هنا على طرق تكوين القيم داخل الروضة وبالتحديد دور الروضة والمعلمة في تنمية السلوك التعاوني بين أطفال الروضة.

(قامت بهذا البحث: كاترين لويس واستخدمت أسلوب الملاحظة عبر زيارتها لخمس عشرة روضة).

فصل الروضة

من المدهش أن معدل الأطفال للمعلمات كان عاليًا ففي كل فصل كان هناك حوالي ثلاثين إلى أربعين طفل لكل معلمة واحدة! وفقط بين الخمس عشرة روضة الداخلة في الدراسة كان هناك روضتان بمعلمة إضافية!

كل من يدرِّس من النساء ويقضي الأطفال من ساعتين ونصف إلى خمس ساعات في الروضات.

تقسيم الطلاب إلى مجموعات صغيرة في الفصل

يقسم الطلاب إلى مجموعات من تسعة أطفال إلى عشرة أطفال بشكل دائم اعتمادًا على قبولهم لبعضهم بعضًا وليس اعتمادًا على معايير علمية كالذكاء أو المهارات.

وكل مجموعة من المجموعات لديها طاولتها الخاصة المشتركة وتنظم المعلمة المشاريع التي يقومون بها.

كل مجموعة لها اسم. المكافآت والتشجيع لا تعطى للأطفال كأفراد بل للمجموعة والعمل الذي يسند للمجموعة يتطلب عملهم بعضهم مع بعض. مثلاً في إحدى المجموعات طلبت المعلمة أن يقوموا برسم قصة معينة، بحيث تقسم خطوات القصة على أفراد المجموعة وبذا أصبح عمل كل واحد يترتب على عمل الآخر وهكذا.

هذا يتطلب أن يتفق الأطفال على قصة معينة ثم يتفقون على تقسيمها بينهم وقبل البدء في أي عمل جماعي تطلب المعلمة من كل مجموعة أن يمسكوا بعضهم بأيدي بعض البعض وأن يغمضوا أعينهم ثم يفكروا في الآخرين وبعدها يبدؤون عملهم.

عندما يسأل الأطفال سؤالاً تطلب المعلمة منهم أن يعودوا إلى أفراد مجموعاتهم لسؤالهم بقولها: اسأل الأطفال الآخرين في مجموعتك وتذكر أن تعمل الصورة التي تناسب سياق القصة الجماعية.

أدوات اللعب

تميزت المكعبات في الروضات بالحجم الهائل بحيث لا يمكن لطفل واحد أن يحركها بنفسه مما يستلزم أن يتعاون أكثر من طفل لعمل شكل معين!

أدوات الرسم: توزع على المجموعة بحيث يكون عدد الأقلام والفرشات أقل من عدد المجموعة لماذا؟ حتى يقوم الأطفال بطلب المعاونة من الآخرين وهكذا يجبرون على التفاعل. كذلك عليهم تعلم انتظار دورهم كما أنهم يتعلمون الحذر عند التقاط الفرشاة حتى لا تتطاير الألوان على الآخرين وهذا يحدده

موقع أدوات الرسم والفراشي والذي يوضع في وسط الطاولة.

أكدت المعلمات أنهن يقمن أحيانًا بسحب بعض الألعاب لتنقص عن عدد الأطفال فيتعلموا التعاون.

تقليل روح المنافسة في الحصول على انتباه المعلمة

لم يكن هناك تنافس واضح بين الأطفال للحصول على انتباه المعلمة؛ ربما لأن السلطة والمسؤولية أعطيت للأطفال أصلاً. هناك متابعة جماعية وملاحظات جماعية تصدرها المعلمة معظم الوقت.

استراتيجيات للسيطرة على سلوك الأطفال

كيف تقوم الروضة بتحويل الطفل من وسط بيئته المنزلية المدللة إلى عالم المدرسة؟

التقليل من الإحساس بسلطة أو وجود المعلمة:

كانت الأصوات والضحكات وسط المجموعات عالية، أعلى من الحد الذي يمكن أن يوجد في أي مدرسة أمريكية أو بريطانية دون أن يضايق ذلك المعلمة التي كانت تحاول التقليل من استخدام سلطتها داخل الفصل حتى الحد الأدنى.

لم يكن من الضروري أن تكون المعلمة موجودة مع الأطفال دائمًا فهي تفترض قدرتهم على السيطرة على أنفسهم وسلوكهم!

وفي الحقيقة لاحظت الباحثة أنه ربما توجد بعض الأدوات الخطرة كالمقصات والمساطر التي يمكن أن تؤذي الأطفال لكن حين سألت الباحثة المعلمة: ألا تعتقدين أن الأطفال قد يستخدمونها لإيذاء بعضهم ذهلت المعلمة من السؤال ومن افترض أن الأطفال قادرون على الإيذاء أصلاً!

فالأطفال في الثقافة اليابانية لا يميلون داخليًا إلى الخطأ أو الإيذاء!

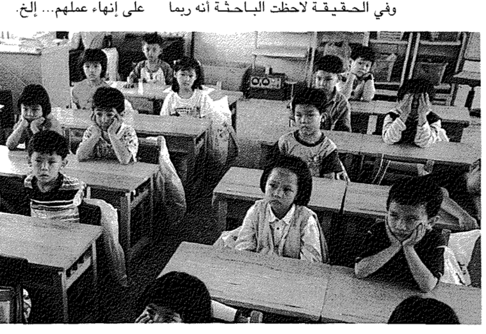
في إحدى المرات وكانت المعلمة تقف أمام حوض السمك وكان بعض الأطفال يقومون برمي قطع الصلصال في الحوض. ذكرت المعلمة أن الصلصال يمكن أن يؤذي السمك لكنها لم تطلب من الأولاد التوقف كما أنهم لم يتوقفوا!

في حديث المعلمة للفصل كله في آخر اليوم قالت المعلمة إن بعض الأولاد ظنوا أنهم يساعدون السمك بإلقاء الصلصال عليه كطعام ولكن هذا في الحقيقة يضر بالسمك!

تفويض السلطة من المعلمة إلى الأطفال

كان الأطفال في الغالب مسؤولين عن تنظيم المجموعات والإشراف على تنفيذ المشاريع وحتى حل الإشكالات داخل المجموعات.

مثلاً: الذهاب إلى المنزل في نهاية الدوام: تذكر المعلمة الأطفال بأنها ليست بحاجة إلى تذكيرهم بمسؤوليتهم وهو النظر إلى الساعة ومعرفة الوقت والاستعداد للخروج من المدرسة! وقد شوهد الأطفال يبحثون عن بعضهم للغداء أو يشرفون على إنهاء المشروع أو يحثون بعض الأطفال الغافلين أو المهملين على إنهاء عملهم... إلخ.



المعلمات يدربن الأطفال على الإشراف على عملهم وحل مشكلاتهم بأنفسهم: مثلاً: طفل كان يقوم بإلقاء الأحجار البلاستيكية من ركن المنزل: توجه له أحد الأطفال ليخبره أن هذا قد يسقط على أحد الأطفال لكن الطفل العنيد لم يرتدع واستمرفي إلقاء الأحجار. أرسلت المعلمة

طفلتين لإقناعه وطلبت منهن العودة وإخبارها بالنتيجة!

في إحدى المرات وفي الملعب الخارجي: تخاصم ولدان وبدأ شد الشعر والضرب!

المعلمة كانت تقف من بعيد. حين سألها طفل لماذا يتخاصم الاثنان؟ قالت له المعلمة: إذهب وأسألهما. شجعت المعلمة طفلين آخرين ممن كانا يراقبان العراك على أن يتدخلا ويسألا الطفلان لماذا الشجار؟ عاد الطفلان إليها: قالت لهما أنتما الآن من يعنى بالأطفال قررا ماذا تستطيعان أن تفعلا لوقف الصراع والتفتت وإدارت ظهرها.

حاول الصبيان أن يدفعا بالطفلين المتعاركين إلى الاعتذار بعضهما إلى بعض دون جدوى. هنا طلبت المعلمة من فتاة أخرى أن تذهب للمساعدة ولتربت على كتفي الصبيين حتى يهدأ واقترحت عليها أن تأخذ معها فتاة أخرى، أخبرت المعلمة الجميع أنها لن تتدخل وعلى الفصل أن يجد حلاً لمشاكله!

بدأت الفتاتان تتحدثان مع الولدين طالبتين منهما الاعتذار. قامت المعلمة الآن بوضع دائرة حول الصبيين المتصارعين وأدخلت فيها كل من قام بمساعدتهم في حل المشكلة في حين طلبت من الباقين أن يذهبوا للغسيل استعدادًا للعودة للمنزل.

من يوجد في داخل الدائرة من الأطفال الآخرين حاول تهدئة المتصارعين. أمسكوا بأيدي بعضهم كحلقة، اعتذر البعض وبشكل جماعي.

من بعيد تقف المعلمة وتراقب: قالت لباقي الفصل يبدوا أن المشكلة حلت.

أحد الصبية من المتخاصمين ظل يبكي رغم ذلك. قالت له المعلمة إنها مشكلتك الآن. لقد انتهت المشكلة واعتذر الجميع. قرر متى تريد الانتهاء.

بعد أن استعد الأطفال للخروج جلسوا في الحلقة الأخيرة: تحدثت المعلمة بإسهاب عن الحادثة وأسماء الولدين وكيف تضاربوا وكيف تدخل الآخرون، وناقش الأطفال في هدوء المسألة ليصلوا إلى نتيجة أنه لو اعتذر أحدهم من الأول لما حدثت المشكلة!

هذا كله والأهالي ينتظرون خارج المدرسة بعد أن تجاوزت المعلمة والأطفال وقت خروج المدرسة بنصف ساعة!

إتاحة الفرصة لتنمية الشعور بالذات

بالإضافة إلى المسؤوليات غير الرسمية الملقاة على عاتق الأطفال في إدارة الصف. معظم الروضات لها ما يسمى Monitories (ملاحظون) من الأطفال أنفسهم وهم المسؤولون عن بعض الأدوار الظاهرة مثل توزيع الشاي على الأطفال في فترة الغداء، اتخاذ القرار داخل المجموعات فيما يخص من انتهى من عمله والانفضاض من المجموعة والبحث عن الأطفال المختفين... إلخ!

وهكذا تساعد المعلمة الأطفال على إنشاء علاقات داخل المدرسة معتمدة على الأطفال الآخرين وليس عليها.

مثلاً في إحدى المرات: إحدى المجموعات لم تنه عملها لأنهم أخذوا في اللعب وتركوا علمهم.

استشارت المعلمة باقي المجموعات عن ماذا نعمل إذا لم تستطع المجموعة أن تقنع بعض أفرادها بالعمل الجماعي.

أحد الأطفال اقترح أن يقوم باقي أفراد المجموعة بالصراخ بصوت عال على الأطفال الذين يلتهون باللعب، وهذا الحل لا يركز على العقاب وإنما على استراتيجية لتنمية روح العمل التعاوني بين وداخل المجموعات المختلفة.

محاولة تجنب فكرة أن الأطفال يسيئون السلوك بطبعهم

مثلما فعلت المعلمة مع الأطفال الذين قاموا بإلقاء الصلصال في حوض السمك فهي لا ترجع خطأ الأطفال إلى رغبة الأطفال في الإساءة أو إلى دوافع داخلية. السلوك الخطأ كما تراه المعلمة اليابانية هو (خارجي) عن

أدوات الرسم : توزع على المجموعة بحيث يكون عدد الأقلام والفرشات أقل من عدد المجموعة لماذا ؟ حتى يقوم الأطفال بطلب المعاونة من الآخرين وهكذا يجبرون على التفاعل .

الطفل وغريب عليه ولذا فهي تعمد إلى استراتيجية شرح السلوك الصحيح المتوقع.

الأطفال يخطئون لأنهم قد ينسون الوعود التي قطعوها على أنفسهم أو أنهم لم يفهموا ما هو الصح. ولذا فوسائل الضبط المستخدمة من قبل المعلمة تأخذ في أكثر الأحيان طريقة الشرح المبسط للسلوك المناسب أو مجموعة من الأسئلة المتتالية التي تبني على فرضية أن الأطفال لا يمكن أن يقدموا على الخطأ وهم يعرفون!

مثلاً طفل قام بإخفاء حذاء طفل آخر كان يقوم بغسل رجليه. قامت المعلمة بتوجيه عدد من الأسئلة إليه: هل طلب منك (اسم الطفل) أن تحرك الحذاء من مكانه؟ ماذا يحدث لو كنت تغسل قدميك وانتهيت ولم تجد حذاءك؟ هل تعلم أنه سيكون ألطف مساعدة بين في العثور على حذائه؟ واختتمت المعلمة تساؤلاتها بالآتي: هذه المرة انتهت ولكن حاول أن تتذكر كل ذلك المرة القادمة.

حادثة أخرى حينما هم طفل برمي مكعب كبير على طفل آخر. أسرعت المعلمة وطلبت (استعارة) الحجر من الطفل! ثم قامت بتمثيل ما يمكن أن يحدث لو سقط هذا الحجر على رأس الطفل الآخر يلمس رأس الطفل نفسه. المعلمة بعد ذلك أعادت الحجر لنفس الطفل وطلبت منه أن يحمله بعناية. المعلمة لم تطلب من الطفل أن يضع الحجر أو أوحت إليه أنه كان يهم بإيذاء الطفل الآخر ولم تعطه أية توجيهات أخلاقية مباشرة!

حينما سألت الباحثة المعلمات عن طرقهن في التعامل مع السلوك الخطأ، كانت إجابة المعلمات المتكررة أن المتعة في المدرسة هي المفتاح السحري للسلوك الجيد لدى الأطفال.

الارتباط العاطفي بين المعلمة والطفل والصداقة مع الأطفال الآخرين كانا عاملين أساسيين للتمتع بالمدرسة.

ومن التقنيات المستخدمة لبناء علاقة طيبة بين الطفل والمعلمة: إبقاء المعلمة مع الطفل لسنتين أو ثلاث وكذلك زيارات المعلمة لمنزل الطفل. كما تبذل المعلمات والإدارة جهودًا كبيرة في أول العام لبناء المجموعات وتقوية الصلات بين الأطفال داخلها مثلاً: لقاء لأمهات الأطفال في كل مجموعة بحيث تلتقي مجموعة الأطفال ومجموعة الأمهات في الوقت نفسه وهكذا.

مناقشة

مما تقدم يتضح عدد من الافتراضات التي تقوم عليها التربية في اليابان منها:

* الأطفال أصغر من ستة أعوام أو سبعة أعوام غير قادرين داخليًا على الإيذاء.

* قدرة الطفل على إدارة نفسه.

* قدرة الطفل على معالجة المشكلات.

* استجابة الطفل لتوجيه أقرانه مقابل استجابته لتوجيه الكبار.

* تفويض السلطة للأطفال في إدارة الفصل أو معالجة صراعات الأقران أو الإشراف على إنهاء العمل داخل المجموعة.

- ما النتائج المحتملة لإعطاء الأطفال فرصة لتطبيق ومتابعة تطبيق القوانين مقارنة بالكبار كالمعلمة؟

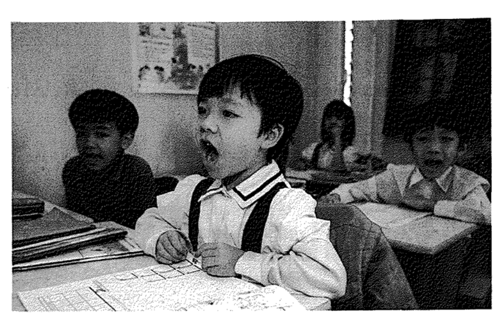
عدد من النتائج محتملة: هذه الاستراتيجية تعطي المعلمة فرصة ألا تفرض على الطفل الكثير من الأوامر والقوانين.

أولاً: في الروضة اليابانية يتحمل الأطفال الكثير من المسؤوليات: التأكد من إنهاء زملائهم للعمل. مراقبة الأطفال فترة الأكل. إنهاء الصراعات مافي حين تبقى المعلمة كمدير خارجي يرتبط الأطفال به بعلاقة حب كبيرة.

ثانيًا: تحمّل الطفل لنتائج أعماله السلبية: حينما نسي أحد قادة المجموعات أنه وقت الأكل تلقى ضربة

الضبط لا يأتي بأوامر من عالم الكبار الذين يضعون القوانين . هو يأتي من الأطفال أنفسهم الذين يقترحون ويطبقون العقوبات بعضهم على بعض!

قوية على ظهره من باقي أفـراد المجـموعـة الجائعين! وذلك لتحويل انتباهه إلى حاجة المجموعة.



إن وقوع الطفل تحت هذا النوع من العقوبات المباشرة المرتبطة مباشرة بالفعل والتي تحدث داخليًا من ضمن المجموعة يجعلها نتائج طبيعية لسلوكه بما يدفع إلى تعديل كبير وسريع في السلوك.

الضبط لا يأتي بأوامر من عالم الكبار الذين يضعون القوانين. هو يأتي من الأطفال أنفسهم الذين يقترحون ويطبقون العقوبات بعضهم على بعضهم!

ثالثًا: إن نقد الأصحاب بعضهم لبعض يمثل تهديدًا أقل لذات الطفل في مواجهة المجموعة مقارنة بما لو صدر من عالم الكبار. نقد الكبار قد يشعر الطفل بأنه سيئ مقارنة بنقد الأقران الذين يبدون أكثر طبيعية وتلقائية وكنتيجة مباشرة وفي لحظة السلوك نفسه.

رياض الأطفال في اليابان: تعليم أكاديمي أو غير أكاديمي

كما في كل مكان في العالم: تظل المناقشات الدائرة كالآتي: ماذا نعلم الصغار في رياض الأطفال؟

هل نعلمهم القراءة والكتابة وبعض المفاهيم الرياضية أم أنهم ما زالوا غير مستعدين عقليًا وفسيولوجيًا؟

تختلف الروضات في اليابان وتتنوع حول هذا الموضوع فمنها ما يؤكد أهمية تعليم الطفل مبادئ القراءة والكتابة وإعداده للمدرسة الابتدائية وآخرون يرون التركيز على المفاهيم والمهارات وترك الحرية للطفل.

العديد من الروضات في اليابان تلجأ إلى إدخال المواد الأكاديمية في مناهجها وذلك لجذب أكبر عدد ممكن من ا لأطفال حيث تعاني الروضات من التناقص المستمر في نسب التحاق الأطفال بها، وذلك للتناقص التدريجي في عدد الأطفال في اليابان والناجم عن انخفاض النسل بشكل عام كما لجأ عدد آخر إلى تطوير مناهجهم وتوسيعها لتشمل تعلم مهارات عديدة بشكل منظم مثل تعلم الموسيقا أو الرسم أو السباحة.

حجم الفصول الدراسية ونسبة الأطفال إلى المدرسات في الروضة

رغم أن التلاميذ اليابانيين قد تمكنوا منذ الصف الأول الابتدائي من التفوق على جميع أطفال العالم بما فيهم الأطفال الأمريكيون في معظم الامتحانات العالمية، إلا أنه من المدهش أن نعرف أنه وفي حين لا تتعدى نسبة الأطفال إلى المعلمة أكثر من ٨، تحدد وزارة التربية والتعليم في اليابان سياساتها في هذا المجال كالآتي:

* الأطفال في عمرسنة وأكثر: أربعة أطفال للمعلمة الواحدة.

* الأطفال فوق سنتين ٨ أطفال للمعلمة الواحدة.

* أطفال ثلاث، أربع، خمس سنوات: ٣٠ طفلاً للمعلمة الواحدة.

ما فلسفة اليابانيين في هذا المجال؟

ترى الفلسفة اليابانية أن كثرة عدد الأطفال يتيح فرصة أفضل للطفل للتعرف والتعامل مع أنماط عديدة من البشر والاستفادة منهم، كما يخلق الكثير من المواقف التربوية التي يتعلم منها الأطفال ويمارسون خبرات علمية أو اجتماعية أو حتى سلبية لكنها ضرورية لنموهم وتوازنهم.■

أولياء الأمور منشغلون في السيطرة على الأوضاع :

٨٦٪ من الأطفال يشاهدون التلفزيون ٦ ساعات يوميًا!

المصدر : صحيفة الإندبندنت البريطانية
٣ سبتمبر ٢٠٠٣م
الكاتب : ساره كاسيدي
ترجمة وتحرير : المعرفة

أظهرت دراسة حديثة أن ثلث عدد الأطفال ممن هم دون الرابعة من العمر لديهم الآن جهاز تلفزيون خاص بهم في غرفة نومهم. وكشفت الدراسة أيضًا أن الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة يشاهدون التلفزيون أكثر من ساعتين يوميًا.

وقد اشتكى ديفيد بيل، كبير مفتشي المدارس، الشهر الماضي من أن مهارات الاتصال (التواصل) والسلوك بين الأطفال والبالغين من عمر خمس سنوات أصبحت أدنى مما كانت عليه من قبل. وذكر بيل أن الآباء وأولياء الأمور قد فشلوا في فرض النظام السليم في المنزل، واكتفوا بكل بساطة بترك أطفالهم أمام شاشات التليفزيون بدلاً من التحدث واللعب معهم. وحذر كبير المفتشين من أن هذا قد أدى بدوره إلى تردي سلوك الأطفال في الفصول، وبدا أن أطفال المرحلة الابتدائية يلتحقون بتلك المرحلة وهم غير مؤهلين على نحو طيب لذلك.

وشملت الدراسة المذكورة إجراءها مقابلات مع ٧٥٠ ولي أمر ممن لديهم أطفال حتى سن السادسة من العمر. وأجرى المقابلات مركز إن أو بي للتعليم المبكر.

وكشفت الدراسة أن ٨٦٪ من هؤلاء الأطفال يشاهدون التليفزيون لنحو ست ساعات يوميًا. وتبين أن ٧٪ من الأطفال الصغار يشاهدون برامج تليفزيونية لأكثر من ست ساعات في اليوم، ونسبة أخرى مماثلة من الأطفال لا يشاهدون التليفزيون مطلقًا. وأقر الآباء بأن أطفالهم يمضون أوقاتًا كبيرة أمام شاشات التليفزيون، ورأى ٦٩٪ من الآباء أن الأطفال الصغار يشاهدون برامج تليفزيونية بنسبة أكبر من تلك التي كان يشاهدها الآباء عندما كانوا في نفس عمرهم.

ويرى بعض علماء النفس أن السماح للأطفال بمشاهدة التليفزيون دون رقابة أو سيطرة يعتبر «أمرًا خطيرًا» وحذروا من أن ذلك يمكن أن يعوق تطورهم ونموهم. وتقول البروفيسور سينازيا ماكفي، محاضرة علم النفس بجامعة جلاسجو كليدونين: يجب على الآباء أن يراقبوا البرامج التي يشاهدها أطفالهم والمدة التي يمضونها في ذلك النشاط.

وتضيف سينازيا ماكفي: «من السهل أن تجد طفلاً في عمر الخامسة أو السادسة يستيقظ من نومه، فيفتح جهاز التليفزيون الخاص به عند الساعة العاشرة صباحًا ويظل يشاهد برامج عنيفة على مدار اليوم.

وحينما يشاهد الأطفال هذه البرامج يتعلمون كيفية التصرف على نحو عنيف، ففي ظل عدم وجود شخص بالغ معهم يخبرهم بأن هذا السلوك العنيف ليس أمرًا سويًا، سيتعلم هؤلاء الأطفال العنف، وقد يقلدونه».

وتواصل سينازيا ما كفى حديثها قائلة: «باعتباري أمًا عاملة لدي أربعة أطفال، أتفهم حجم الإغراء المتمثل في انغراس طفلك أمام شاشة التليفزيون، لكن الأطفال في حاجة لمن يعلمهم كيف يمتعوا أنفسهم بما يشاهدون. إن اللهو التخيلي المصور أمر مهم للغاية، وتتسم برامج الأطفال التليفزيونية بقدر هائل من التخيل، لكنها لا تؤدي بهم إلى تشكيل وإبداع شخوصهم الخاصة بهم في عقولهم وأذهانهم لأنها تشكل كل هذا وتقدمه جاهزًا لهم».

وتخلص سينازيا إلى أن «هناك أسبابًا اجتماعية وتعليمية وإبداعية وأخلاقية تجعل من فكرة السماح للأطفال بامتلاك جهاز تليفزيون في حجراتهم فكرة سيئة».

وصرح مارتين لويد إليوت، العالم النفساني بمركز عدن الطبي في شارع كينج ببلدة تشيلسي، بأنه سيحث جميع الآباء على حرمان أطفالهم من حيازة أجهزة تليفزيون بغرف نومهم، وعلى مقاومة إغراء استخدام هذه الوسيلة «كدمية مرئية فهذه ظاهرة اجتماعية جديدة وانعكاس مرير للحياة الحديثة. فبعض الأطفال يتلهفون ويشتاقون لممارسة الأنشطة البدنية وللتواصل الاجتماعي مع الآخرين، لكننا نشهد الآن مزيدًا من الأطفال الانطوائيين خصوصًا في الأسر ذات العائل الواحد أي التي يتوفر فيها أحد الوالدين فقط.

ولا شك أن كثيرًا من الأطفال يجد سلواه وعزاءه في التليفزيون، بل كثير من الآباء المشغولين يستخدمون هذا الجهاز الخطير

كأحد العناصر المساعدة في العناية بالأطفال».

ويضيف لويد إليوت قائلاً: «إن الأطفال في حاجة إلى اللعب الخلاق أو الإبداعي، وإلى الإحساس بالدفء الاجتماعي، وإلى الأنشطة والتمرينات الحركية، وقد يقول بعض الآباء إن التليفزيون يمكن أن يكون أحد الوسائل التعليمية، فأرد عليهم بأننا إذا تركنا الأطفال مع أجهزتهم، فلن يختاروا إلا برامج الرسوم المتحركة.

إنني أعتقد أن التليفزيون يترك آثارًا سلبية على الأطفال بنسبة ٨٠٪ وآثارًا إيجابية بنسبة ٢٠٪ فقط!!».

لكن بول فان دين بروك، أستاذ علم النفس التعليمي بجامعة مينيسوتا، يرى أن الأطفال الذين بمقدورهم فهم المسلسلات التليفزيونية في سن مبكرة من عمرهم قد يصبحون قارئين جيدين. «فقد اكتشفنا أنه إذا استطاع الطفل أن يفهم القصص في الوسائل غير المطبوعة (كالتليفزيون وأجهزة الـ«دي في دي **DVD**» والأشرطة الممغنطة) في سن السادسة وقبل أن يتعلم القراءة، فهذا ينبئ على نحو طيب بنتائج مبشرة بشأن فهم الطفل للقصص والروايات في سن الثامنة».

ووجدت الدراسة أيضًا أن ٨١٪ من الأطفال دون السادسة من العمر لديهم ألعاب الكمبيوتر وأن أكثر من ثلث الأطفال في عمر الخامسة أو السادسة يلعبون ألعاب الفيديو بشكل منتظم.

لكن نحو ٦٠٪ من الآباء ذكروا أن أطفالهم يقضون وقتًا في اللعب خارج المنزل أكثر وأطول مما كان متاحًا للآباء أنفسهم. وكشفت الدراسة أن متوسط وقت لعب الأطفال يصل لـ ٣,٦ ساعة في اليوم خلال شهور العطلة الصيفية.

ويرى الدكتور بريان يونج، أستاذ علم نفس الأطفال بجامعة اكستر، أن بمقدور الأطفال الاستفادة عاطفيًا وذهنيًا من التليفزيون إذا شاهدوا برامجه مع آبائهم، حيث يمكن أن يصبح التليفزيون بناءً وفعالاً وممتعًا من خلال شرح الآباء لمضامين ما يشاهدونه، خصوصًا أن معظم البرامج التي يشاهدها الأطفال موجهة أصلاً للكبار أو للبالغين.

هل يجب أن يتمتع الأطفال بحيازة التليفزيون وحرية المشاهدة؟

المؤيدون:

- يساعد الآباء المشغولين، من خلال إمتاع أطفالهم وشغلهم عنهم.
- يستطيع الأطفال مشاهدة البرامج المتخصصة دون أن يزعجوا باقي أفراد الأسرة.
- ييسر على الصغار الاطلاع على مزيد من البرامج التعليمية.
- لا يشعر الأطفال بأنهم منعزلون عندما يحدثهم أقرانهم ممن لديهم أجهزة خاصة بهم عن البرامج التي يشاهدونها.
- يرى بعض الباحثين أن القدرة على فهم القصص غير المطبوعة في سن السادسة تنبئ وتبشر بقدرة الأطفال على استيعاب القصص المقروءة في سن الثامنة.

المعارضون:

- يمكن للأطفال أن يشاهدوا برامج ذات مضامين عنيفة أو لا أخلاقية إذا أتيح ذلك دون رقابة أو سيطرة.
- يشاهد الأطفال، الذين لا يلقون أي متابعة من الوالدين، التليفزيون لفترات زائدة عن الحد.
- يمكن استخدام الوقت الذي يمضيه الأطفال ملتصقين أمام شاشة التليفزيون في أداء ألعاب إبداعية، خصوصًا أن الأطفال قد لا يعرفون كيف يمتعون أنفسهم بالألعاب.
- الأطفال الذين يمضون معظم وقتهم في الجلوس أمام التليفزيون منذ سن مبكرة من عمرهم معرضون لخطر الإصابة بالبدانة أو السمنة الزائدة.
- الإفراط في مشاهدة التليفزيون قد يعني إخفاق الأطفال في تعلم المهارات الاجتماعية، لأنهم نادرًا ما يضطرون إلى التعامل أو التفاعل مع أطفال آخرين.

فيما يتعلق بالتحاقهم بالتعليم :

التمييز ضد الفتيات.. ما زال مستمرًا

المصدر : صحيفة فاينانشال تايمز
٦ نوفمبر ٢٠٠٣م
الكاتب : ميراندا جرين
ترجمة : أحمد أبو زيد محمد

ما زالت الفتيات في دول العالم النامي يواجهن تمييزًا شديدًا فيما يتعلق بإمكانية التحاقهن بالتعليم. ويظهر هذا الأمر على وجه التحديد بوضوح في دول جنوب صحراء إفريقيا، وجنوب وغرب آسيا، ودول عربية عدة.

وقد لاحظ الباحثون الذين يرصدون التقدم الحادث نحو تحقيق شعار «التعليم لتحقيق كل الأهداف» الذي أعلنته قمة داكار بالسنغال، الذي انعقد في شهر إبريل من عام ٢٠٠٠م، أن عديدًا من الدول أخفقت في تحقيق المساواة بين الجنسين فيما يتعلق بقيد الأولاد والبنات في المدارس لتلقي التعليم، وهو الهدف المتفق على إنجازه بحلول عام ٢٠٠٥م.

فدول مثل: تشاد، وبنين، وبوركينا فاسو، وغينيا بيساو، ومالي، والنيجر، وباكستان تعاني ضعفًا شديدًا في فرصة وصول والتحاق الفتيات بالدراسة، ومن ثم فهؤلاء الفتيات لن يحظين على الأرجح بفرصة تحقيق الهدف المنشود.

وعلى الرغم من حدوث تقدم على مستوى العالم في قيد البنات في المدارس، فإن ٥٧٪ من نسبة الأطفال غير المقيدين في المدارس كانت من البنات في عام ٢٠٠٠م، وهو آخر موعد تم تحديده لتلقي الإحصاءات المتاحة. ففي إحدى عشرة دولة، من بينهن سبع يقعن في جنوب الصحراء الإفريقية، تدنت نسبة فرص بدء الفتيات الدراسة عن الأولاد بمقدار ٢٠٪.

وقد أشار تقرير منظمة التربية والعلوم والثقافة التابعة لهيئة الأمم المتحدة (اليونيسكو)، الذي نشر في الخامس من شهر نوفمبر ٢٠٠٣، إلى أن التعرف على هذه الدول والتركيز على ربات المنزل اللائي ابتلين بشدة بعدم المساواة بسبب جنسهن هو الأسلوب الأفضل لتستهدف المساعدات والتحركات تلك الدول الأشد فقرًا والتي تعاني أعلى مستويات التمييز.

وقد صرح كريستوفر كولكلو، مدير فريق البحث التابع لليونيسكو بأن تعليم الفتيات، علاوة على كونه حقًا إنسانيًا، يعتبر استثمارًا اقتصاديًا واجتماعيًا قويًا، خصوصًا وقد تبين وجود علاقة وثيقة بين عدم المساواة بين الجنسين في التعليم والفقر. فمعدلات الخصوبة أو ما نعني به نسبة المواليد، وصحة الأطفال والنساء، والفرص المتاحة أمام باقي أفراد الأسرة تحسنت جميعها بفضل تعليم الإناث.

وأضاف كولكلو أن أعراف وقيم المجتمع في دول كثيرة تحجب الفتيات في مؤخرة اهتماماتها، على الرغم من أن التشريعات بمقدورها أن تخلق البيئة المناسبة للتطوير والتحسن. ويعتبر عاملا الفقر والدين - في رأي معدي البحث - سببين لبقاء الفتيات في البيت أو في العمل بدلاً من استمرارهن في الدراسة.

وتعد عمليات الزواج المبكر في بعض أجزاء قارة إفريقيا وآسيا أحد المعوقات الهائلة أمام تعليم الفتيات، ويزداد الأمر سوءًا بارتفاع احتمالية إصابة البنات بمرض الإيدز أو فيروس إتش آي في المسبب له عن أقرانهن من الذكور. فالبنات في إفريقيا معرضات بنسبة تزيد على ٤٪ إلى ٧٪ للإصابة بالمرض، بل وعرضة أكبر لسحبهن من المدرسة للاعتناء بالأقارب المرضى والاهتمام بهم.

وقد دعا فريق الرصد إلى تقديم المنح الدراسية المجانية وإيمانات الدخل للفتيات وتوفير مزيد من المدرسات لتوفير بيئة أكثر أمنًا ومعاونة للبنات في المدارس، وتقديم خطط ومشروعات لإعادة دخول الفتيات الحوامل للمدارس مرة أخرى.

وذكر السيد كريستوفر كولكلو أن على الدول المانحة أن تزيد على نحو مميز مساهماتها الخاصة بالمشروعات التعليمية. لكنه أعرب عن قلقه الشديد لوجود هوة شديدة في تمويل التعليم الأساسي في عشر دول، استثناها لتلقي إعانة عاجلة من قبل برنامج مبادرة المسار السريع التابعة للبنك الدولي.

وأشار السيد كولكلو إلى أن هناك ضرورة ملحة لمضاعفة المساعدة الدولية للتعليم لتصل إلى نحو سبعة بلايين دولار أمريكي في العام، وهو ما يعني أربعة أضعاف نسبتها الحالية البالغة ١.٥ بليون دولار أمريكي سنويًا.

وختم السيد كولكلو حديثه قائلاً:«إن الإنفاق على التعليم في السنوات الأخيرة كان مخيبًا للآمال للغاية».

ولم تنس الصحيفة كي تدلل على وضع الفتيات المزري في فرص الالتحاق بالمدارس، أن تنشر صورة لفتاة من زامبيا تحمل الماء على رأسها وهي في طريقها للمدرسة، وهو ما يشير إلى صعوبة استغناء الأسرة عن عمل الفتاة من أجل لقمة العيش، ومن ثم تكون التضحية بالبنات كأهون الشرور في نظر تلك الدولة الفقيرة للغاية.

اكتشف «شيطانك» الصغير!

مشاعل العمر . الرياض

هل تخايلت يومًا بالشيطان (والعياذ بالله)؟ هل تخيلت شكله ذات تأمل؟ كيف هي ملامحه في نظرك؟ هل رأيت بشاعتها؟ ماذا لو قلت لك إن الشيطان بداخل صديق لك أو حبيب أو قريب وشيطانه هذا هو الذي يحاكيك ويجالسك؟

ماذا لو أنك نظرت إلى نفسك في المرآة ورأيت هذا الشيطان؟ ما شعورك في هذه اللحظة؟

بالطبع جميعنا يعرف مجموعة الشياطين ويعرف كبيرهم (إبليس) الذي أقسم بأن يغوي جنس البشر جميعًا (إلا من رحم ربي)

كي يدخلوا جهنم معه قال تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص :٨٢ - ٨٥].

ولكن هل ستصدقني إن قلت لك إن بداخل كل منا شيطانًا آخر غير الشيطان المذكور في القرآن؟ هو ليس مخلوقًا مستقلاً كإبليس لا .. وليس أيضًا شيطانًا لكن من شدة شره سميته بالشيطان ففعله فعل الشياطين تمامًا، لكنه بكل أسف ليس مخلوقًا مستقلاً عنا نستطيع التعوذ منه وطرده، بل هو جزء من تركيبة أرواحنا، فبداخل روح كل إنسان قوتان (خير - شر) وقد سميت قوة الشر هذه بالشيطان الصغير، وهذه القوة ستظل جزءًا منا لن نستطيع الفكاك منها بكل أسف وسنعيش حتى الممات في جهاد معها، وسبحان الله ما أعظم هذا المخلوق (الإنسان)! نعم هو عظيم بالاختبار الذي قدره الله، عزوجل، له لقد جعل الله إبليس الذي أقسم بأن يدخل كل من تبعه إلى جهنم ونظل معه في جهاد! ووجد بداخل الإنسان أيضًا شيطان آخر صغير يجهر أيضًا بأن يدخل الإنسان عذاب الدنيا، وذلك عن طريق إغراقه في الهموم والآلام ونظل نحن أيضًا مع هذا الشيطان في جهاد! فهل رأيتم عظمة الإنسان وقوته إن هو تخطى هذا الجهاد العظيم؟

لن نتحدث عن إبليس ومكره وخداعه وأساليبه فهي مذكورة في أكثر من مجال، ومعروفة للغالبية منا، ولكن دعونا نفكر في هذه الروح الشريرة التي بداخلنا، أو هذا الجزء الشيطاني الذي قد يحرك ويقود أشخاصًا كثيرين منا دون أن نشعر بذلك.

ولهذا الجزء أكثر من اسم في المراجع والكتب المهتمة، منها نعته بـ (الجزء المخرب) لأنه بالفعل كذلك!

ربما يكون وجود هذا الجزء الشيطاني بداخلنا أمرًا وقعه سهل على أنفسنا نوعًا ما لو كان موجودًا فقط فينا نحن دون غيرنا، لكن مع وجوده في غيرنا يصبح

الأمر أكثر تعقيدًا.

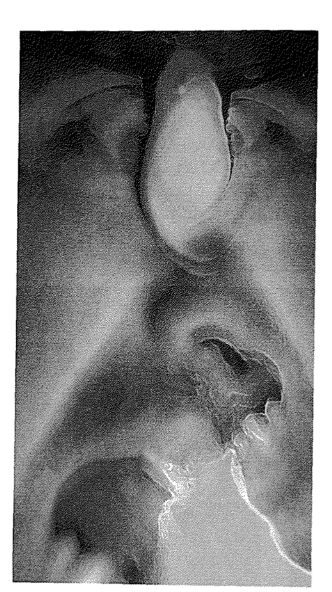
وقد يحدث أن تكتشف فجأة في أثناء جلوسك مع صديق أو أخ أو قريب تناقشون موضوعًا ما أو تشكون مشكلة ما، أن روحه الشيطانية بدأت في الحراك وبدأت تحفزك على أمور شيطانية، وهو بكل أسف لايشعر بها لكن أنت تعلم جيدًا بوجودها وتشعر بها، بل وتراها من خلاله، وتظن أنك لاتملك أمامها إلا تجاهلها.

في بداية معرفتي بهذا الشيطان الصغير طرحت عدة تساؤلات على نفسي كي أتعرف على هذا الجزء المخرب مثل: ما معالمه؟ ما ملامحه؟ متى يظهر؟ ولماذا؟ كي أستطيع أن أحدد أن من يقوم بهذا السلوك الذهني أو الجسدي من خلالي أو من خلال الآخرين إنما هو الجزء المخرب أو الشيطاني الذي لايهدف إلا إلى الدمار والخراب، وفي النهاية توصلت إلى أن المسألة ربما لاتحتاج إلى الكثير من هذه التساؤلات بقدر ماتحتاج إلى أن نسأل سؤالاً بسيطًا جدًا لكنه أيضًا سؤال مهم وهو: هل هذا التصرف يقع تحت الجزء البناء أم الجزء المخرب؟ الإجابة عن هذا السؤال صعبة جدًا في البداية إن نحن علمنا أن الجزء الشيطاني يشترك أيضًا حتى في (الإجابة) عن هذا السؤال ويحاول بعدة طرق أن يقنعك أحيانًا بكل منطقية أنه فعلاً على صواب، ويصوّر لك الموقف أو السلوك الذي تقوم به على أنه لمصلحتك، ولكن كسر هذا الشيطان سهل جدًا فقط إن أنت دخلت في حوار صادق مع نفسك ورأيت هل فعلاً الأمر يصب في مصلحتك أم لا؟

وخذ مثالاً بسيطًا جدًا على ذلك.. تبدأ بقراءة كتاب أعجبك وما إن تبدأ حتى يبدأ شيطانك في العمل والوسوسة ويقول لك: تقرأ لأنك إنسان لايجيد سوى القراءة ولاتجيد شيئًا آخر، أنت إنسان فاشل تضيع كثيرًا من وقتك في القراءة، في وقت يجمع الناس فيه من حولك أموالاً ويحققون أحلامهم، وأنت ما زلت قابعًا على هذا المقعد تضيع المزيد من الوقت في القراءة. فجأة تتوقف عن القراءة وتتبع هذا الصوت النابع من داخلك، وتبدأ في التساؤل هل أنا فعلاً إنسان فاشل؟ وتبدأ التساؤلات والحوارات مع نفسك بعد ذلك، ويحاول الجزء الشيطاني من جهة أن يجمل لك الصورة ويقول أنا أهدف إلى مصلحتك وإلى أن تكون إنسانًا غنيًا وأن تحقق أحلامك ووو...إلخ كلامه المنمق، ومن جهة يرد الجزء البناء بأن هذا جزء مخرب يريد أن يحرمني من الفائدة التي ستعود عليّ من القراءة وأن وقت جمع المال لم يأت حينه بعد، لو تتبعت أنت هذا الحوار النفسي إلى نهايته حتمًا ستصل إلى نتيجة وستقرر بعدها إن كانت القراءة تصب في مصلحتك أم لا؟ وإن كان هذا الصوت الذي يدفعك إلى ترك القراءة هو فعلاً يسعى إلى مصلحتك أم إلى دمارك؟ فقط عليك أن تصطاد هذا الشيطان كلما وقعت عليه متلبسًا بالجرم المشهود، واقذفه بهذا السؤال (هل تريد مصلحتي؟) وانظر إلى إجابته وتتبعه بعد ذلك.

وبعدها، لك أن تشعر بالسعادة لأنك ستبدأ مرحلة جديدة، حيث سيكون من السهل عليك رؤية هذا الشيطان كلما ظهرلك أو من خلال الآخرين، وإذا وصلت إلى هذه المرحلة أبارك لك وأقول لك لم يبق إلا القليل ولم يبق إلا أن تتجاهله فقط. نعم هذا هو الحل الوحيد لأننا لا نملك طرده من أنفسنا ولا من الآخرين، لأنه جزء لايتجزأ منا

فقط عليك أن تصطاد هذا الشيطان كلما وقعت عليه متلبسًا بالجرم المشهود. واقذفه بهذا السؤال (هل تريد مصلحتي ؟) وانظر إلى إجابته وتتبعه بعد ذلك.



ومنهم، وعلينا التعايش معه لذا تجاهله وانته. لكن كلمة (تجاهله) قد تفهمها خطأ وقد تعتقد أنني أقول لك إنك كسبت حربك معه ولم يبق إلا أن تستسلم لوجوده بداخلك وبداخل غيرك، لا بالطبع فأنا أقصد بتجاهله أنك لا تملك أمام هذا الجزء سوى تجاهله وإعمال الجزء الآخر، فالجزء الشيطاني هذا كالشيطان تمامًا لايكل ولايمل من المحاولات والتكرار معك ومع غيرك ولا يعرف اليأس مطلقًا ويحتاج باستمرار إلى المحاربة والقمع.

ولنأخذ مثالين آخرين أيضًا كي تتضح الرؤية أكثر..

المثال الأول عن شيطانك الصغير.. تقرر زيارة صديق لك أو قريب، وفجأة، وأنت تستعد لزيارته تتذكر أنك في آخر لقاء بينك وبينه لم يعاملك جيدًا، ولم يجلس معك وقتًا كافيًا ولم يرحب بك كما يجب، وفي النهاية استأذن منك لقضاء بعض الأمور المنزلية، هنا فورًا يجب أن تسأل نفسك هذا السؤال.. «هل هذا التفكير يدخل في الجزء المخرب أم الجزء البناء»؟ وبعد أن تكتشف أنه يدخل في الجزء المخرب أو الشيطاني ماذا تفعل؟ وكيف تقمعه أو تحاربه؟ تذكر نفسك فورًا بأن صديقك صديق حقيقي وغال على نفسك وأنه يستحق السؤال والزيارة فعلاً، وأنه حتى لو لم يكن كذلك فعلاً فأنت تفعل ذلك لأنك أنت إنسان تحب الخير للجميع ولنفسك أيضًا، وأن زيارتك ستحسن من علاقة كلٍ منكما بالآخر، كما سينالك الأجر إن شاء الله.

المثال الثاني عن الشيطان الصغير في غيرك.. تجلس مع زميلك في العمل وتشكو له مديرك الذي لم يمنحك ترقية، يؤيدك زميلك في أنك مستحق للترقية.. ثم يبدأ في شحنك على المدير، ويعدد مساوئه وعيوبه أمامك وبأنه بكل تأكيد ظلمك وبخسك حقك. هنا اسأل نفسك هذا السؤال.. هل سلوك زميلك يقع تحت مظلة البناء أم التخريب؟ وستكتشف فورًا أنه يقع تحت التخريب، ولكن كيف تحارب نفسك وتجعلها لاتتفاعل مع ما سمعته من كلام زميلك حتى لايترك أثرًا في نفسك؟!

تقول لها كان بإمكان زميلي أن يهدي إلي عيوبي أنا كي أحسن منها أو يعطيني بعضًا من الملاحظات على أدائي في العمل كي أبدأ في ملاحظة عيوبي بنفسي بدلاً من إلصاق العيوب بالمدير، كما كان بإمكانه أن يرشدني إلى الطريقة التي أكسب بها ود المدير واحترامه بدلاً من أن يزيد من بغضي وحقدي عليه كي أحصل على الترقية فعلاً، ولكنه بهذا التصرف جعل المسافة بيني وبين الترقية بعيدة جدًا!! ■



شغّل عقلك.. «الباطن»

دلال عبدالله الخضيري. الرياض

«خطرت لي فكرة» كثيرًا ما ننطق بمثل هذه الجملة في وقت نكون نسينا الأمر الذي كنا نفكر من أجله، وكثيرًا ما يخطر اسم شخص كنا نحاول استحضاره ولكن عند انشغالنا عنه وعن استحضاره يظهر أمامنا ذلك الاسم الذي نحاول تذكره، وكثيرًا ما نضع قرارات ونقول إن شعورنا هو الذي هدانا إلى هذا القرار.

وكثيرًا يحدث لنا ما حدث لـ«أرخميدس» حين نطق بكلمة (وجدتها) وهو في حوض الاستحمام، وكثيرًا ما تكتمل أبيات شعر أو رواية ناقصة أو حل لغز في أثناء نومنا أو استرخائنا، وكم من المرات وجدنا حلول المشكلات بعد مرور أسابيع أو شهور على حدوثها.

ومن ناحية أخرى ماذا يحدث عندما نلامس جسمًا ساخنًا أو نفاجأ بضوء شديد أو نسمع صوتًا مزعجًا؟ وماذا يحدث عندما تقود السيارة ذاهبًا إلى عملك، وبالك مشغول في أمر ثان، تجد نفسك وقد وصلت إلى مكان عملك، بالرغم من انشغالك في أمور أخرى في أثناء الطريق؟ نعم إنه اللاشعور وهو من كان يقف خلف تلك المواقف التي تحدث لنا.

عالم اللاشعور ذلك العالم العجيب له قوة عظيمة في تزويدنا بالأفكار الخلاّقة والإلهامات.. وهو الذي كان خلف الكثير من أفكار وإبداعات العلماء والعباقرة.

ازدواجية العقل البشري

ينقسم العقل البشري إلى المخ الأدنى أو المخ الزاحف وهو مسؤول عن إدارة بعض الوظائف الجسمية مثل معدل التنفس وضغط الدم، وإلى المخ الأوسط وهو أكثر الأجزاء نشاطًا كيميائيًا وفيه مصدر المشاعر، وإلى المخ الأعلى أو القشرة وينقسم إلى جزأين، أيسر وأيمن، وبالرغم من أن النصفين متشابهان إلا أن كل جزء له طريقة مختلفة تمامًا عن الآخر..

فالأيسر مختص بمعالجة الأفكار المنطقية والتتابعية والواعية أي ما نسميه دائمًا (التفكير) ويبرز دوره بشدة في اللغة والرياضيات. أما الجزء الأيمن فيختص بالمشاعر والحدس والتخيلات وهو موطن الإبداع العلمي والفني.

وفي حياتنا المعاصرة نجد أننا نستخدم الجانب الأيسر أكثر كثيرًا من الأيمن مما أدى إلى أن أصيب المخ الأيمن المبدع المتخيل بالضمور عند كثير من البشر!!

وهناك مسميات كثيرة للتمييز ما بين وظيفتي العقل، فيطلق عليهما بالعقل المحس وغير المحس، العقل الواعي والعقل الباطن أو اللاشعور، العقل الأنثوي والعقل الذكري، العقل الإرادي والعقل اللاإرادي .. وغيره من المصطلحات التي تذكر للتفريق فيما بينهما..

والعقل الباطن لا يجادل أو يناقش ما يُلقى عليه من العقل الواعي، فقد أظهرت تجارب كثيرة أجراها علماء النفس في أثناء التنويم المغناطيسي أن العقل الباطن غير قادر على أن يختار أو يقارن أو أن يميز بين ما يُلقى عليه من أفكار ومقترحات صحيحة كانت أو خاطئة. وأظهرت أيضًا التجارب أن العقل الباطن يتقبل أي افتراضات أو إيحاءات مهما تكن غير صادقة أو صحيحة فهو يستجيب لها وفقًا لما يصل إليه من العقل الواعي الذي يعد بمنزلة الموجه والمرشد.



إن العالم الداخلي للإنسان ليس جامدًا، بل بالعكس فكل ما نفكر فيه نجعل منه واقعنا الملموس سواء أردنا ذلك أم لا. والعقل الواعي يتعلق بالمنطق ويتعامل مع الموضوعات بالتحليل والتركيب، وبالسبب والنتيجة التي يتلقاها عبر الحواس. أما العقل الباطن فيتعلق بالعالم الداخلي للإنسان ويتأثر بطرق أخرى مثل الإيحاء والتكرار والتأكيد فهو لا يعرف البرهان والمنطق ولا يستفيد منهما.

وفي السطور التالية شيء من التفصيل عن بعض طرق التعامل مع العقل الباطن وكيفية الاستفادة منه وإظهار طاقاته غير المحدودة.

الإيحاء

يقوم الإيحاء على مبدأ أن ما نمسك به بعقلنا الواعي يميل إلى أن يصبح حقيقة بالنسبة لنا.

والإيحاء إما أن يكون إيجابيًا بناء، إما سلبيًا هدّامًا، والعقل الباطن يستقبل الإيحاءات كذبذبات من الطاقة دون التمييز بإيجابياتها أو سلبياتها، ليجذب بعد ذلك الشروط والظروف المناسبة له.

فالإيحاء عبارة عن همزة وصل بين مستوى العقل الواعي، والعقل الباطن، حيث تنتقل الأفكار دون غربلة إلى العقل الباطن بقانون الإيحاء ليتولى اللاشعور تنفيذها، ويكون لهذه الأفكار تأثير ملموس في العقل الباطن عندما تمتزج بالعاطفة والمشاعر والوجدان.

وكلمة (إيحاء) أو (افتراض) تعني سلوكًا يستهدف وضع شيء ما في ذهن وعقل أحد الأشخاص، وهو عملية عقلية يقبل الشخص من خلالها الفكرة التي أوحيت إليه ويضعها موضع التنفيذ.

وقد ثبت أن للإيحاء قدرة عجيبة جدًا على شفاء الأمراض سواء كانت جسدية أو نفسية، كما أنه استخدم على مر العصور كعلاج من قبل الأطباء.

كلٌّ منا تعرض خلال مراحل حياته لإيعازات سلبية مِمَّن حوله سواء كانت في الأسرة أو المدرسة أو المجتمع، تغرس فينا بذورًا سلبية مثل الخوف والتردد والأنانية فتؤدي إلى تشويه نمط حياتنا، وتجعل فرص تقدمنا وتنمية العادات الإيجابية أمرًا صعبًا، وقد تسبب لنا أيضًا الفشل في حياتنا الشخصية والاجتماعية. لذلك فكلٌّ منا بحاجة إلى تغذية عقله بإيحاءات إيجابية، تبطل من خلالها كل الأفكار الهدامة، وأيضًا بمراقبة كل كلمة سلبية تريد أن تعبر إلى عقله الباطن، وتستوطنه من خلال النوافذ الرئيسة له وهي الحواس الخمس التي تقف حارسًا على العقل الباطن فإن استطعت توظيفها لصالحك، فليس في تلك العبارات والإيعازات التي يطلقها الآخرون قوة تضرك، ولكن القوة تكمن في سيطرتك على حواسك وعلى تفكيرك.

اختر العبارات والإيحاءات التي تحتاج إليها وتساعدك على تحقيق رغباتك وطموحاتك، وقم بعملية الاسترخاء ثم ابدأ بترديد عباراتك وجُمَلِك البناءة وبكل عاطفة وشعور إيجابيين، مثل هذه الطريقة تساعدك على ترسيخ صفات إيجابية وتزيد من ثقتك

بنفسك، وفي المقابل يجب الانتباه للإيعازات التي توحيها للغير، بأن تكون عباراتنا بنّاءة وهادفة، يقول الرسول الكريم ﷺ: «يسّروا ولا تعسّروا وبشّروا ولا تنّفروا» رواه البخاري.

التأكيد والتكرار

يملك أسلوب التكرار سحر تغيير الاعتقادات التي تسكن في نفوسنا، ونجد هذا الأسلوب في القرآن الكريم وذلك في تكرار بعض الآيات والقصص والمواعظ، مما يُعمّق الإيمان في قلوب المسلمين.

وكثيرًا ما نستخدم في اللاشعور تأكيدات سلبية هدامة، تؤثر في أدائنا وتقدمنا فكل فكرة ترددها تدوّن في عقلك الباطن، حيث إن ما يردده عقلك الواعي ويقتنع بها حتمًا سترسل إلى اللاشعور ليقوم العمل بمقتضاها.

لذا يجب أن تكون تلك الجمل التي تكررها إيجابية بناءة، وليس من الضروري أن تؤمن بكل ما تؤكده فيكفي أن تكررها ليتفاعل معها عقلك وتخلق لك الحالة المناسبة مع تلك الفكرة.

والمسلم يعتمد على أسلوب التكرار والتأكيد في الذكر والدعاء، حيث يساعد الذكر على الإيمان والطمأنينة، فحين تكرر أدعية وأذكارًا، تجد الإيمان وقد تعمق في قلبك، وعشت في حالة سكينة واطمئنان تتناسب مع الأذكار وما تحمله من أفكار إيجابية. يقول الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي بي) متفق عليه.

ابدأ من اليوم باستخدام أسلوب التأكيد بالأدعية والأذكار وبإيمان تام يصل إلى القلب، ومن ثم راقب التغيرات التي تحصل لأفكارك وواقعك، يقول الرسول الكريم ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» رواه الترميذي.

تذكر فضائل الله ونعمه عليك وردد كلمات الشكر والحمد (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ).سورة الضحى. التي لها أشد الأثر بالرضا والسعادة التامة، وكذلك حينما تستخدم الرقية الشرعية وتكررها، فإنك ستنجح في تطهير عقلك من المعتقدات السلبية وستحصل على الشفاء بإذن من الله.

التخيل

يعتبر التخيل من أساليب التأثير في العقل الباطن، فما نفكر فيه نستطيع الحصول عليه، وكذلك يساعد على تعزيز الثقة بالنفس. فقد وجد العلماء أن التخيل يمنحنا قدرات غير محدودة لتحسين نوعية حياتنا، فعندما تحتاج إلى صياغة فكرة وتشكيلها في عقلك، فما عليك إلا أن تتخيل هذه الفكرة.

ابدأ أولاً بتحديد ما تريد تحقيقه ثم استرخ جيدًا محاولاً أن تزيل من تفكيرك كل ما يشغله لعدة دقائق، ثم ابدأ بتخيل الفكرة التي تريدها كما لو كانت شيئًا محسوسًا وكأنه يحدث معك حقيقة، فكل فكرة تضعها في عقلك ستظهر تلك الفكرة إلى عالم المحسوس إذا كنت مؤمنًا بها، تخيل كل ما تريده، وغلّف تفكيرك بالميزات التي تحتاج إليها، فإذا كنت في الواقع تحتاج إلى ذكاء أو سرعة البديهة أو أعصاب هادئة يجب أن تقحم مثل هذه الصفات والصور التي رسمتها في عقلك إلى مخيلتك وكأنك تشاهد فيلمًا سينمائيًا بجميع مؤثراته. ويجب أن تعرف أنه لا يكفي أن تشخص رغبتك مرة أو مرتين فالنتائج لا تظهر إلا عندما ينطبع الشكل في وعيك مرات ومرات، لذلك لا تحاول أبدًا تقويم النتائج بعد محاولة أو محاولتي تخيل. وهناك مراكز طبية تستخدم هذه الطريقة كوسيلة علاجية يرسل من خلالها الشخص أفكارًا إيجابية تساعد على سرعة الشفاء، فقد استطاع بعض مرضى السرطان الشفاء باتباع التخيل والتفكير الإيجابي إلى جانب الغذاء الصحي الطبيعي ■

■■ ثبت أن للإيحاء قدرة عجيبة جدًا على شفاء الأمراض سواء كانت جسدية أو نفسية، كما أنه استخدم على مر العصور كعلاج من قبل الأطباء. ■■

متى تأتي وأين ؟

الأفكار المبتكرة

أنور طاهر رضا . تركيا

الأفكار الجديدة الأصيلة تنبع عادة من عمليات التفكير العقلية التي تؤدي إلى الكشف والاختراع كالتأمل والتصور والتبصر والتنبؤ والحدس والتخمين.... وهي أفكار تحطم القوالب الموجودة وتخرج عن المألوف وتكسر النماذج الذهنية المفروضة. ويراد من هذه الأفكار سلوك طرق أخرى غير الطريق الرئيسة، وانفتاح على خبرات جديدة، ومباشرة أول خطوة نحو وضع خط فكري جديد وطرح بدائل مختلفة لمشكلة معروضة وإيجاد ما يؤدي إلى أمور أخرى جديدة، ومعرفة العلاقات بين الأفكار... أن مثل هذه الأفكار لا تولد من لا شيء بل تعتمد في مكوناتها على مواد أولية موجودة في الطبيعة والبيئة.

أنواع التفكير

التفكير ذو الاتجاه الواحد:

يستخدم هذا النوع من التفكير في قياس التحصيل والذكاء، ويكون محددًا بجواب صحيح واحد في كل مرة، ويتضمن في العادة مشكلات منطقية. وبإعطاء مجموعة من الحقائق يتوقع التوصل إلى هذا الجواب الواحد المحدد. ومن أمثلة ذلك عاصمة العراق... فالجواب الصحيح هنا بغداد، ولا يقبل أي شيء غير هذا الجواب. ٣٠ + ١٢ =.... والجواب الصحيح هنا ٤٢، ولا يقبل أي شيء غير هذا أيضًا.

التفكير ذو الاتجاهات المتعددة:

لا يتضمن هذا النوع من التفكير جوابًا صحيحًا واحدًا، وبدلاً من ذلك يقود المرء إلى إجابات كثيرة. كأن يعطى الأفراد عددًا من الكلمات ويطلب منهم تكوين ما يستطيعون من جمل مفيدة خلال خمس دقائق على سبيل المثال، أو قطعة نثرية ويطلب منهم خلال فترة زمنية محددة أن يضعوا قدر استطاعتهم عناوين لها أو أن يسألوا أسئلة متنوعة عنها أو أن يقدروا أسباب حدوثها أو عواقبها.

وفي هذا الخصوص ينقل لوثانس (Luthans: 1995: 454-455) وفيلدمان (Feldman: 1997:233) استجابات طفل بعمر ١٠ سنوات لاستخدامات الجريدة المستعملة كمثال على التفكير ذي الاتجاهات المتعددة كما يأتي:

«تستطيع أن تقرأ الجريدة، تكتب عليها، تفرشها وتصبغ عليها، تضعها على الباب من أجل التزيين، تضعها في سلة المهملات، تضعها على الكرسي إذا كان الكرسي قذرًا، إذا كان لديك كلب تضع الجريدة في صندوقه، أو تضعها في ساحة البيت الخلفية لكي يلعب بها الكلب، عندما تبني شيئًا وتريد ألا يراه الآخرون تلف حوله جريدة، تفرش الجريدة على الأرض إذا لم يكن لديك فراش، تستخدمها من أجل حمل شيء حار...

والحقيقة أن نوعي التفكير مهمان إلا أن التفكير ذو الاتجاهات ا لمتعددة له أهمية أكبر فيما يخص الابتكار.

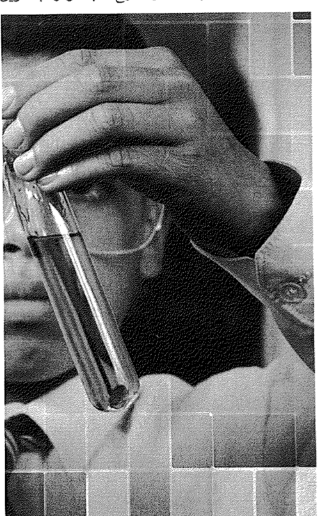
هل ترد الأفكار بنفسها أم تصنَّع؟

تستعمل في اللغة العربية مع كلمة الأفكار أفعال مثل: تراود، تخالج، ترد،

وتأتي... وفي جميع ذلك نوع من التلقائية العفوية التي تتضمن إتيان الفكرة بغتة وعلى حين غفلة من الفرد بشكل غير إرادي. وهذا النوع من الأفكار يأتي غير خاضع لزمان أو مكان معينين. ولا يستطيع الإنسان أن يجبر نفسه عليه إنما يترك الأمر على حاله وينتظر ما سيحصل. وفي ذلك إسراف في الوقت بشكل خاص.

أما التصنيع ففيه بذل جهود إرادية في عمل شيء ما، وفيه تحويل من حالة إلى أخرى يتضمن التركيب الذي تستعمل عادة فيه المواد الخام لإنتاج شيء معين جديد. وفي التصنيع إشارة إلى أن المسألة تتطلب مهارة، وأن هذه المهارة يمكن أن يحصل عليها المرء بالتعلم والتمرين.

لقد بحث موضوع الابتكار والمبتكرين



في العقود الأخيرة من القرن الماضي بشيء من التركيز والتعمق بعد أن اكتنفه الكثير من الغموض والإبهام. وتوصلت البحوث والدراسات إلى أن كل إنسان يستطيع أن يكون مبتكرًا إذا ما أخذ نصيبه من تربية تتضمن الثقافة العامة ومن كفاية المعلومات في ميدان الاختصاص ومن التربية في تقنية الابتكار علاوة على الوقت الكافي للتفكير والتأمل. وعلى ذلك يمكن القول إن الأفكار تراود وتخالج الفرد وتأتي إليه، كما أنها تصنع صناعة إرادية.

مراحل صناعة الأفكار

يرى المؤلفون والباحثون أن صناعة الأفكار المبتكرة تمر بمراحل عديدة لكي تصل إلى حالتها النهائية، ويمكن حصرها في خمس مراحل هي:

مرحلة الشعور والتوجه نحو شيء معين:

وقد تبدأ هذه المرحلة بشعور داخلي لدى الفرد بأن موضوعًا ما مهم من جوانب عديدة. ويتم في هذه المرحلة الشعور بالمشكلة وتحديدها وبيان جوانبها المختلفة المهمة التي تحتاج إلى تمحيص وتدقيق ودراسة. ينطلق هذا الشعور من حاجة داخلية في أن هذا الموضوع جدير بالبحث، ويستحق أن يوليه الإنسان الاهتمام المطلوب والعناية الفائقة والوقت الكافي.

تنطلق صناعة الأفكار المبتكرة من حاجة روحية لإدامة الحياة المعنوية وإشباع حاجة خاصة. ويختلف هذا الشعور من شخص إلى آخر، ومن وقت إلى آخر، ومن حالة إلى أخرى. قد يقصر هذا الوقت مرة فيكون كلمح بالبصر، وقد يطول مرة أخرى فيكون سنوات. كما أن هذا الشعور قد يكون نتيجة قراءات طويلة، أو ملاحظات عابرة في الحياة اليومية وفي الطبيعة العامرة بالسهول والجبال والوديان والأنهار والأشجار والثمار..

إن التعرض للمثيرات الخارجية أمر مهم في الابتكار (والمثير هو أي شيء موجود على البسيطة وفي أعماق الذاكرة الإنسانية) والفرد في حياته اليومية محاط بالآلاف من المثيرات المختلفة. ومن المستحيل أن يستجيب إلى كل هذه المثيرات لما يمكن أن تسبب له من تعب وإرهاق. ومن هنا يكون اختيار المثيرات أمرًا طبيعيًا. ويلعب الانتباه إلى هذه

المثيرات عاملاً أساسيًا في هذا المجال بما يمثّله من تركيز الذهن على عدد محدود منها في فترة زمنية معينة. وقد يكون هذا التركيز مقصودًا من قبل الفرد أو مفروضًا عليه من الخارج.

وكلما تلقى الإنسان مثيرات أكثر كان مخزونه منها أوفر واستطاع أن يقيم علاقات بين هذه المثيرات القديمة من ناحية والمثيرات الجديدة التي يتلقاها في كل آن وحين من ناحية أخرى. وكلما كثرت المثيرات التي يتلقاها الإنسان من البيئة نما جهازه العصبي وكان أقدر على تكوين علاقات جديدة للوصول بها إلى الابتكار.

لاشك أن المثيرات التي تولد أفكارًا مبتكرة تختلف من شخص إلى آخر. فما يكون مثيرًا لشخص، ويولد استجابات معينة يولد استجابات أخرى غيرها لشخص آخر. ويتميز المبتكر عن غيره بأنه ملاحظ جيد، ومدقق في الأمور أكثر من غيره، ومتأمل ومتفحص دقيق وبعبارة أخرى، فالمبتكر يظهر حساسية أكثر من غير تجاه ما يحيط به.

مرحلة الاستعداد:

الشخص المبتكر في هذه المرحلة يخصص جميع إمكاناته من أجل الوصول إلى أي شيء يمكن أن يؤدي إلى حل للمشكلة. إنه يقلب المشكلة ويتفحصها من جوانبها المختلفة. يصرف المبتكر في هذه المرحلة جهودًا مركزة مضنية تستغرق أيامًا وشهورًا، لا بل أحيانًا سنوات طويلة. لقد كتب إنشتاين نظريته النسبية في عدد من الأسابيع، إلا أنه صرف من الوقت في مرحلة الاستعداد في جمع المعلومات ما يقرب من سبع سنوات. قد لا يحتاج كل عمل مبتكر إلى مثل هذه الفترة الطويلة. على أن فترة معينة من الاستعداد ضرورية.

يتم في هذه المرحلة قراءة الكثير من المطبوعات وغير المطبوعات، وتنظيم الرحلات العلمية، وتدقيق في الأشياء، ومقابلة المهتمين بالموضوع ومناقشتهم. يبحث في هذه المرحلة إضافة إلى خبرات الآخرين خبرات الفرد الشخصية. تسجل المعلومات التي يحصل عليها المبتكر من المصادر المختلفة حتى لا يكون هناك مجال للنسيان.

وبسبب تضارب المعلومات المتراكمة يعيش المبتكر نوعًا من الارتباك والاضطراب الذي يُعد جزءًا لا يتجزأ من الأعمال المبتكرة. وأسعد شيء في الارتباك هو الوصول إلى الحل الصحيح للتخلص من هذا الذي يقض المضاجع ويثير الانزعاج حتى يتحول إلى شعور فائق بالسعادة التي لا تضاهيها سعادة أخرى.

وليست صناعة الأفكار جمعًا بسيطًا لهذه الفكرة مع تلك الأخرى. بل هي نوع من التفاعل الفعال والمزج المتجانس بينهما. إن وضع الطحين مع الماء لا ينتج العجين، بل يحتاج الأمر إلى جهود مكثفة للخلط وأياد ماهرة تدير هذه المحتويات، لجعلها كلاً واحدًا متماسكًا.

مرحلة الاختمار:

تكون مرحلة الاختمار أكثر سكونًا من المراحل الأخرى. ذلك لأن ما هو معروف لا يكفي لحل المشكلة، وفي هذه الحالة تدفع المشكلة إلى اللاشعور. إن المواد الضرورية جميعًا هي في متناول اليد. ولكن الفكر يحتاج إلى اختمار الفكرة كما يختمر العجين.

يملك المبتكرون في هذه المرحلة خارطة لابد من اتباعها من أجل الوصول إلى هدف معين. إلا أنهم كالمسافرين بحاجة إلى توقف قبل السفر من أجل التفكير فيما يحتاجون إليه من أجهزة ووسائل ومواد خاصة خلال سفرهم. وقد يشغل المبتكر نفسه بأشياء

■ الأفكار المبتكرة تأتي على الأغلب في ثلاثة أماكن تبدأ بحرف (B) وهي الحمام (Bathroom) والفراش (Bed) والحافلة (Bus). ■

أخرى، وقد يبدو في الظاهر أنه نسي المشكلة. على أن الحقيقة ليست كذلك في واقع الحال، فالمشكلة ليست مهملة إهمالاً تامًا. وبدلاً من الحلول الخارجية الضعيفة يبحث المبتكر عن حلول داخلية. إن المبتكر يبحث عن خبرات يمكن أن تكون مؤشرات تؤدي إلى الحل.

مرحلة الإنارة:

في هذه المرحلة تبتعد الأفكار التي ليست لها علاقة بالموضوع عن الذهن، وتكشف الأفكار الجديدة. تنتهي هذه المرحلة عندما تقفز الفكرة بشكل سريع من اللاشعور إلى الشعور. تنير الفكرة أو الأفكار المتلاحقة الذهن بسرعة خاطفة كومضة برق لا تكاد تظهر حتى تختفي.

وعندما تقفز الفكرة في ذهن الفرد يكون المبتكر في حالة نشوة خاصة وفرح لا يوازيه فرح آخر، فيعبر عن هذه النشوة بطرق قد تكون غير طبيعية بالنسبة لعامة الناس. فقد يقفز ويظل يقفز ويصيح بأعلى صوته: «وجدتها، وجدتها» كما فعل أرخميدس الذي وجد حلاً لمشكلة نسبة الذهب في تاج الإمبراطور وهو في الحمام!! لقد فعل ذلك الشاعر الأموي جرير الذي ألف: «فغض الطرف إنك من نمير»، الشطر الأول من بيت الشعر قبل. وظلّ يبحث عن الشطر الثاني منه شهورًا، وما إن وجد ذلك الشطر، «فلا كعبًا بلغت ولا كلابًا»، إلا وطفق يقفز ويقفز ويصيح بأعلى صوته: «وجدتها، وجدتها» فنعت هذا البيت بأنه أهجى بيت قالته العرب!!

مرحلة التأكيد والإعادة:

في هذه المرحلة يتأكد المبتكر من صدق التبصر الذي كشف عن الأفكار الجديدة فيبحث عن صلاحية الحل أو عدم صلاحيته بتجربته بطريقة ما، وقد تكون الإنارة غير كافية للحل، فيرجع المبتكر إلى المرحلة الثالثة. وفي بعض الأحيان يحتاج إلى تطوير وتعديل أو إيجاد حلول أخرى للمشكلات الفرعية. وعندها تعالج المشكلة من جديد.

ورغم توصل المبتكر إلى الحل في المرحلة السابقة إلا أن المسألة لم تنته تمامًا. فلابد من بذل جهود أخرى مكثفة. فيشعر العالم أنه بحاجة ماسة إلى ارتياد مختبره العلمي مرة بعد مرة. فيكرر تجاربه ويتأكد من صدق فرضياته. ولربما احتاج إلى إجراء ملاحظات إضافية، وإلى إعادة النظر فيما كتب عن الموضوع، ومثل ذلك ما يجريه الرسامون والمؤلفون من تعديلات وتنقيحات في أعمالهم حتى تصل إلى ما يضاهي الكمال.

متى تصنع الأفكار المبتكرة؟

لا يعرف أحد متى تأتي الأفكار المبتكرة وكم من الوقت تحتاج إليه لكي تظهر هذه الطاقة على السطح. وأكثر الاحتمال أنها لا تأتي مرة واحدة، بل تأتي على فترات متعاقبة. وليس هناك من انتظام في ظهورها من مرة إلى أخرى. ولو كانت الأفكار المبتكرة ترد مرة واحدة لما بقيت مشكلة في الدنيا بدون حلول.

يختلف زمن توارد الأفكار المبتكرة من شخص إلى آخر، وتعتمد على مقدار انشغال الفرد الذهني بالموضوع وعلى مواجهة مثير له علاقة به، فيتم الربط وتظهر العلاقة. وهناك من تأتيه هذه الأفكار عندما يجلس بعد الأكل وهو يرتشف فنجان قهوة أو شاي. وهناك من تأتيه هذه الأفكار في الليل. وأغلب الظن أن الهدوء والسكون الذي يؤدي إلى التركيز التام يلعب دورًا أساسيًا في الأعمال الفردية. على أن الأمر يختلف بالنسبة للأعمال الجماعية التي تقام في النهار على الأكثر، ويتم العمل معًا وعن

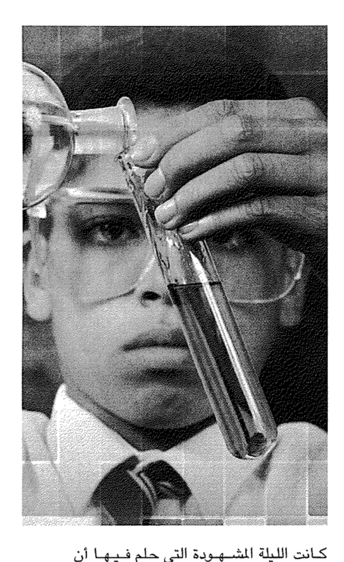
يختلف زمن توارد الأفكار المبتكرة من شخص إلى آخر. وتعتمد على مقدار انشغال الفرد الذهني بالموضوع وعلى مواجهة مثير له علاقة به. فيتم الربط وتظهر العلاقة.

طريق العصف العقلي الجماعي. ومهما يكن من أمر فإن كشف هذه الحقيقة بالنسبة للشخص مهم وذلك من أجل خلق مثل هذه الأجواء واستثمارها الاستثمار اللازم.

من أين تأتي الأفكار المبتكرة؟

لا يعرف أحد بالضبط أين تحصل مثل هذه الإنارة، وهي تختلف من شخص إلى آخر. على أن المهتمين بهذا الجانب كشفوا أن الأفكار المبتكرة تأتي على الأغلب في ثلاثة أماكن تبدأ بحرف **(B)** وهي الحمام **(Bathroom)** والفراش **(Bed)** والحافلة **(Bus)**. ولما كان الإنسان يتميز عن الحيوان في الاحتفاظ بخبراته في ذاكرته فترة طويلة من الزمن فإنه يستخدم خبراته السابقة ويتأمل في الأمر ويكون العلاقة بينها وبين المثيرات الجديدة التي يتلقاها عن طريق حاسة من حواسه. وإذا كان أمر ما يشغل باله كثيرًا، ويبحث عن حلّ له، فإنه قد يربط بينه وبين أي شيء آخر يراه أو يسمعه أو يتحسسه أو يشمه أو يتذوقه هنا وهناك. ومن أجل أن يشغل أمر ما بال الإنسان فلابد أن يعيشه بكل ما أوتي به من إمكانات. أي أن يحتل هذا الأمر جزءًا من حياته أينما حلّ وارتحل. وهذا ما يجعل الإنسان في تحفز لتلقي الإلهام وتكوين الارتباطات الجديدة. وإذا كانت المشكلة التي هو بصددها تظهر له في أحلامه أثناء النوم فإن ذلك يعني أنه منشغل بها انشغالاً تامًا، وأن هذا الانشغال إنما وصل إلى درجته القصوى.

وتبيت ذاكرة المبتكر فعالة حتى في أثناء النوم، وقد يظهر التبصر على شكل رؤيا. ومن العلماء من توصلوا إلى إيجاد العلاقات بين المثيرات التي تشغل بالهم في النهار على شكل أحلام في أثناء النوم. يعرف الباحثون في ميدان علوم الحياة قصة أوتو لوي **(Otto Loewi)** جيدًا، العالم البايولوجي الذي كان يعمل على الخلية الإنسانية لسنوات طويلة لكشف حقائق معينة حتى استطاع أن يكشف هذه الحقائق في الحلم ونال نتيجة لذلك جائزة نوبل. ويذكر أونيل **(O`neil, 1995, 251)** قصة إلياس هوي **(Elias Howe)** مخترع ماكينة الخياطة الذي فشل في تركيب الخيط في الإبرة لفترة طويلة حتى



كانت الليلة المشهودة التي حلم فيها أن الوحوش اختطفوه وقرروا أن يعدموه أو أن يكمل كشفه، ففشل هذا في الحلم أيضًا، وكان إعدامه بربطه بشجرة وهجوم الوحوش عليه بمزاريق تحوي الأشرطة في نهاياتها. وكان ذلك حلاً للمشكلة. وهناك أمثلة أخرى من غير لوي وهوي ممن توصلوا إلى اختراعاتهم في الأحلام. يذكر عن توماس إديسون **(Thomas Edison)** مخترع المصباح الكهربائي أنه قال: إن أفضل أفكاره كانت تأتيه في أثناء النوم. وذكر الفيزيائي المشهور إنشتاين **(Albert Einstein)** كلامًا شبيهًا بذلك. لقد كتبت القصاصة الشهيرة شارلوت برونتي **(Charlotte Bronte)** قصتها المشهورة جين آير **(Jane Eyre)** بناء على ما شاهدته من أحلام خلال النوم.

من توصيات مؤتمر «مهارات التفكير وتحديات القرن الحادي والعشرين» :

اجعلوا بعض «الألغاز» في الاختبارات

جمال حامد جاهين . المدينة المنورة *

* أستاذ مساعد المناهج وطرق تدريس اللغة الإنجليزية بكلية المعلمين .

دارت حلقات مؤتمر «مهارات التفكير وتحديات القرن الواحد والعشرين ١٨/١١/٢٠٠٢م» حول موضوعات مثل: «مداخل حديثة لتقييم مهارات التفكير»، و«صيغة بنود الاختبارات»، و«تقييم مهارات التفكير عبر شبكة الإنترنت» و«الأنواع المختلفة لمهارات التفكير» ، و«خبرة نقابة الامتحانات بجامعة كامبريدج فى مجال مهارات التفكير».

أكد الحضور أن القرن الحادي والعشرين هو قرن التغير السريع، والقرن الذي يشهد كشف أسرار التكنولوجيا، كذلك هو القرن الذي يتطلب الدراية بعلم النفس والكفايات الإنسانية وسمات النفس البشرية. ويتطلب ذلك بالضرورة التفكير في اختبار وقياس تلك الكفايات والسمات التي من أهمها: مهارات التفكير، والجدال، ومهارات حل المشكلات، والتفكير الإبداعي، والتفكير الناقد.

وأكد الحضور كذلك حقيقة أن القرن الحادي والعشرين هو قرن التحدي القائم على التفكير، والذي لم يعد يعتمد على الحفظ والتلقين، أومجرد التذكر والاسترجاع للمعلومات والمعارف والحقائق التي يمكن أن يقوم بها جهاز الكمبيوتر، بل أصبحت هذه الأمور ثانوية في ضوء الاهتمام والتركيز على مهارات التفكير المنطقي والتفكير الإبداعي والناقد. فتلك المهارات بالغة الأهمية، بل تعتبر الأساس الأول والرئيس للعملية التعليمية ككل. وأصبح من أولويات العملية التعليمية في هذا القرن كيفية اكتشاف تلك المهارات لدى المتعلم وتنميتها وقياسها والارتقاء بها.

ولقد استعرض أليك فيشر، مدير مركز بحوث التفكير الناقد التابع لجامعة East Anglia، تجربة البحث في مهارات التفكير ووضع الاختبارات المتعددة لقياس التحصيل الدراسي، وذلك كما يلي:

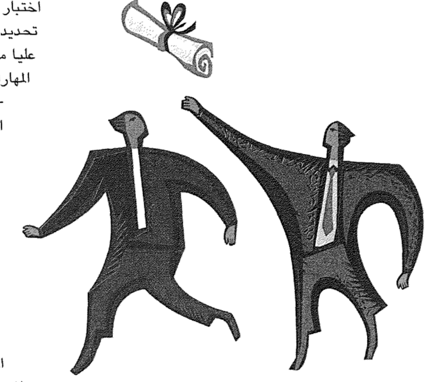
- **اختبارات المستوى الرفيع**: أول ما بدأت في عام ١٩٥١م بالمملكة المتحدة، حيث كان القبول بالجامعات مشروطًا بأداء الطالب في تلك الاختبارات. ومنذ عام ١٩٦٠م أجريت العديد من الدراسات التي أشارت إلى أن تلك الاختبارات تعطي مؤشرات ضعيفة على أداء الطالب، وبذلك لا يمكن الاعتماد عليها في التنبؤ بنجاح الطالب بالجامعة بعد ذلك؛ ومع ذلك فإن تلك الاختبارات احتفظت بمكانتها كمعيار أساس.

وأشارت الدراسات كذلك إلى وجود عدة أسباب لضعف اختبارات المستوى الرفيع في التنبؤ بنجاح الطالب بالجامعة، منها:

- صعوبة مقارنة الدرجة في اختبارات المستوى الرفيع وذلك في المواد الدراسية المختلفة.
- صعوبة مقارنة تقييم الجامعة للطالب في المواد الدراسية المختلفة مع الأخذ في الحسبان تعدد الجامعات وتعدد مناهجها الدراسية.
- حاجة تلك الدراسات إلى معرفة ما يحدث لأولئك الطلاب الذين لم يتمكنوا من الالتحاق بالجامعة وماذا كان سيحدث لهم إذا التحقوا بها.
- تدخل العديد من العوامل والمعوقات مثل: المرض والمسائل الشخصية والتي يمكن أن تؤثر في عملية التنبؤ.

ملاحظة: بالمقارنة بالمناهج الفرنسية والألمانية ومناهج المدارس الثانوية في أمريكا الشمالية، تعتبر اختبارات المستوى الرفيع على درجة كبيرة من التخصص، وهذا من شأنه أن يوجد مشكلات خاصة بالتنبؤ بأداء الطالب بالجامعة بعد انتهاء المرحلة الثانوية.

- **اختبارات التقييم المدرسي**: والتي



انتشر استخدامها بالولايات المتحدة لمدة تزيد على ٦٠ عامًا، (وتعود إلى عام ١٩٢٦م). وهو اختبار للاستعداد الأكاديمي لخريجي المرحلة الثانوية المتقدمين للجامعة، وقد صمم لقياس استعداد الطالب لغويًا ورياضيًا. وينظر إلى تلك الاستعدادات على أنها قدرات تنمو ببطء على مدار الزمن، وعلى أنها قدرات مستقلة نسبيًا عما يتعلم الطالب داخل الفصل، وعلى أنها مهارات أكاديمية عامة لازمة للنجاح بالجامعة.

ويستخدم اختبار الـ SATبدرجة كبيرة بأمريكا الشمالية وفي أماكن أخرى من العالم (مثل كندا، والسويد) على أنه أحد المصادر التي توفر المعلومات التي تساعد على التنبؤ بمدى قدرة الطالب المتخرج في المدرسة الثانوية للالتحاق بالجامعة والنجاح فيها. وعادة ما يتم التحقق من قدرة هذا الاختبار على التنبؤ بذلك، وذلك في ضوء أداء الطالب بعد الانتهاء من دراسة العام الأول بالجامعة. وقد تعرض هذا الاختبار إلى نقد يتعلق بتأثيره في اتجاهات الطلاب نحو العملية التعليمية، بمعنى أنه يقلل من شأن التعلم الحقيقي. وفي الولايات المتحدة استخدم اختبار SAT كمعيار موضوعي للمساعدة على تحديد وانتقاء الطلاب الذين حققوا مستويات عليا من الإتقان للمواد الدراسية ولكن ينقصهم المهارات الأكاديمية العامة أو العكس.

– **اختبار الاستعداد الأكاديمي:** كان هذا الاختبار عماد أحد المشروعات الكبرى وهو مشروع :

Investigation into Supplementary Predictive Information for University Admission (ISPIUA)

بالمملكة المتحدة، وفي عام ١٩٦٥م وبناء على توصيات تقرير روبنسنز 1961كان عبارة عن أداة توفر المعلومات تكمل تلك المعلومات التي توفرها اختبارات المستوى الرفيع، واختبارات المستوى العادي وتقارير نظار المدارس.

– **اختبار تقييم التفكير الناقد:** ويتكون هذا الاختبار من ورقتين من الأسئلة، تستغرقان من ساعة إلى ساعة ونصف للإجابة عنهما. وتحتوي إحدى الورقتين على أسئلة الاختيار من متعدد، وأسئلة تتطلب إجابات قصيرة، وأسئلة جدلية تتطلب من الممتحن تأييد قضية ما أو معارضتها.

ومن السمات العديدة لاختبار التفكير الناقد ما يلي:

– إن مهارات التفكير التي يستهدفها هذا الاختبار هي مهارات هامة كما يراها أساتذة الجامعة، وضرورية للنجاح في الدراسة بالجامعة في تخصصاتها العديدة مثل: القانون، والعلوم الاجتماعية، والتاريخ، والفلسفة...إلخ.

– إن هذه المهارات التي يتعرض لها الاختبار بالتقييم من المهارات التي يمكن تدريسها.

– صعوبة توافر المعلمين المؤهلين في مجال التفكير الناقد، ولهذا فالأمر يختلف تمامًا عن المواد الدراسية العادية مثل اللغة الإنجليزية والفيزياء، حيث تتوافر لدى القائمين بتدريس هذه المواد المؤهلات الكافية لتدريس تلك المواد.

– هناك مجال لا يستهان به لكي يغطي التقييم مهارات التفكير الناقد.

- تجربة كامبريدج في تقييم مهارات التفكير: بدءًا من عام ١٩٩٦م وحتى عام ١٩٩٩م أدخلت كامبريدج «شهادة كامبريدج للتفكير الناقد»، وهو اختبار مدته ٩٠ دقيقة، ويتكون من ٤٤ سؤالاً، صيغت على نسق الاختيار من متعدد، ويهدف إلى تقييم التفكير الناقد ومهارة حل المشكلات. وفي عام ٢٠٠٠م تم إلغاء تلك الشهادة وإدخال اثنين من الاختبارات بدلاً منها وهما:

- اختبار كامبريدج في مهارات التفكير، واختبار المهارات الفرعية العليا للتفكير.

ويتكون الاختبار الأول من ورقة تحتوي على (٥٠) سؤالاً على نسق الاختيار من متعدد لتقييم القدرة على الحساب التطبيقي (١٨ سؤالاً)، ومهارة الاتصال (١٦ سؤالاً)، ومهارة الجدال (١٦ سؤالاً). والورقة الثانية من الاختبار تتطلب من الممتحن الإجابة عن ثلاثة أسئلة: الأول يتعلق بالمصداقية ويطلق عليه «تقويم الأدلة». والثاني يتطلب إجابة قصيرة تتعلق بمسألة جدلية ما. والثالث يتطلب كتابة تعليق يقوّم فيه إحدى القضايا الجدلية مثل اختبار المهارات الفرعية للتفكير الناقد. وفي عام ٢٠٠١م تقرر إدخال اختبار «تقييم مهارات التفكير» لاستخدامه مبدئيًا داخل جامعة كامبريدج كأحد المؤشرات لاختيار الطلاب للالتحاق بالجامعة. وهذا الاختبار يعتبر امتدادًا لاختبار كامبريدج لمهارات التفكير الذي توقف عام ١٩٩٩م، ولكنه الآن يتكون من ٥٠ سؤالاً وليس من ٤٤ سؤالاً، تهدف إلى تقويم مهارة حل المشكلات ومهارات التفكير الناقد.

- اختبار كامبريدج لتقييم مهارات التفكير كما هو عليه الآن: إذا أتيحت لك الفرصة للتحدث مع اختصاصيي القبول في كامبريدج وفي الجامعات الأخرى عما يتوقعونه من الطلاب المتقدمين عند إجرائهم للمقابلات معهم لتقرير قبولهم من عدمه، سوف تسمع شيئًا كما يلي:

«إن كل ممتحن على دراية بالفرق بين نوعين من الطلاب بالطبع، فإن المتقدمين إلينا على درجة جيدة من تعلم ما يريد معلموهم أن يتعلموه (مثال ذلك أن يحصلوا على درجات جيدة جدًا في المستوى المتقدم، ولكنك سوف تصنفهم في مجموعتين عندما تسألهم أسئلة خارج ما درسوه للنجاح في المستوى المتقدم، تلك الأسئلة التي تتطلب منهم التفكير خارج إطار «الصندوق» المقرر، أسئلة لم تصادفهم من قبل، وتتطلب منهم إبداء طريقة تصرفهم في مواقف معينة. وببساطة فإنه من المتوقع أن يستسلم بعض الطلاب عند أول وهلة، وبعضهم الآخر يرحب بهذا النوع من الأسئلة، حيث إنهم على استعداد للتفكير في الحلول الممكنة. وسوف يتناولون المشكلة التي هم بصدد التصرف حيالها، ويجربون الحلول العديدة والمختلفة... وهكذا. فهم يبدون استعدادًا للتفكير باستقلالية ويعرفون كيفية القيام بهذا، فهؤلاء هم أحق بالالتحاق بالجامعة من غيرهم.

- تقييم التفكير الناقد : منذ بعض السنوات طالب مكتب الخدمة المدنية تصميم اختبار للتفكير الناقد لتطبيقه على المتقدمين لشغل الوظائف القيادية في الخدمة المدنية. وكانت هناك طريقتان لتوليد الأسئلة المطلوبة للاختبار: إحداهما: سؤال أحد اختصاصيي القبول بالجامعة عن ماهية الأسئلة الخاصة بالتفكير الناقد التي يطرحونها على المتقدمين في أثناء إجراء المقابلات معهم. والطريقة الثانية: هي تكرار ما يقوم به مكتب الخدمة الميدانية أي النظر إلى نوع المشكلات الدراسية التي سوف يصادفها الطلاب في دراستهم وعملهم، وذلك لوضع أسئلة على شكل محاكاة لظروف العمل التي سوف تمكنهم من تقييم مهارات التفكير ومهارات إصدار الحكم.

- إضافات للمحاولات الحالية لتقييم التفكير الناقد:: يهدف تقويم التفكير الناقد

إن نتائج اختبار تقييم مهارات التفكير TSA يمكن أن تستخدم كأحد المؤشرات التي تعطي بيانات عن تفكير الطالب في ميادين مختلفة.

إلى قياس بعض مهارات التفكير الأساسية، ويمكن زيادة رقعة هذا الإجراء التقييمي لتقييم بعض مهارات الجدال الهامة والشائعة الاستخدام مثل: الجدال الإحصائي، والجدال الافتراضي، والجدال في قضايا تحتمل التأييد والمعارضة، والجدال الخلقي، والجدال العلمي، والجدال القائم على الملاحظة وتفسير الملاحظات.

– **تقييم مهارات حل المشكلات**: ومن أمثلة إجراءات تقويم حل المشكلات ما يلي:

– اختبار كامبريدج في مهارات التفكير

– الجزء الأول:

ويطلق على هذا الجزء «الحساب التطبيقي» ويستهدف هذا الاختبار الطلاب الذين مروا بخبرات غير مرضية في دراسة الرياضيات. ويهدف هذا الجزء إلى تقييم بعض مهارات التفكير البسيطة مثل: المهارات الحسابية البسيطة، وانتقاء البيانات وهي مهارات أساسية هامة ويمكن تدريسها، ولكنها مهارات أولية بسيطة.

– **اختبار الاستعداد المدرسي**: هذا الاختبار يعتبر أحد النماذج الممكنة لقياس قدرات الجدال الرياضي الهامة للأداء الأكاديمي بالجامعة، ويهدف كذلك إلى تقييم قدرات الطلاب على حل المشكلات بما في ذلك الجدال الرياضي والجبر والهندسة.

وتتضمن أسئلة هذا الجزء ٦٠ سؤالاً على نسق الاختيار من متعدد للقيام بتطبيق الأساليب العددية والجرافيكية والمكانية والرمزية والمنطقية على مواقف متشابهة. ويصدر مجلس الجامعة دليلاً لاختبار الـ SAT الذي يحتوي على تفاصيل كاملة للمفاهيم الرياضية والمعادلات والقوانين الأساسية.

– **اختبار الاستعداد الأكاديمي**: رغم فشل تجربة اختبار الاستعداد الأكاديمي، فقد أثبت فائدته في قياس مهارات الجدال الرياضياتي.

– اختبار القبول في كليات الحقوق: يهدف هذا الاختبار إلى قياس مهارات الجدال الاستدلالي المستخدمة في مجال الرياضيات، والأسئلة في هذا الاختبار من ذلك النوع الذي يتناول العلاقات مثل علاقات الترتيب والعلاقات الأسرية، والعلاقات المكانية...إلخ.

– اختبار القبول في كليات الطب البشري والبيطري هذا الاختبار يحتوي على عدد من المهارات السابقة الذكر مثل: مهارات العد، والتفكير الناقد، والجدال الاستدلالي، وقراءة الأشكال والرسومات البيانية.

– اختبار تقييم مهارات التفكير (٢٠٠١م) . (TSA)ويشرح موقع TSA على الإنترنت أن الاختبار سوف يقيم نوعين من التفكير واللذين يعتبران هامين في التعليم العالي وهما: التفكير الناقد، وحل المشكلات. فبالنسبة لمهارة حل المشكلات يرى هذا الاختبار أن العديد من المشكلات التي يواجهها الطلاب في دراستهم الأكاديمية والعملية حديثة عليهم. ولا يوجد حل واحد لكل أنواع المشكلات، وتتطلب المهمة قيام الطلاب بالجدال باستخدام مهارات العد، والمهارات المكانية وذلك لإيجاد حل ما. ويذكر أن الأسئلة التي تتناول حل المشكلات في هذا الاختبار تندرج تحت ثلاثة أنواع هي: الانتقاء النسبي، وإيجاد الإجراءات، وتحديد أوجه التشابه.

التفكير العلمي: هناك فرق بين طالب يتعلم ما يدرسه له معلمه، وطالب يستطيع أن يفكر تفكيرًا علميًا، أي طالب يفهم شيئًا عن صياغة الفروض وتصميم التجارب لاختبارها، والبحث عن الأدلة التي تؤيد أو تدحض الفروض وكيفية انسجام الأفكار العلمية معًا. ولمعرفة كيفية قياس مهارات التفكير العلمي فهناك مصدر رائع لذلك في أعمال روبرت إينز حيث إن كتابه «التفكير الناقد»، وبالتحديد

من توصيات المؤتمر : ضرورة إدخال نوع جديد من الأسئلة الجدلية التي تقيس مهارة الطالب في التخيل والتفكير. ولا ينبغي الاقتصار على الأسئلة التي تكون الإجابة عنها بالنفي أو الإيجاب.

الفصلان الثامن والتاسع اللذان يدوران حول «التجريب»، والتشخيص، والتفسير الناجح، والاستدلال السببي. وكان روبرت إينز معلمًا للعلوم بالمرحلة الثانوية (خصوصًا لمادة الفيزياء) قبل انتقاله للعمل في مجال مهارات التفكير. وهو يفهم جيدًا تركيب التفكير العلمي. ويوضح كتابه السابق الذكر كيفية تدريس مهارات التفكير العلمي.

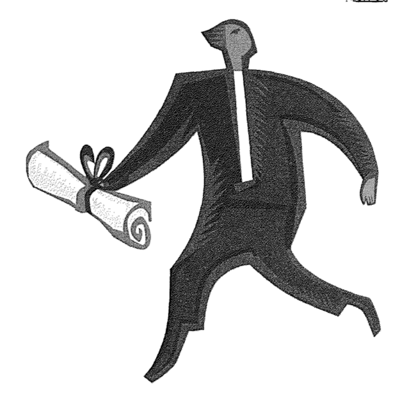
الطرق المختلفة لتقييم مهارات التفكير: هناك طرق عديدة ومختلفة لتقييم عمليات التفكير ومن بينها ما يلي:

- أسئلة الاختيار من متعدد.
- أسئلة المقال.
- الأسئلة التي تتطلب إجابة قصيرة.
- المسائل الحسابية.
- الأسئلة التي تتطلب وضع بنود في ترتيب حسب الأولوية كما يراها.
- السيرة الذاتية للطالب.
- الاختبارات الشفهية.
- الاطلاع على أداء الطالب وملاحظته.
- التقييم الديناميكي.

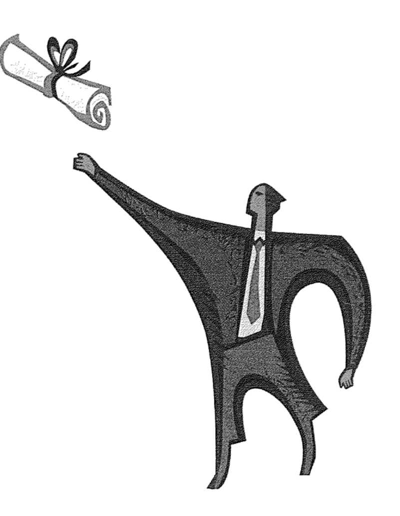
ولكل طريقة من هذه الطرق أوجه قوة وأوجه قصور.

قرارات وتوصيات المؤتمر:

- إن الجامعات البريطانية مثل غيرها من الجامعات في حاجة إلى اختبار يقيّم كيف يفكر الملتحقون بها.
- تقوم المقاييس الحالية بتقييم المهارات المعرفية التي لم يحدث أن تم تقييمها في أي مكان آخر.
- يمكن أن تتمثل مهارات حل المشكلات في مهارات التفكير الرياضياتي أو في مهارات التفكير المنطقي.
- علينا استشارة الجامعات وغيرها من مؤسسات التعليم والعمل إزاء نوعية مهارات التفكير التي يرغب في التحقق من وجودها.
- ينبغي أن تشبه الأسئلة التي تقيس مهارات التفكير نوعية الأسئلة التي يصادفها الطلاب في الجامعة، وهذا من شأنه إضفاء مزيد من الصدق على تلك الأسئلة.
- إن المهارات المطلوب تقييمها ينبغي أن تكون صالحة وقابلة للتدريس، وينبغي توفير المواد التعليمية والتوجيهات لتدريس تلك المهارات.
- ينبغي قياس الصدق التنبؤي لاختبارات مهارات التفكير في ضوء أداء الطلاب في العام الدراسي الأول بالجامعة.
- ينبغي أن يتوافر لدى الممتحنين كل من الاختبارات والإجابات في إطار المقابلات التي يجرونها.
- إن نتائج اختبار تقييم مهارات التفكير TSAيمكن أن تستخدم كأحد المؤشرات التي تعطي بيانات عن تفكير الطالب في ميادين مختلفة.



- ضرورة مراعاة الشفافية والموضوعية حتى يسهل انتقاء الطلاب للدراسة الجامعية.
- ضرورة إعداد الكوادر البشرية المؤهلة لتصميم وبناء وتطبيق اختبارات مهارات التفكير.
- ضرورة مراعاة وضوح تعليمات الاختبارات حتى يسهل على الطلاب فهم المطلوب أداؤه بدقة.
- ضرورة مراعاة تضمين الاختبارات بأنواعها - بصرف النظر عن المادة الدراسية التي تتناولها - أسئلة تقيس قدرة الطلاب على التفكير.



تجربة المملكة العربية السعودية في تدريس مهارات التفكير: قام فريق من باحثي «المركز القومي لتدريس التفكير بالولايات المتحدة الأمريكية برئاسة روبرت شوارتز بمشروع يهدف إلى إدخال تدريس مهارات التفكير الناقد، ومهارات التفكير الإبداعي بمدارس المملكة، ويمتد المشروع لسنوات عديدة بدءًا من العام الدراسي ٢٠٠٢/٢٠٠٣م. وقد نبعت الحاجة إلى هذا المشروع من رغبة المدارس العديدة والهيئات التعليمية المختلفة بالمملكة، ومن رغبة المسؤولين عن العملية التعليمية إلى إدخال تدريس مهارات التفكير الناقد ومهارات التفكير الإبداعي بمدارس المملكة. هذا ويعكس المشروع التزامًا بالغًا على المستوى القومي للتأكيد على ضرورة تنمية مهارات التفكير لدى المتعلمين، بالإضافة إلى ضرورة أن تتضمن المناهج الدراسية مهارات التفكير، وذلك للانتقال بالطلاب من مجرد الاستظهار إلى المشاركة الفعالة في المناهج التي يدرسونها، وخصوصًا في المرحلة العمرية الممتدة من سن الحضانة إلى سن الثانية عشرة.

وقد عقدت ورش عمل قومية في الرياض في مارس عام ٢٠٠٢م وقد تم تدريب العديد من المعلمين ومعدي المناهج الدراسية، ومشرفي الفصول والإدارات التعليمية. ولقد بدأ تطبيق المشروع بمدرستين إحداهما في جده وهي «مدارس دار الفكر»، والأخرى في الرياض وهي «مدارس الملك فيصل» كنموذج يحتذى به.

وتمثلت أهداف المشروع في دمج تدريس مهارات التفكير في المنهج المدرسي، وإعداد مجموعة من الدروس القائمة على مهارات التفكير باللغة العربية في كل مادة دراسية وفي كل صف دراسي. هذا، وقد تم تدريب عدد من المدربين لكي يقوموا بدورهم بتدريب زملائهم على المستوى المحلي، بالإضافة إلى الإشراف على تصميم الدروس وإعدادها.

ومن هنا تعتبر المملكة العربية السعودية من الدول السباقة في مجال تدريس مهارات التفكير، حيث تتماشى الممارسات التي اتخذت حتى الآن مع توصيات المؤتمر العالمي لمهارات التفكير، وخصوصًا فيما يتعلق بإعداد المعلم وتدريبه، وكذلك تدريب مدربي المعلم في أثناء الخدمة.

- ضرورة إدخال نوع جديد من الأسئلة الجدلية التي تقيس مهارة الطالب في التخيل والتفكير، ولا ينبغي الاقتصار على الأسئلة التي تكون الإجابة عنها بالنفي أو الإيجاب.
- ينبغي أن تتضمن الاختبارات الأسئلة المثيرة للذهن مثل الألغاز.
- ينبغي أن تتنوع الأسئلة من حيث الوسط الذي تتناوله سواء شفهيًا أو مكتوبة، أو مصورة أو مجدولة...إلخ.
- ضرورة تدريب المعلم على مهارات التفكير في أدائه ومهارات تقييمه لفكره.
- ضرورة إطلاع المعلم على التطورات الحديثة في مجال التقييم، وخصوصًا تقييم مهارات التفكير.
- ضرورة التنسيق بين المدرسة الثانوية والجامعة، وخصوصًا فيما يتعلق بالتوقعات الخاصة بالجامعة وبرامج الإعداد بالمدرسة الثانوية.





المجلة «الثانية» في العالم العربي

برنامج مفيد

Fast Folders

منى الخضيري . الرياض

النسخة : ٢,٦٦

حجم البرنامج : ٢٩٢ كيلو بايت فقط، متوافق مع
Windows 95 / 98 / ME / NT 4.0 / 2000 / XP

الموقع الرسمي للبرنامج
www.desksoft.com

برنامج تجريبي لمدة شهر يمكن تمديده بعد طلب الحقوق من الموقع.

مهمة البرنامج

يقوم البرنامج بإضافة زر جديد عند الضغط على أي مجلد بالزر الأيمن للفأرة.

هذا الزر الجديد يرمز له بحرف F.

يوفر لك البرنامج تصفحًا سريعًا و سهلاً للملفات و المجلدات الموجودة داخل كل مجلد تقوم بالضغط على الزر الأيمن للفأرة عليه.

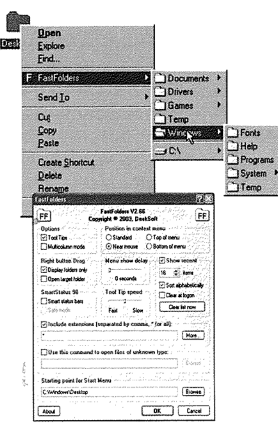
هذه الطريقة توفر عليك الوقت والجهد في الاطلاع على محتوى كل مجلد.

أيضًا يمكن تصفح محتويات كل المجلدات الفرعية داخل هذا المجلد مهما كان عددها عن طريق سهم صغير ينقلك من مجلد لآخر.

في حال الضغط على أي ملف سيقوم بفتحه وستختفي هذه القائمة إلا إذا قمت بالضغط على زر CTRL فستظل النافذة نشطة طول فترة الضغط على هذا الزر، وهذه الخاصية لمستخدمي ويندوز XP. أيضًا لمستخدمي ويندوز XP عند الضغط على زر SHIFT وفتح المجلد سيقوم بفتحه في نافذة متصفح يمكن استعراض الملفات والمجلدات الأخرى بشكل منظم .

ومن الممكن تصفح الملفات الأخيرة التي قمت بالاطلاع عليها وذلك عن طريق الزر more الموجود في آخر القائمة.

أيضًا يمكنك نقل أو نسخ أي ملف تريد عن طريق زر الفأرة الأيمن ثم تحدد المكان الذي تريد نسخ أو نقل الملف إليه بسهولة بالغة.



كذلك سيظهر لك معلومات عن المجلد الذي تقوم بالعمل عليه من موقعه أو حجمه ونوعيته.

باختصار هذا البرنامج يريحك من عناء فتح نوافذ كثيرة عند البحث عن ملف أو صورة معينة.

إعدادات البرنامج

بالضغط على الزر F سيقوم البرنامج بفتح نافذة الإعدادات، كما في الصورة المبينة.

توفر خيارات عدة من ناحية موقع الزر في الزر الأيمن سواء الأقرب للفأرة أو بالأعلى أو الأسفل، وأيضًا يمكن تحديد شكل النافذة المنبثقة من الزر إما أن تكون أحادية أو مزدوجة.

وفي الخيار show recent يمكن تحديد عدد الملفات التي ستظل في قائمة الملفات التي تم زيارتها وفي زرclear list يمكن مسح الملفات الأخيرة التي قمنا بالاطلاع عليها.

من خيار menu show delayيمكنك من تحديد السرعة التي ستظهر فيها النافذة، يفضل تركها على الرقم صفر.

أفكار و حيل

هل تعبت من تثبيت برامج الترجمة في كل مرة تحتاج إلى ترجمة كلمة من وإلى اللغة الإنجليزية!

وهل تعلم أن في حاسبك الشخصي مترجمًا قويًا جدًا يتبع برنامج المايكروسوفت وورد.

كل المطلوب أن يتوفر لديك برنامج مايكروسوفت وورد الإصدار [illegible] أو أحدث.

Arabic Saudi Arabia - English United States :القاموس

البحث عن: أمان (حماية)

استبدال بالترجمة: protection

أمان (حماية)
أمان (طمأنينة)
أمان (عهد)
أمانة (حراسة)
أمانة (وديعة)
أمانة (وفاء)

protection

إدراج
ترجمة
إغلاق

القواميس المثبتة: Arabic Saudi Arabia / English United States

Arabic Saudi Arabia / English United States
English United States / Arabic Saudi Arabia

قم بتشغيل البرنامج

ثم اتجه إلى: أدوات

ثم إلى : اللغة

وستجد القاموس

قم بترجمة أي كلمة تريدها من وإلى اللغة الإنجليزية.

تستطيع استبدال لغة الإدخال بأن تكون الترجمة من العربية إلى الإنجليزية أو العكس.

ملاحظة: يجب تثبيت هذه الميزة مع تثبيت البرنامج.



حاسب و برامج

من أشهر المنتديات التي تهتم بالحاسب وعلومه وتوفير برامج وشروحات عديدة لكثير من البرامج المهمة.

يمكن للزائر أن يقوم بالاستفسار عن أي مشكلة أو برنامج ولكن بعد التسجيل في الموقع. وهذه مجموعة من المواقع التي تهتم بهذه الناحية:

بوابة العرب
www.arabsgate.com

المشاغب
www.absba.org

شبكة القمر
www.moon15.com

الفريق العربي للبرمجة
www.arabteam2000.com

النادي
www.alnaadi.com

مركز علوم و صيانة الحاسب الآلي
www.smccsa.com

الشبكة العربية
www.arabspc.ne

منتديات العرب للبرامج
www.baramj.com

إقلاع سوفت
www.eqla3-soft.com

حاسب
www.7aseb.com

برنامج عربي

المؤقت

الإصدار: الثالث، مجاني.

الحجم: ٩١٥ كيلو بايت.

تصميم وبرمجة: وسام جليل عبدالكاتب.

متوافق مع جميع إصدارات ويندوز.

المصدر: www.vb-pro.net

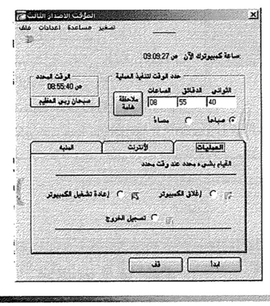
هذا البرنامج يقوم بعمليات مختلفة منها إغلاق الكمبيوتر أو إعادة تشغيله أو تسجيل الخروج أو قطع الاتصال بالإنترنت وغيرها من المهام التي تحددها في زمن معين، ولا يحتاج البرنامج عملية تنصيب، فقط قم بتحميله على الجهاز واستمتع به.

عند تشغيل البرنامج للمرة الأولى ستظهر لك رسالة لتحديد إصدار الويندوز الذي تعمل عليه.



مهام البرنامج

* إيقاف تشغيل الكمبيوتر أو إعادة تشغيله أو تسجيل الخروج من حساب المستخدم في وقت محدد.
* قطع الاتصال بالإنترنت أو فتح موقع تحدده أنت في وقت محدد.
* يظهر البرنامج مدة اتصالك بالإنترنت.
* يمكن تحديد رسالة تظهر لك لتنبهك لأي مهمة أو للصلوات الخمس.



تصفح آمن

للتصفح الآمن للإنترنت، قم بإلغاء الإكمال التلقائي لكلمات المرور السرية التي يحتفظ بها الجهاز وهو ما قد يعرض حساباتك للسرقة عن طريق المتطفلين، أو قد يمكن أي شخص آخر من دخول حساباتك على جهازك الشخصي دون علمك.

ولتعطيل هذه الخاصية قم بالذهاب إلى قائمة أدوات tools في متصفح الإنترنت ثم خيارات الإنترنت Internet options.

انتقل الى محتوى content ثم اضغط على زر إكمال تلقائي AutoComplete.

الآن قم بإزالة الإشارة من على جميع الخيارات، ثم اضغط زري مسح كلمات المرور Clear Passwords ومسح النماذج Clear Forms.

AutoComplete Settings

AutoComplete lists possible matches from entries you've typed before.

Use AutoComplete for

- Web addresses
- Forms
- User names and passwords on forms
- Prompt me to save passwords

Clear AutoComplete history

Clear Forms | Clear Passwords

To clear Web address entries, on the General tab in Internet Options, click Clear History.

OK | Cancel

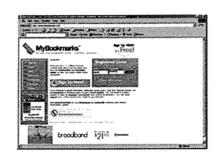
بعد الانتهاء من هذه الاعدادات قد يقوم المتصفح بسؤالك إذا ما كنت ترغب في الإكمال التلقائي أم لا، طبعًا قم بالرفض.

مواقع مميزة



التاريخ
www.altareekh.com

موقع يهتم بالتاريخ العربي والإسلامي وتعريف الأمة بماضي تاريخها وفهرسة الأحداث المهمة وحفظها.



مفضلتك على الإنترنت
www.mybookmarks.com

هنا تستطيع حفظ مفضلتك على الإنترنت وتصفحها في أي مكان في العالم، سيريحك من عناء نقل مفضلتك كل مرة تريد استخدام حاسوبًا آخر، الخدمة مجانية بعد التسجيل.



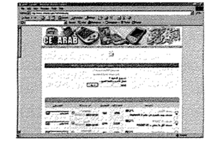
دليل المواقع العربية - ردادي
www.raddadi.com

يعتبر ردادي أشهر دليل موقع عربي على الإطلاق، تمت فهرسة موضوعات واهتمامات المواقع بطريقة منظمة تسهل عملية البحث.



أبو هارون
www.abuharon.com

عند إحساسك بالملل قم بزيارة هذا الموقع الفكاهي من الطراز الثقيل، يحتوي قصصًا وطرائف ترسم البسمة على وجوه الزوار.



الكمبيوتر الكفي
www.ce4arab.com

موقع يهتم بكل ما يتعلق بالكمبيوترات الكفية وتوفير برامج خاصة وصيانتها

أولى خطوات التحرر هي تحرير الأمة من القابلية للأستعمار

مالك بن نبي (١-٢)

محمد الصاوي . الاسكندرية

في عشرينيات القرن العشرين، كان المتظاهرون في شوارع القاهرة يصيحون: «الحماية بيد زغلول، ولا الاستقلال بيد عدلي». وقد اعتبر هذا انتقالاً بالولاء من الفكرة إلى الشخص. إنها الشخصنة التي تتحول إلى لون من الوثنية، التي تختزل مصير أمة في فرد، قد يسهل التخلص منه أو إغراؤه؛ فتبطل فاعليته. وما من شيء أحب إلى المستعمر من شعوب تعلقت مصائرها بشخص أوحد. وما أتعس الشعوب التي انقطع تواصلها مع زعاماتها.

و كما أننا نحذر من الشخصنة في كل المجالات، فإننا أشد ما نكون منها نفورًا في مجال الفكر والإبداع. فإن الأمة التي تجعل من حفنة من رموزها الفكرية أوثانًا، إنما هي في حقيقة الأمر تتعامى عن واجب التنقيب عن الأفكار المبدعة، التي لا يخلو منها عصر، مهما تعامت عنها أبواق الإعلام المؤممة. شخصنة القضايا تصم جهودنا - إن وجدت - بالفردية التي تتلاشى في مواجهة جهود الآخرين المبرمجة المنسقة.

ولم لا يكون السارق فرنسيًا؟

تحت نير الاستعمار الفرنسي ولد مالك بن نبي في شرق الجزائر سنة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م)، لأسرة رقيقة الحال. تلقى تعليمه على أيدي معلمين عرب غرسوا فيه حب العربية مع بذرة العمل الوطني، ثم معلمين فرنسيين أيقظوا فيه الشعور بضرورة الاعتصام بحبل الإسلام، في مواجهة مؤامرات مسخ العروبة والإسلام.

بعدما أنهى دراسته الثانوية عام ١٩٢٥م، التمس ككل شباب الجيل فرصة للمغامرة يطل منها على العالم. ولم يكن من بد من الاتجاه إلى فرنسا، التي استقبلته ببرود غريب، فلم يجد بعد خبرة فشل مريرة سوى أن يطلب من أهله تكلفة عودته إلى الجزائر.

عمل مدة عام كاتبًا في محكمة، حيث وجد من منسوبيها دفء المشاعر ونبل الشخصية الجزائرية التي تشربت الإسلام. وبعد فشل قريب في تجارة مشتركة، كان من الحكمة أن يغيّر جوهريًا من ظروفه، فانصاع لنصح والديه بالسفر إلى باريس، لا للتسكع بل للدراسة.

وجد الشاب نفسه ثانية في قلب باريس سنة ١٩٣٠م، فقرر ألا يذوق من الفشل مثل ما ذاق قبل خمس سنوات. لكن الفشل أبى إلا أن يمحصه تمحيصًا. لقد لعبت السياسة لعبتها، وقيل له إنه أخفق في امتحان القبول بمعهد الدراسات الشرقية، الذي كان ينوي أن ينطلق منه إلى عالم الحقوق. لقد أريد للشاب أن يحتجب عن دنيا السياسة والقضاء، لكنه ولج بابهما من غير باب الحقوق، من باب مدرسة اللاسلكي التقنية.

تحسنت أحواله، فتزوج الفرنسية المهتدية إلى الإسلام (خديجة)، التي يذكرها بقوله:«إن الأقدار التي سخرتني وسيلة تعرفت خديجة بوساطتها على الإسلام، قد سخرتها هي لأتعرف بوساطتها على الوجه الأصيل للحضارة الفرنسية» وكانا يحلمان بالعيش يومًا في المملكة وفي الطائف تحديدًا. تعمقت اهتماماته بالنهوض بالعالم الإسلامي، وشرع في مشروعه الفكري الضخم، بادئًا سنة ١٩٤٦م بكتابه الفذ: الظاهرة القرآنية. وتلاه سنة ١٩٤٨م بكتابه: شروط النهضة.ثم في سنة ١٩٥٤م أخرج كتابه: وجهة العالم الإسلامي. وتوالت كتاباته ومحاضراته.

بعد إعلان الثورة الجزائرية، لم يجد مفرًا من الانتقال إلى القاهرة، حيث لقي احترامًا يليق بمثله. وهنالك أخرج سنة ١٩٥٦ كتابه: فكرة الإفريقية الآسيوية. وما إن نالت الجزائر استقلالها حتى انخرط في خدمة الوطن، فعمل مديرًا للتعليم العالي. لكنه ككل مفكر أصيل

ضاق بقيد الوظيفة، فاستقال سنة ١٩٦٧م لعله يفرغ لأبحاثه. وكان أول ما كتب إذ ذاك كتابه: مذكرات شاهد للقرن، الذي صدر منه مجلدان، وبقي مجلد ثالث مخطوطًا، حين لبى النداء المحتوم في الحادي والثلاثين من أكتوبر سنة ١٩٧٣م(١٣٩٣هـ). قضى الرجل نحبه، وخلف وراءه كنوزًا من العلم.

كانت رحلة العمر ضرورية لتكوين خبرة كاتب، ظل معنيًا بتشريح العلاقة بين الإسلام والقوى المعادية، أو بين المشرق وقوى الهيمنة الغربية. وعني أكثر ما عني بتشريح أنماط العلاقات بين العرب والغرب. وشغله أكثر ما شغله استغراق سكان المدن في قشور الحضارة دون اللباب. فلم يرصد من مظاهر الحياة الأوربية بين الجزائريين سوى الحفلات والمجون وتعاطي الخمور والتعامل بالربا. لكنه برغم ذلك وجد بقية الخير في الريف الجزائري الأصيل. وإن كان هذا الأخير لم يسلم من طوفان التلوث الذي أصر عليه المستعمر إصرارًا.

لا ينسى مالك بن نبي مقالة حق في وجه طاغية فرنسي ضئيل، تحدث عن سرقة بقرة في مدينة قسنطينة، وقفز إلى الاتهام كالعادة: «إن واحدًا من الأهالي (يقصد الجزائريين) هو الذي سرق البقرة ». فانبرى له طالب في الثانوية وصدمه بالقول: «ولم لا يكون السارق فرنسيًا؟».نعم لقد تناغمت هذه الروح الأبية مع جهاد عبد الحميد بن باديس الذي أصدر في قسنطينة صحيفتي (المنتقد) وفي عقبها (الشهاب).

كان المستعمر ماضيًا في استنزاف قوت الوطن وكرامته، فقد تمكن من مناطق الشمال، حيث زراعة العنب والحمضيات والزيتون. وها هو ذا يتربص بالجنوب حيث الحبوب. ومن نزع ملكية الأراضي إلى نزع الهوية، سعى الغاصبون إلى طمس التاريخ، وتشويه الثقافة وخنق الاقتصاد ووأد الرجولة.

عانى ابن نبي قسوة السجن في فرنسا . لكنه لم يحول طاقاته إلى كراهية بلهاء . بل إلى البناء . فلم يبحث عن حل أزمته الشخصية . إنما أراد أن يحرر أمة صارت سجينة التخلف والقهر والانحطاط

من الجزائر، البلد الذي استذلته فرنسا الاستعمارية، خرج مالك بن نبي لكي يشرح الظاهرة الاستعمارية. من البلد الذي سحقه المستعمر أسس مالك بن نبي شروط النهضة. وفي باريس، التي أبعدته عن دراسة الحقوق، أخرج الرجل كتابه «الظاهرة القرآنية».

يحلو للأكاديميين التقسيم والتصنيف. وجريًا على عادتهم يمكن النظر إلى أربع مراحل في حياة مالك بن نبي:

الأولى: النشأة في بلد مسلم يئن تحت وطأة الاستعمار (١٩٠٥م - ١٩٣٠م). اكتسب من أسرته الشغف بالقراءة والتعلق بالمساجد. وعايش ما جناه المستعمر، وتأثر بجهود ابن باديس. وفيما بين الخامسة عشرة والعشرين من عمره تعمقت قراءاته لمقدمة ابن خلدون، ورسالة التوحيد لمحمد عبده، وأم القرى للكواكبي. وقرأ في تلك الأيام كتبًا مثل: «في ظلال الإسلام الدافئة» لمؤلفته إيزابيل إبرهارت، وكتاب «الإسلام بين الحوت والدب» لأوجين يونج. كما تعرف على كتابات طاغور. واكتشف جون ديوي من خلال الترجمة الفرنسية لكتاب:«كيف نفكر».

الثانية: طلب العلم والرزق في فرنسا، ومعايشة حضارة الغرب وفهمها من الداخل (١٩٣٠م ـ١٩٥٦م). وتعمقت اهتماماته العلمية التطبيقية، وخصوصًا في مجال الهندسة الكهربائية. وفي باريس صار له نشاط بارز في الدعوة إلى الإصلاح والوحدة، وعرف بين الطلاب بأنه «زعيم الوحدة المغربية». وهناك توسعت صلاته بأبناء أوربا والصين وفيتنام، مما عمق تجاربه ومعارفه ووعيه. وفي باريس وضع يده على ما يفتقده المسلمون والعرب المقيمون في أوربا. إنهم ببساطة يفتقدون «الفاعلية». وفي باريس تعرف ابن نبي على المسلم الفرنسي «المسيو سيريل محمد أناكليتو»، واستفاد من مكتبته الإسلامية والنقاشات معه حول المشكلة الحضارية للمسلمين. كما رافق ابن نبي «حمودة بن الساعي» أحد طلاب الدكتوراه في

السوربون. كما تعرف على طلاب البعثات الأزهرية في فرنسا، منهم: الشيخ عبد الرحمن تاج، والشيخ دراز. وتواصل ابن نبي مع رجال الفكر والاستشراق، وتعرف على الصور الكاريكاتورية الشائعة عن العالم الإسلامي، وعمل صحفيًا في «اللوموند»، فازداد تمكنه من مهارات الكتابة، وأخرج نتيجة هذا التواصل فيما بعد كتابه: «إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث». تأثر الرجل لاشك بالحضارة الغربية، وبخاصة اهتمامه الفائق بالعلوم التقنية، وارتباطه الوثيق بمتحف الصناعات والفنون. وكان لكل ذلك وهج في حسه، فاستقامت له أدوات فكره. وبمرور الأيام نضجت أفكاره.



الثالثة: الهجرة إلى العالم العربي ونمو الإنتاج الثقافي (١٩٥٦م-١٩٦٣م). في القاهرة التقى بجمهور عريض، فصار مقروءًا على الساحة العربية، وخصوصًا بعدما اهتم بترجمة أعماله عبد الصبور شاهين، وعمر مسقاوي. وفي سعيه للنهوض الحضاري أخرج في القاهرة باللغة العربية كتابه «الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة»، و«تأملات في المجتمع العربي»، و«ميلاد مجتمع»، و«حديث في البناء الجديد».

الرابعة: عهد الاستقلال والتفرغ للعمل الفكري (١٩٦٣م -١٩٧٣م). تركزت كتاباته في عملية التغيير وإعادة البناء، فكتب «آفاق جزائرية»، و«مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي»، و«المسلم في عالم الاقتصاد»، و«يوميات شاهد للقرن». وأدى فريضة الحج سنة ١٩٧٢م، وفي مروره بدمشق ألقى محاضرتين: «دور المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين»، و«رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن العشرين».

أستعمار من نوع فرنسي

مثلما يصف الإرهابيون أولادَ البلد بأنهم «عرب إسرائيل»، كانت الحكومة الفرنسية تشيع أن الجزائر جزء من التراب الفرنسي. وعاش مالك بن نبي في الجزائر وفي فرنسا. لكن راعه الفارق البعيد بين باريس وقسنطينة، فجعل مهمته في الحياة أن يوقظ النيام ويحطم الأصنام. عندما احتلت فرنسا الجزائر وجدت الغذاء الرئيس للسكان هناك هو اللحم، لكن الجزائريين صاروا بفضل الاحتلال الفرنسي لا يذوقون اللحم إلا في عيد الأضحى. وبعدما استولت السلطات المحتلة على أجود الأراضي الزراعية، هجر المزارعون القرى، وتكدسوا في أكواخ الصفيح على أطراف المدن. برغم أن الجزائر كانت في سنة ١٧٩٨م دائنة لفرنسا بمبلغ سبعة ملايين فرنك.. هذه الحال المزرية لا يفوقها سوى مقولة الكاردينال لافي يجري Lavigerie سنة ١٩٣٠م: «إن عهد الهلال في الجزائر قد غَبَرَ، وإن عهد الصليب قد بدأ، وإنه سيستمر إلى الأبد» وأشد منه قسوة قرار وزير خارجية فرنسا سنة ١٩٣٨م بتحريم تعليم اللغة العربية. وعندما عمل مالك بن نبي مديرًا لمؤسسة تربوية للأطفال، طلبت منه السلطات الفرنسية أن ينهي عمله، بحجة أنه لا يحمل مؤهلاً تربويًا! أما عندما تقدم إلى سلطة الاحتلال بطلب لإنشاء معهد تحضيري لدراسة الهندسة - وهي تخصصه الصريح - فلم يبلغوه برفض الطلب، لأنهم لم يردوا عليه أصلاً. وبعد مئة عام من الاحتلال، لم يعد في الجزائر كلها بحّار واحد، لأن فرنسا قتلت النشاط البحري الجزائري، فقبل ١٨٣٠م كانت القوة البحرية الجزائرية تضم ثلاثين ألف بحار وأسطولاً مكونًا من ٧٢ قطعة بحرية كبيرة، و١٤٠ سفينة متوسطة. و اختفت نقابة عمال النسيج، لأنه لم يعد ثَمّ



نسيج يصنعه الجزائريون... وبرغم أن تسعة أعشار الجزائريين أصبحوا - بفضل الاحتلال - بغير مدارس، فإن دعاية الاحتلال لم تكف عن ترديد شعارات الحرية والعدالة والديمقراطية. نعم الديمقراطية التي جعلت المندوب الفرنسي يحتج على المساواة في الأجور بين العمال المراكشيين ونظرائهم الأوربيين!! الديمقراطية التي أغلقت في مدينة الجزائر العاصمة وحدها ٩٨ مسجدًا، كما أغلقت في البلاد ٢٠٠٠ مدرسة، وصادرت الأوقاف الموقوفة عليها.

مؤلفات تنطق بالأوجاع

عانى ابن نبي قسوة السجن في فرنسا، لكنه لم يحول طاقاته إلى كراهية بلهاء، بل إلى البناء، فلم يبحث عن حل أزمته الشخصية، إنما أراد أن يحرر أمة صارت سجينة التخلف والقهر والانحطاط، فأخرج لأمته عصارة ما أداه إليه اجتهاده (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم). إن الثلاثين عامًا التي أمضاها مالك بن نبي في أوروبا ما كانت لتمنحه سوى اليقين في أن الإسلام هو البديل الحضاري. ولعل هذه الثقة لو أعلنها غيره، لما كانت لها ذات الموثوقية التي يتمتع بها ابن نبي. ومعاناة الجزائر على مدى مئة وثلاثين عامًا أنضجت أفكار الرجل، فتلاحمت بقسوة الأحداث ومرارتها، فلم يكن مالك بن نبي يومًا منعزلاً عن واقع أمته، أو معزولا في كهف ذاته، كحال كثير من زائفي الفكر. مؤلفات مالك تنطق بأوجاع الجزائر، بل بأوجاع أمتنا من طنجة إلى جاكرتا.

رصد مالك بن نبي أصول التخلف في ديار المسلمين، فتحدث عن أربعة منها الجهل، والأفكار المستوردة،و النزعة المادية، والتركيز على المطالبة بالحقوق دون أداء الواجبات:

الجهل: وأشده ما كان مركبًا، بحيث لا يعلم المصاب به حقيقة وضعه، «إما لأنه يحمل أوهامًا يظنها علمًا، أو أنه مصاب بآفة » «تكديس المعلومات»، أو «غمر الدماغ»، أي أنه يحمل جرثومة تجعله عاجزًا عن تحويل معلوماته إلى برنامج تطبيقي، ومن ثم تؤدي به إلى مضاعفات أشد خطورة من عدم امتلاك المعلومات. إنه باكتسابه لهذه المعلومات التي أُفرغت من فاعليتها يصل إلى تناقض داخلي يفرز عدم ثقته بنفسه وبالعلم، فتسيطر عليه الأوهام التي تجعله أداة لخدمة أهوائه ومطية لغيره». ليت شعري، هل لو كانت الجماهير تمتلك الوعي أكانت تصفق لطاغية ؟!! أو كانت تستسلم للتخلف !!

الأفكار المستوردة: الفراغ لابد أن يملأه شيء أي شيء. والأمر سواء إن استوردنا أفكار الغرب بأنفسنا أو صُدرت إلينا، إن طوعًا وإن كرهًا، سرًا أو جهارًا. لا نتحدث هنا عما اصطلح عليه بقضية «الغزو الفكري»، فلم يعد هناك شيء مستور أو مخفي، الحرب تدار علنًا وعلى رؤوس الأشهاد. إنما القصد أن نبين - لمن شاء أن يتبين - أن كثيرًا من الأفكار المستوردة، التي احتفينا بها زمنًا، هي أفكار لا تلقى الاحتفاء نفسه من أصحابها. بل إن منها ما هو مرفوض لديهم، ومنها ما تجاوزته صيرورة الأمور، فمات ليفسح الساحة لجديد لم نلتفت إليه بعد، ينطبق هذا على أفكار مالك بن نبي نفسه، من وجهة أخرى فالفكرة كالنبات، إن أنت غرسته في غير الأرض التي تمده بعناصر البقاء والنمو هلك. وفي المجال الثقافي تحتاج الفكرة إلى شبكة من العلاقات، تدور معها وجودًا وعدمًا (تأمل فكرة إلغاء حكم الإعدام، وحق الإجهاض، وتخفيف العقوبة في حق الجاني إذا كان مخمورًا). ولكي تثمر الفكرة

الجديدة لابد لها أن تتناغم مع سائر الأفكار، بحيث لا يؤدي بعضها إلى إبطال فاعلية بعض(كالعقاقير ذات التأثير المتضاد، لا ينال المريض منها سوى تدهور حاله). والمعنى أن من الأفكار المستوردة ما هو ميت ومنها ما هو قاتل. «فالأفكار الميتة هي الأفكار التي فقدت فعاليتها في وسط متعطل، أما الأفكار القاتلة فهي أفكار حية في وسطها الأصلي ولكنها نقلت إلى وسط مغاير بدون شروط نقلها». إننا لن نصبح عصريين إذا ما لبسنا الجينز وشربنا الكولا ورقصنا الماكارينا. سيقول السفهاء من الناس: «إن الإرهاب يبدأ فكرًا، فلا تفكروا، ولا تعلموا النشء سبيل الفكر أبدًا. وعليكم بالمفكرين، فاقتلوهم قتل عاد وإرم». بئسما سولت لهم أنفسهم.

المطالبة بالحقوق وإهمال المسؤوليات: ﴿وأوفوا بعهدي أوفِ بعهدكم﴾. انطلاقًا من الآية صاغ ابن عطاء الله السكندري العلاقة التي تربط بين الواجب والحق بقوله: «اجتهادك فيما لك، وتقصيرك فيما طُلب منك دليل على انطماس البصيرة منك». وسواء كانت تلك حقوقًا بين أفراد وحكرمات، أو كانت حقوقًا بين دول متخلفة ودول متسلطة. فواجب الطرف المطالب بالحقوق أن يقدم أولاً ما يقيمه من وهدته.

سيطرة المادية على النفوس: المادية في أدنى مستوياتها المتعة الآنية ﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾. قيمة المرء صارت تقاس بما يستهلكه.

و في تشريحه للتخلف في عالمنا يؤكد ابن انبي طائفة من المسائل:

* فرق بين تخلف الأفكار وتخلف الوسائل.
* التخلف لا يقفز فجأة، والنهوض لا يبزغ فجأة.
* التخلف ظاهرة معقدة ولا يمكن لأسبابه إلا أن تكون معقدة.
* معالجة ما بأنفسنا أولى وأقرب من الركون إلى تهويل أثر الهيمنة الغربية.
* في عقول الناس يكمن التخلف أو التحضر.
* المجتمع المتخلف حصيلة عادلة لمجموع أفراد متخلفين.
* أبشع التخلف مناهضة التجديد وغياب النقد(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).
* شتان بين الاستيراد والاستيلاد في مجال الثقافة.
* الإثارة الإعلامية ذات الطابع الاحتفالي لقضية ما لا تدل بالضرورة على وقوع تغيير في الواقع.
* إن مواجهة التخلف في أيما مجال لا يكون إلا ضمن برنامج حضاري شامل.

رصد مالك بن نبي أصول التخلف في ديار المسلمين ، فتحدث عن أربعة منها الجهل ، والأفكار المستوردة ،و النزعة المادية ، والتركيز على المطالبة بالحقوق دون أداء الواجبات

مشكلات الحضارة

من إضافات مالك ابن نبي للفكر المعاصر رؤيته الكلية لمشكلات العالم الإسلامي، فيسميها «مشكلات الحضارة». وهذه رؤية تشمل جوانب الرؤى الأخرى مجتمعة: جانب العقيدة، والجانب السياسي، والجانب القانوني، والجانب التربوي، والجانب الاقتصادي. وهذا يفسر العنوان العام الذي صدرت به معظم كتبه: «مشكلات الحضارة». ولأنه نظر إلى الأمر من هذه الوجهة الأشمل، فإنه راح يحلل عناصر الحضارة وأدوارها من نهوض وانحطاط. لذا فإنه يبدو فيما كتب فيلسوفًا سياسيًا تربويًا اقتصاديًا معًا. وهو لذلك يحذر من أسطورة: (الشيء الوحيد) و(الرجل الوحيد) الذي ينقذنا.

و لعل منشأ الصعوبة النسبية في قراءة ابن نبي يكمن في نزعته الشمولية، إضافة إلى أسلوبه غير السلس بالمفهوم الأدبي، ناهيك مما تحدثه الترجمة من مسافة بين النص الأصلي والترجمة.

من أفكاره عن النهوض الحضاري أن الدين يحرر الإنسان من سطوة غرائزه، ويوثق

عُرَى المجتمع بالتراحم والمؤاخاة، كما حدث مدة النبوة والخلافة الراشدة. أما عندما يضعف الوازع الديني، فإن أمراض الحضارة تبزغ وتتفشى حتى تنحط وتتحلل. ويصير الإنسان عندها مثل جزيء فقد طاقته، لابد له من إعادة شحن، في دورات حضارية. تلك الدورات التي تحدثت عنها أعمال عبد الرحمن بن خلدون ومن بعده أرنولد توينبي.

في حديثه عن شروط النهضة يفرق مالك بن نبي بين (تكديس الأشياء) و(بناء الحضارة). ويظل يؤكد المعادلة التي تستهويه:

الناتج الحضاري= الإنسان + التراب +الوقت.

و بلغة الكيمياء، فإن العناصر الثلاثة ليست ذاتية التفاعل، بمعنى أن وجودها لا يؤدي تلقائيًا إلى حدوث التفاعل وحصول الناتج. فلابد إذًا من عامل مساعد يستحث التفاعل. هذا العامل الذي لا يحدث التفاعل في غيابه هو الدين. الدين بمعناه الأوسع، أي ما يؤمن به المرء ويتفانى في سبيله.

ويتقدم ابن نبي في تحليله خطوة أعمق، إذ يؤكد شبكة العلاقات الاجتماعية، فيقول إن المجتمع القوى تميزه شبكة علاقات اجتماعية كثيفة(كالبنيان المرصوص). أما إذا تفسخت العلاقات بين الناس فهم في سبيلهم إلى الانحطاط، فتتضخم ذات كل فرد، ويتحول المجتمع إلى (تجمع). وهذه الحالة يسميها ابن نبي «مجتمع ما بعد الحضارة »، وأهم ما يميزها القابلية للاستعمار، وهي مجمل الخصائص الاجتماعية التي تسهل سيطرة الغزاة واستمرار الانحطاط. ومن هنا فإن أولى خطوات التحرر هي تحرير الأمة من القابلية للاستعمار. والدليل على صدق ذلك أننا بعد زوال الاستعمار لم ندخل مرحلة الحضارة. فكم مواطن عربي يحلم بالفرار من الوطن! الاستثمار الذي لا يتحدث عنه أحد هو تنمية إنسانية الإنسان. عندما يكون العدو على باب بيتك، فمن الجنون أن تفكر في طلاء غرفة نومك.

التبرك أم قانون التغير

و من أفكاره الوثيقة الصلة بفكرة القابلية للاستعمار، فكرته عن أن أداء الواجبات هو الطريق إلى تحصيل الحقوق﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ الآية تقرر قانون التغير الاجتماعي، وليست للتبرك بها بمفهوم الدراويش. والمتأمل في قانون التغير الكامن في النص القرآني يجده قانونًا مزدوجًا، فقد يكون التغير من العافية إلى البلاء، كما يكون تغيرًا من السقام إلى المعافاة. فاستمع لقول الحق:

﴿ **ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة نعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم**﴾ الأنفال ٥٣، ثم استمع لبقية القانون ﴿ **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ الرعد ١١، ولأمر ما جعل الله هذه الآية واحدة من آيات سورة الرعد، فلعل الرعد هو مستوى الصوت المناسب تمامًا لإيقاظ النيام، وإقلاق راحة المغفلين. نعم إن قانون النفوس سنة من سنن الله في كونه.

و في هذا الإطار ينتقد مالك بن نبي ما سماه (فرط التسييس)، والذي أدى إلى تأجيل أي عمل نهضوي اجتماعي «صغير» بانتظار العمل السياسي «الكبير». أو تأجيل كل عمل بانتظار «العيد» الموعود المتمثل في التحرر من الاستعمار، أو الوحدة، أو قيام الدولة (الاشتراكية)، أو قيام الدولة التي تطبق الشريعة الإسلامية.

اعتاد ابن نبي ضرب الأمثلة الموضحة لأفكاره، فلكي يشرح مقصوده «بالفاعلية الاجتماعية » يضرب مثالاً بالطفل الذي يقود جملاً، فالطفل هنا فاعل بخلاف الجمل الذي لا إرادة له حال انقياده. ويضرب مثالاً آخر بإنجلترا الدولة الصغيرة التي احتلت بلدًا ضخمًا كالهند. وفكرته عن الفاعلية الاجتماعية فسرت لنا: لماذا فشلت في إندونيسيا خطط اقتصادية سبق لها النجاح في ألمانيا؟ صحيح أن بنى البشر سواء من حيث المعادلة البيولوجية، لكنهم ليسوا أكفاء من حيث المعادلة الاجتماعية.«ولكنكم غثاء كغثاء السيل».

«فالأفكار الميتة هي الأفكار التي فقدت فعاليتها في وسط متعطل ، أما الأفكار القاتلة فهي أفكار حية في وسطها الأصلي ولكنها نقلت إلى وسط مغاير بدون شروط نقلها» .

من شروط النهضة إذًا الإحساس بالتحدي، والدافع إلى الرد عليه بفاعلية. لا تنقصنا الأفكار ولا المفكرون، ينقصنا إرادة التغيير، ينقصنا عمل فاعل وحركة منتجة. في عام ١٨٨٤م دعا جمال الدين الأفغاني إلى وحدة العالم الإسلامي. وبعد مئة وعشرين عامًا لم نزدد إلا فرقة وعداء. وهذا عين ما قصده مالك بن نبي حين قال: «المسلم لم يتخل عن عقيدته، ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها. وليس المهم أن نعلم المسلم عقيدة يملكها، بل المهم أن نرد إلى تلك العقيدة فاعليتها». وعندما كتب مالك بن نبي كتابه «فكرة كومونولث إسلامي» لم يكن نصيبه أوفر من نصيب الأفغاني في العروة الوثقى. لدينا اليوم أسماء كبيرة لأشياء صغيرة: «المجلس الأعلى لكذا»، «الاتحاد العالمي لكيت وكيت»، (هل سمع أحدكم باتحاد المعلمين العرب؟) .. ولأننا نظن الكلام لونًا من الفعل، فقد صرنا نعتقد أن الكلام يغني عن الفعل. عدونا لا يكره من يفكرون، بل يكره كل ما من شأنه أن يحول الفكرة إلى عمل ونشاط.

و يفرق ابن نبي بين (الثروة) - مدعاة الوجاهة الاجتماعية - وبين (رأس المال) الذي يصنع الحركة ويوظف العقول. وبناء عليه فالنهضة تعني تحويل الثروة إلى رأسمال. وينعي على الولعين بتكديس (الأشياء). نعم لدينا عتاد حربي وأسلحة كالجبال، لكن خلفها فكر مهزوم مريض. لدينا مدن للإنتاج الإعلامي، لكنها كرست تخلفنا وتبعيتنا. فماذا أغنت (الأشياء) دون سلوك نهضوي ؟ يقول خالص جلبي بحق: «لا يمكن أن تكسب حربًا ضد خصم تشتري منه سلاحًا ينتجه».

التربية: هندسة النهضة

إن يكن لميراث مالك بن نبي محل بيننا اليوم، فمحله المكين يجب أن يحتل ميدان التربية. فالمليارات التي ننفقها سنويًا على مدارسنا إن لم تتمخض عن شخصية ذات فاعلية ومبرأة من القابلية للاستعمار، فما أضيع ما ننفق. التربية هدم وبناء، أو تخلية وتحلية (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله). وبعبارة أبسط: تنقية من رواسب ضارة، ثم بناء النهضة على الأصول (فاستقم كما أمرت). وابن نبي أدى به اجتهاده إلى أن تلك الأصول عنده هي: الدستور الخلقي، والذوق الجمالي، والمنطق العملي، والفن التطبيقي أو «الصناعة».

الدستور الخلقي الذي يسمو بإنسانية الإنسان،



فيكتشف البنسلين بدلاً من أن يخترع الديناميت. الحلال والحرام قبل حساب الربح والخسارة. حقوق الملكية الفكرية في إطار «من كتم علمًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار». دستور الأخلاق الإسلامي هو «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن عمله ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه»

و الذوق الجمالي الذي تشبع سلوكه بقاعدة «إن الله كتب الإحسان على كل شيء». الأناقة الحضارية أسمى من حضارة أحمر الشفاه. ما يثير الشفقة أن الفتاة العربية كلما نالت نصيبًا أكبر من التعليم المدرسي، زاد حرصها على طلاء أظفارها، لا على ترقية معارفها. ومن شاء أن يتحقق من مستوى الذوق الجمالي لدينا جميعًا فليتخيل أن عمال النظافة في الحرم الشريف توقفوا عن عملهم لمدة نصف يوم. قد نعلم أن الفنون ترقى بالوجدان وتهذب المشاعر وتصقل الأحاسيس وتسمو بالأذواق، لكن ما علاقة ما تقدمه الماكينة الإعلامية العربية بشيء من ذلك؟!

و المنطق العملي الذي فهمته السيدة خديجة رضي الله عنها: «إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَل،و تُكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق» لم تقل لنبي الله إنه

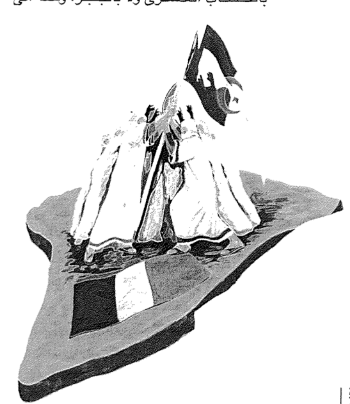
حلو الحديث، برغم أنه لكذلك، بأبي هو وأمي.. والمنطق العملي ذاته فهمه الصحابي المهاجر:«دلوني على السوق». لماذا داود من بين الأنبياء قيل فيه: «... وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»؟! لأن داود ملك، وليس من حال الملوك السعي في طلب لقمة العيش. فكان المثل النبوي أوقع ما يكون بواحد منهم. قد يقال إن المجتمع الإسلامي يعيش طبقًا لمبادئ القرآن. لكن الصواب أن نقول إنه يتكلم تبعًا لمبادئ القرآن. ألا ما أحوجنا إلى تربية تحرك الحياة بالقرآن، بحيث تصير الآية الواحدة «أمرًا حيًا يُملي على الفرد سلوكًا جديدًا، وتجذبه جذبًا إلى حياة العمل والنشاط». بدلاً من أن تصبح بلادنا ورشة للعمل تحولت إلى سرادق للخطابة، وانقلب العمل الاجتماعي المنتج الفعال إلى حذلقات حول البنيوية والتكعيبية وما بعد الحداثة وختان الإناث.!

و الفن التطبيقي هو القيمة المضافة بلغة الاقتصاد. هي القيمة التي صنعت اليابان، البلد الفقير إلى كل المواد الخام الأولية. «إن القرآن الكريم لم يأت قطعًا وبصورة مباشرة لا بالحساب العشرى ولا بالجبر، ولكنه أتى بالمناخ العقلي الجديد الذي يتيح للعلم أن يتطور» وإن كل فراغ لا تشغله أفكارنا الإسلامية، فإن أفكارًا مناقضة حتمًا ستشغله. وإن عدونا ـ اليوم وبالأمس ـ يجاهد لإحداث الفراغ وتكريسه. لذلك كان الواجب الدائم هو «أن نستعيد أصالتنا الفكرية، واستقلالنا في ميدان الأفكار، حتى نحقق استقلالنا الاقتصادي والسياسي».

التربية القرآنية: تربية تحيل الآية الواحدة إلى حركة ونشاط وإنتاج. من الغباء أن نتوقع من جموع الناس أن يستغرقوا في قضايا علم الكلام أو مذاهب تفسير القرآن، لكن الواجب الأقدس أن يتحركوا في الحياة مؤمنين أن الله ـ الفعال لما يريد- يفرض عليهم حياة فاعلة لا خاملة. التربية القرآنية تعني تنزيل معرفة الوحي على واقع الناس. «اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه». إننا بعبارة ابن نبي «لا نقدر علمًا حق قدره مادمنا لا نعلمه إلا في صورته النظرية». كان ابن نبي يفكر في الديناميكا الحرارية، وفي كيفية تسخير حرارة الصحراء العربية في توليد الطاقة، كما فكر في إنشاء مصنع للأسمدة يقوم على مخلفات عيد الأضحى في منطقة منى. أرجو ألا يغيب عنا أن التربية عملية لا تحدث داخل جدران المدرسة فحسب، بل في سياق حياة المجتمع في مجملها.

ويحق لنا أن نلمح تطابقًا بين ما استخلصه مالك بن نبي وما سبقه إليه محمد أسد، فكلا الرجلين آمن بأن «الإسلام كان هو الشرارة التي شكلت الحضارة، وهذه الحضارة انحطت ليس بسبب فعالية الإسلام بل بسبب توقف فعاليته» وابن نبي ـ ككل مسلم فقه دينه ـ أيقن أن القرآن به تنهض الأمة، وبمقدار ابتعادها عن القرآن يكون انحطاطها.

و مثلما سبق أن وصفنا كتابات محمد أسد بأنها طازجة، فإن توصيف مالك بن نبي لكثير من مشكلاتنا يبدو كما لو أنه كتب اليوم. فهو القائل عن سياسات العرب: «هذه السياسة الخرقاء ما زالت تخفي العناصر الحقيقية للمشكلة عن ضمير المسلم: فهو يتكلم حيث يلزمه أن يعمل، وهو يلعن الاستعمار حيث يجب عليه أن يلعن القابلية للاستعمار. وهو مع هذا لا يبذل أقل الجهد في سبيل تغيير وضعه تغييرًا عمليًا. أما أكثر القادة جدًا فهم في انتظار الملابسات، أعني: يتوقعون سنوح فرصة، فإذا بك تراهم من حين لآخر يرفعون



عقائرهم بالاحتجاج، معلقين أملهم على بعض الأساطير المسماة (الأمم المتحدة) أو (الضمير العالمي)».
عن:«وجهة العالم الإسلامي» ص ١٠١ .

عوراتنا الثقافية

ألم نتفق على أن التربية هدم وبناء، أو تنقية من رواسب ضارة؟ يضع مالك بن نبي يده على أبرز نقائصنا الحضارية المعاصرة، ومنها: مركزية الذات في كل محاورة أو نقاش. فما يبدو في ظاهر الأمر أنه حوار أو نقاش لا يعدو جولات خطابية، لا تستهدف حل معضلة عملية، بل إن غايتها أن تثبت كل ذات تفوقها، فلا تسمح لأي كان أن يغلبها، ولو كانت الغلبة غلبة لفظية. إننا في التحليل الأخير نواجه مآسينا بإحدى طريقتين: إما أن ننكر وجود المشكلة ونتعامى عن رؤيتها، لدرجة أننا نكاد نقتنع أن المشكلة غير موجودة بالفعل أو أن نختلق المعاذير لقعودنا عن مواجهتها، والمعاذير باب إلى الكذب. وتغلف حياتنا بعامة خرافات ثلاث: خرافة السهولة، وخرافة الاستحالة، وخرافة الشيء الوحيد.

و من عوراتنا الثقافية كذلك: «اللفظية»، و«التفاخر والتمدح» و« النظرة الجزئية للأمور» و«مجافاة الواقع» و«تكديس الأشياء» و«الإفراط والتفريط». عندما يتحدث أحدهم عن تطور التعليم يذكر أعداد الطلاب، لكنه لا يتوقف كثيرًا أمام ما يتعلمونه بالفعل. وعندما يتباهى الآخر بإنجازات الإعلام فإنه يذكر عدد ساعات البث وعدد القنوات، لكنه لا يلتفت إلى ما يتلقاه المواطن من كل هذا. وبكلمة جامعة: إن عوراتنا تتبدى في التسكع اليائس وراء المذاهب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، من الشرق تارة ومن الغرب تارات. يدور الكلام كثيرًا عن تنقية التراث، لكنا لم نسمع عن تنقية الفكر الوافد من الشرق والغرب.

لقد قدم مالك بن نبي - مع ما تقدم - طائفة من الأفكار التي تضعه في مصاف المفكرين الإنسانيين، نوجز منها:

* تصنيفه للوجود إلى ثلاثة عوالم:

عالم الأفكار، وعالم الأشخاص، وعالم الأشياء. «إذا كانت الأشياء قابلة للاستعمال، فإن قيم هذه الأشياء قابلة للمناقشة». وعبر العوالم الثلاثة يتدرج الإنسان في سلم الحضارة، ففي البدء يرتبط بعالم الأشياء. فإذا ارتقى قليلاً تعلق بعالم الأشخاص، وإذا دخل في مرحلة الحضارة تمسك بعالم الأفكار. ويتحدد

■ ينتقد مالك بن نبي ما سماه (فرط التسييس) ، والذي أدى إلى تأجيل أي عمل نهضوي اجتماعي «صغير» بانتظار العمل السياسي «الكبير» . ■

دور ومكانة الفرد في أمته تبعًا لعلاقة المجتمع بالأشياء أم بالأشخاص أم بالأفكار، إذ يمكن الإشارة إلى أوجه التشابه بين بعض مظاهر النمو العقلي عند الفرد، والتطور النفسي - الاجتماعي للمجتمع، وهذا الأخير يمر هو أيضًا بالأعمار الثلاثة: مرحلة الشيء، ومرحلة الشخص، ومرحلة الفكرة.

* تأكيده أن عالم الأفكار هو أخطر تلك العوالم، فقد تفقد الأمة من عالم الأشياء وعالم الأشخاص الكثير، وتبقى رغم ذلك حاضرة إذا كان عالم أفكارها حاضرًا فاعلاً. لكن الخطورة كل الخطورة أن تبقى الأفكار نظرية مجردة لا تُتَّخذ قاعدة منهجية هادية للعمل. وأخطر منها تلك الأفكار التي لا تسمن ولا تغني، بل تشل وتقعد.

* تمييزه بين الوجود (الانكفاء والانغلاق)، والحضور (الفاعلية). وعليه فهناك أمم موجودة، وأمم حاضرة. لكن لكل أمة أدوارًا تتقلب فيها بين الوجود والحضور. وفي تفريق ابن نبي بين مفهومي «الأخوة»، و«المؤاخاة» نجد تركيزه المعتاد على الفعل الإرادي الجماعي الذي يغير الواقع، وليس على الفعل الروتيني شبه اللاشعوري الذي يعبر عن العادة لا عن الإرادة. فنهضة الأمة تقوم على المؤاخاة لا على الأخوة وحدها، لأن المواخاة فعل وحركة دائبان، أما الأخوة فهي عنوان على معنى مجرد أو شعور. و«المؤاخاة» الفعلية هي الأساس الذي قام عليه المجتمع الإسلامي.. مجتمع المهاجرين والأنصار».

* حديثه عن (المعادلة البيولوجية) التي يتساوى فيها جنس البشر. و(المعادلة الاجتماعية الحضارية العمرانية) التي تصوغها - في كل مجتمع على حدة- ثقافته وخبرته الاجتماعية التاريخية. تتكون عناصر المعادلة الاجتماعية - كما يراها- من ثلاثة عناصر: الإنسان والوقت والتراب(البشر والزمن وثروات الأرض).

* تمييزه في عالم الأفكار بين (الصحة) و(الصلاحية)، وعليه فالفكرة الصحيحة ليست بالضرورة الفكرة ذات الصلاحية. الأفكار الصادقة والأفكار الفعالة والخلط بين الفاعلية والصدق يستخدم لتشكيك المسلمين في إسلامهم، إذ يقال لهم: أتكون صحيحة عقيدة أهلها في أسفل دركات السلم الحضاري، وتكون خاطئة عقيدة تغزو الفضاء ؟! ولا ينبغي للمسلمين أن يتعزوا بصدق أفكارهم عن مصيبة انعدام فاعليتهم.فإن «معجزة اليابان لا تفسر قطعًا إلا بموقف فيه فعالية أكثر اتخذته اليابان من الثقافة الغربية، لأنها تخلصت من الأفكار الميتة الموروثة من عهد «الشوغون»، ولا يمكننا على كل حال أن نفسرها بأن الاستعمار أعطى للنخبة اليابانية أفكارًا مثمرة خلاقة، وأنه على العكس يعطي ٩٥٪ من النخبة المسلمة الأفكار القاتلة والعقيمة.. وعليه فمن الواضح أن القضية غير عائدة إلى طبيعة الثقافة الغربية، ولكنها تعود إلى طبيعة صلتنا بها، وهذه الصلة لا يحددها إلا وراثتنا الاجتماعية، التي لم تتخلص بعد من تأثيرها.

فعلى وجه الخصوص هي التي تملي اختيار السائح المهتم في المزبلة (المراقص والمقاهي)، واختيار الطالب المجتهد في المقبرة(النظريات المجردة). فكلاهما- بمقتضى وراثته الاجتماعية- لا يذهب إلى المهد الذي تولد فيه الحضارة، وإلى المصنع الذي تصنع فيه. ولكنهما يذهبان أحدهما إلى الأماكن التي تتعفن فيها، والآخر إلى الأماكن التي تتقطر فيها.. أي أن كليهما يذهب حيث تكون الحضارة فاقدة الحياة، لا تعطيها».

* تمييزه بين (الظاهرة) و(القابلية المرتبطة بها)، ومثاله الأثير: (ظاهرة الاستعمار)، و(القابلية للاستعمار)، فما كان للظاهرة أن تتحقق ما لم توجد القابلية لها. والشعوب التي أذعنت للمستعمر كانت قد تشكلت قابليتها للاستعمار من قبل. إن الاستعمار ليس موجودًا عرضًا، بل هو موجود لأن المجتمع غير قادر على مقاومته. ومن جهة ثانية فلا يخفى على عاقل أن من شأن الاستعمار أن يقوي في الشعوب التي يستعمرها قابليتها للاستعمار. ولا يمكن لعاقل أن يتكئ على قابلية شعب للاستعمار لكي يبرر فكرة الاستعمار ذاتها. من الحقائق التي يتم تجاهلها عمدًا أن الشعب الجزائري الذي كان مستوى تعليمه يفوق كثيرًا المستوى التعليمي للجيش الفرنسي المحتل سنة ١٨٣٠، تركه الفرنسيون عام ١٩٦٢م وقد بلغت نسبة الأمية فيه ٩٣٪ ! إن قابلية الاستعمار تتجلى دومًا في المتفرنجين أو المتفرنسين أو المتأمركين. فإن العبد لا يحسن الكر والفر، إنما يحسن الحلب والصر. ألم يقل الكواكبي: (بفقدان الحرية، تفقد الآمال، وتبطل الأعمال وتموت النفوس، وتتعطل الشرائع..)؟. ومن تربى على المذلة والخضوع للطغيان أو الإرهاب الفكري فلا يمكنه أن يفكر في النهوض.

القابلية للاستعمار سمة زعماء كما هي سمة شعوب، فكما تقبل بعض الشعوب بالهوان، فإن بعض غاصبي القيادة يقدمون للعدو ولاءهم مجانًا. والمرجو في ظرفنا الحضاري ألا تتحول كتاباتنا ومجمل حياتنا إلى مرثية كبرى، وألا تصرفنا المصائب عن منهج: «وأعدوا »، وألا تصرفنا أعراض المرض عن أصل الداء.

القراءة العجلى السطحية تؤدي إلى الخلط وسوء الفهم، فمالك بن نبي قد تحدث عن مفهومين:

عامل خارجي يسميه (المعامل الاستعماري) ومعناه من واقع التجربة الجزائرية، ما دبره المستعمر لتحطيم

ولأننا نظن الكلام لونًا من الفعل . فقد صرنا نعتقد أن الكلام يغني عن الفعل . عدونا لا يكره من يفكرون . بل يكره كل ما من شأنه أن يحول الفكرة إلى عمل ونشاط .

منابع الحيوية في الأمة الجزائرية، والحط من قدر المرء أمام نفسه، وتسميم فكره، وشل فاعليته، وعرقلة حركته في التعليم والتجارة والفكر.

وأما العامل الداخلي فسماه (القابلية للاستعمار)، وهي قابلية مركبة من صفات الانهزام النفسي، أو ضعف المناعة بلغة الطب. من علاماتها أن يصدق الفرد المقولات الاستعمارية، ويرضخ لها بل يقاوم تغييرها. من أبرز الأمثلة لقابلية الاستعمار أساتذة جامعيون يرفضون محاولات «تعريب العلوم»، ويسخرون من أي حديث عن «إسلامية المعرفة»، حتى لو كان الحديث عن المعرفة الاقتصادية. وصدق مالك بن نبي حين قال «إن كل مجتمع فقد حضارته يفقد بذلك كل أصالة في التفكير، أو السلوك أمام أفكار الآخرين».

يشرح ابن نبي مفهوم معامل الاستعمار بقوله: «هذا (المعامل) يؤثر في حياة الفرد في جميع أطوارها، يؤثر فيه وهو طفل، إذ لا يمده المجتمع بما يقوي جسده وينمي فكره، أو يهيئ له مدرسة أو توجيهًا، هذا إذا كان له أب يحنو عليه. أما إذا فقد من نشأته الأب فسيكون الأمر أدهى وأمر، ولسوف يؤول صاغرًا إلى ماسح أحذية، أو سائل يتخلى عن كل عزة وكرامة، بإراقة ماء وجهه. فإذا ما كتبت له النجاة من كل هذه النكبات، وهيئت له الأسباب لأن يجد مقعدًا في مدرسة.. فكم من العراقيل توضع في طريقه!... ممتحنون بلا انتصاف.. وحكام بلا شفقة، ومستخدمون بلا ضمير... وأخيرًا فكم يلاقي ذلك الفتى المسلم في سبيل الحصول على وظيفة حقيرة! وإذا ما بلغ مبلغ الرجال ماذا يعمل؟ فالشراء، والبيع، والسفر، والكلام، والكتابة، وكل الأعمال التي تقوم عليها حياته الاجتماعية لا تنالها يداه إلا بشق الأنفس، ومن خلال شبكة دقيقة مسمومة من الأحقاد، تسلبه كل وسيلة لإقامة حياته، وتنشر من حوله الأفكار المحطمة لقيمته والمعرقلة لمصالحه، فتحيطه بشبكة محكمة ينسجها خبث المستعمر الداهية. وبدهي أنه في حالته هذه لا سبيل له إلى أن يقوم بأعماله إلا بالقدر الذي يقدره الاستعمار له، فهو يعيش كأن يدًا خفية، وتارة مرئية، تشتت معالم طريقه، وتقصي باستمرار أمامه العلامة التي تحدد هدفه، فلا يدركه أبدًا»

«المعامل الاستعماري لتضييق نشاط الحياة في البلاد المستعمرة، حتى تكون مصبوبة في قالب ضيق، يهيئه الاستعمار في كل جزئية من جزئياته، خوفًا من



أن تتيح الحياة المطلقة لمواهب الإنسان أن تأخذ مجراها الطبيعي إلى النبوغ والعبقرية»

و أخطر أعراض المعامل الاستعماري أنه «يخدع الضعفاء، ويحدث في نفوسهم رهبة ووهمًا، ويشلهم عن مواجهته بكل قوة» والهدف من وراء ذلك كله هو ترسيخ الاعتقاد في أن تخلفنا إنما يعود إلى عوامل داخلية، وأن تقدمنا لن يكون إلا مع الحلول الجاهزة المستوردة.

حذار أن يستغل مفهومه عن القابلية للاستعمار لتبرير الخضوع وتكريس التبعية، فالرجل لم يقصد سوى أن نؤسس نهضة تستعصي على الاختراق. كتب خالص جلبي يومًا: «خيل للعرب منذ نصف قرن أنهم تخلصوا من الاستعمار، ولم تنتبه القيادات السياسية أن معركة الاستقلال الفعلي لم تبدأ بعد، لأن الاستعمار رصيد النفوس قبل الاحتلال العسكري. وعندما فشل العرب في حل المعادلة استبدلوا بالاستعمار الخارجي استعمارا داخليًا أدهى وأمر. مثل من استبدل الإيدز بمرض السل» ذلك الاستعمار الداخلي الذي سماه د.علي شريعتي: الاستحمار. نعم الاستحمار هو الذي سمح لحاكم أن يستذل أمّة ويذيقها ألوان الهوان. لو شاء ابن نبي أن يجد لهذا الاستحمار اسمًا لسماه معامل الاستبداد، أو القابلية للاستبداد

نماذج وخبرات عالمية في التشجيع على القراءة :

الأيدي تمتد للأرفف العليا .. والسفلى!

نصار عمر - الإسكندرية

القراءة رغبة عالمية تحتاج إليها شعوب العالم وتضع لها الحكومات الخطط والمناشط لتعميمها على جميع شرائح المجتمع وأعماره، لبناء إنسان يستطيع التفاعل مع البرنامج التنموي والتمدني.. حرصت كثير من دول العالم المتقدمة وما دونها على إيجاد برامج عملية يذهب فيها الكتاب للقارئ وليس العكس كما كان سابقًا. هذه رحلة قصيرة لزيارة بعض دول العالم لنتعرف على بعض الخبرات والتجارب التي نفذتها؛ من أجل تشجيع أبنائها على القراءة، وجعلها قيمة أساسية في حياتهم.

المملكة المتحدة:

نبدأ رحلتنا في التعرف على الخبرات والتجارب العالمية من المملكة المتحدة، حيث تقوم الكثير من المكتبات المدرسية والعامة بها بتنظيم أنشطة خاصة تعرف باسم القراءة العائلية؛ حيث يتم الجمع فيها بين الأطفال وأولياء أمورهم، ويتم تدريب الآباء على اختيار الكتب المناسبة لأطفالهم بناء على خصائص نموهم العقلي والنفسي، ولقد قادت أن يلوفسكي الدعوة لتسجيل التراث العائلي من القصص التي كان بعض الآباء يسجلونها ويصورون فيها تجاربهم في الحياة، وذلك من أجل استفادة الآخرين من هذا الخبرات والقصص.

وفي إنجلترا أيضًا توجد نحو ٣٥ ألف مدرسة بها عشرة آلاف متجر لبيع الكتب ذات الطبعات الشعبية الرخيصة، حيث يقوم التلاميذ بشراء هذه الكتب من مصروف جيبهم، ويبلغ متوسط مبيعات هذه المتاجر سنويًا نحو ٢٥ مليون جنيه استرليني. ومن الجدير بالإشارة أن بعض هذه المتاجر يديرها أمناء المكتبات المدرسية؛ من أجل رواج الفكرة، وتحقيق أكبر قدر من الاستفادة، ومن جهة أخرى فإن هذه المتاجر تخضع لإشراف جمعية خاصة تقوم بعمليات التشجيع والدعاية والمساندة لها.

تهتم معظم المكتبات العامة البريطانية بالسماح للأطفال بدخول المكتبة من سن سنتين على أن يرافقهم أحد الكبار، وتسعى لتوفير مجموعات متنوعة من الألعاب والعرائس التي تجذب الأطفال، كما تولي اهتمامًا بعقد دورات للآباء لتعريفهم كيفية اختيار الكتب لأطفالهم، إلى جانب التشجيع والدعم والنصائح والتوجيهات التي تساعدهم على تحبيب القراءة إلى أطفالهم.

الولايات المتحدة الأمريكية:

تتميز الولايات المتحدة الأمريكية بالاهتمام بتسجيل خبراتها وتجاربها المختلفة في جميع المجالات، ونشر الكثير منها أمام دول العالم، وذلك عكس الكثير من دول العالم التي تعتبر هذه الخبرات كالأسرار العسكرية يجب أن تحتفظ بها لنفسها، ولذلك نجد الكثير من الأنشطة والوسائل التي تتبعها الكثير من المكتبات الأمريكية لتشجيع القراءة، ومن هذه الوسائل ما يلي:

في مدينة ميسولا حيث تضرب الخيام للعمال الذين يشتغلون بقطع الأخشاب من الغابات، تجول سيارة تحمل الكتب المختلفة لإعارتها لهؤلاء العمال، حتى لا يحرموا من القراءة في أثناء بعدهم عن منازلهم أو المكتبات العامة.

وفي سياتل توجد مكتبة عامة جعلت من عاداتها الحصول على أسماء الأجانب الذين يدخلون في الرعاية الأمريكية، وذلك عن طريق إيفاد مندوبين عن المكتبة إلى كل واحد منهم، وتقدم لهم بعض المؤلفات بلغتهم الأصلية مع بعض الكتب التي يستطيعون بوساطتها تعلم اللغة الإنجليزية.

أما في مكتبة بورتلاند فنجد أنها تقوم بإعارة الصور الكبيرة الزيتية والمائية للمنازل إلى جانب الكتب، ويجوز لربة المنزل أن تبقي هذه الصور شهرًا أو أكثر في منزلها، ويرجع الهدف من ذلك إلى جذب أكبر عدد من المواطنين للقراءة والتردد على المكتبات.

كما تقوم مكتبة لويزفيل العامة بإعارة الكتب والأفلام والأسطوانات واللوحات الفنية العالمية لمدة شهر، وإعارة الأشرطة والمعزوفات الطويلة لمدة اثنتي عشرة ساعة، وإلى جانب تلك الخدمات تقوم المكتبة بتقديم جرارة ومظلة للوقاية من المطر لكل متردد عليها؛ من أجل تشجيع أكبر عدد من السكان على ارتيادها، والاستفادة من مقتنياتها وخدماتها المختلفة.

ولجمعية المكتبات الأمريكية A.L.A طرق عدة في جذب أكبر عدد من المستفيدين إلى مكتباتها، فعلى سبيل المثال تقوم الجمعية بعرض مجلة مرئية كل أسبوع عن طريق استخدام التليفزيون بمكتباتها العامة، حيث تقوم بالاشتراك في برامج التليفزيون لتعليم الكبار وشراء ما تحتاج إليه من الأشرطة المرئية.

وإذا انتقلنا إلى مكتبة جامعة إلينوى نجدها تقوم بتصوير جميع أجزاء المكتبة، وبيان خدماتها المختلفة في فيلم يتم عرضه على طلاب الجامعة لتعريفهم بمكتبة الجامعة وخدماتها المختلفة، والآن بعد التقدم التكنولوجي، وظهور الإنترنت أصبحت معظم المكتبات الأمريكية لها مواقع على الإنترنت، توضح من خلالها جميع البيانات التاريخية والإدارية والخدمات والمقتنيات بالمكتبات، كما تتيح أمام المستفيد خدمة البحث والاستفادة من قواعد بياناتها ومقتنياتها.

وتقوم دور النشر في مجال المكتبات بإصدار الكتب التي تتناول طرق تحسين القراءة والإقبال عليها، فهي تقدم الأشعار والألعاب والأغاني العامة التي تساعد على تحسين القراءة، ومن أمثلة هذه الدور شركة ويلسون التي أصدرت عام ١٩٩٢م كتاب أمي الأوزة الذي هو عبارة عن مجموعة من أشعار الطفولة التي كتبها الشاعر الفرنسي تشارلز بيرو في أواخر القرن السابع عشر، والذي ترجم إلى العديد من اللغات.

ومن الجدير بالذكر أن نشأة المكتبات المنزلية كان بالولايات المتحدة منذ عام ١٨٨٥م، وانتشرت منها إلى الكثير من دول العالم، حيث تقوم فكرتها على تكوين مجموعة من كتب الأطفال الجيدة ووضعها في أحد المنازل الموجودة بالحي، ويقوم بإدارتها مجموعة من الناشئة في سن يتراوح بين ١٢ إلى ١٣ سنة، ويطلق عليهم أمناء المكتبة، على أن يعمل معهم في إدارتها مجموعة من المتطوعين الكبار. أما بالنسبة لميزانية هذه المكتبات فإنها تعتمد على التبرعات التي تقدم من قبل رجال الأعمال والأشخاص القادرين. ومن الجدير بالإشارة أن مجموعات هذه المكتبات لا تبقى كما هي حيث يتم تغييرها كل ستة أشهر.

ولم يتوقف هذا الأمر عند هذا الحد بل هناك بعض المصانع الأمريكية تخصص ربع ساعة كل يوم حيث يتوقف العمل، ويتاح للعاملين في أثنائها القراءة في الكتب والمجلات والصحف التي توفرها لهم إدارة المصنع.

اليابان:

وعندما ننتقل إلى أقصى الشرق حيث دولة اليابان، بلاد الشمس المشرقة التي تتميز بالاهتمام البالغ بمواطنيها منذ الطفولة، نجد أنها تقوم بتجربة عظيمة، لا تنم إلا عن اهتمام بإعداد أجيال على أعلى مستوى من الثقافة، ولذلك تستحق الوقوف عليها، والاستفادة منها، وتتلخص هذه التجربة في القيام بترجمة كتب الأطفال الجيدة على مستوى العالم، وبأية لغة، إلى اللغة اليابانية. ويبلغ متوسط ما يتم ترجمته سنويًا ما يزيد على مائتي عنوان. وتجدر الإشارة إلى أنه في كل عام يسافر من اليابان فريق إلى معرض ميونخ الدولي للكتاب بألمانيا، حيث يقوم هذا الفريق بدراسة وتمشيط كل ما هو في المعرض من كتب الأطفال في جميع اللغات، ثم يعود لدراسة المناسب منها لترجمته كي يستفيد كل طفل على أرض اليابان، ويصبح ملمًا بكل ما يحصل عليه أطفال العالم من

في مدينة ميسولا حيث تضرب الخيام للعمال الذين يشتغلون بقطع الأخشاب من الغابات . تجول سيارة تحمل الكتب المختلفة لإعارتها لهؤلاء العمال . حتى لا يحرموا من القراءة في أثناء بعدهم عن منازلهم أو المكتبات العامة .



معلومات وخبرات، فيتفوق عليهم جميعًا.

ولعل من حسنات هذا العصر أن عملية التعرف على كتب الأطفال الصادرة على مستوى دول العالم ليس بالأمر الصعب أو الشاق، فمنذ عام ١٩٥٧م أصدرت اللجنة العلمية لكتب الأطفال IBBY مجلة فصلية بعنوان Book Bird تساعد في التعرف على الكتب المؤلفة للأطفال لدى كل دولة على مستوى العالم، ومن ثم تستطيع كل دولة ترجمة الكتب المناسبة لأطفالها، كما أن شبكة الإنترنت قد يسرت عملية التعرف على الإنتاج الفكري في جميع المجالات والموضوعات في كل مكان على مستوى العالم، وما علينا إلا أن نختار ما يناسبنا ونقدمه لأبنائنا.

باكستان:

ومن باكستان نأخذ فكرة مشروع «البيزا» أو مشروع القروش أو الريال الذي يدخره الطفل في كل يوم، والذي نفذته دار الإنشاء بمدينة بنجاب الباكستانية، ويقوم هذا المشروع على إرسال الطفل نقوده التي ادخرها في نهاية كل شهر، ويحصل في مقابلها على كتاب قيم مناسب، وكانت هذه الكتب التي يحصل عليها الطفل جذابة ولا تقل عن مئة صفحة، ولقد كان من ثمار هذه الفكرة انتشار الكتب والمكتبات المنزلية في الكثير من المنازل، وعلى الرغم من توقف هذا المشروع إلا أنه ساعد على تشجيع الكثيرين على القراءة والتردد على المكتبات.

الصين:

وإذا انتقلنا إلى الصيننجد أن المكتبات العامة كالمجمعات الاستهلاكية للسلع الغذائية في مصر وبعض دول العالم، حيث خصصت الدولة ناصية الطابق الأرضي في كل بناء يقام في شارع رئيس، لإنشاء مكتبة صغيرة لا تتجاوز عدة أرفف، على أن تخصص مقتنيات كل رف منها لمرحلة عمرية معينة، بحيث تكون الأرفف السفلى للأصغر سنًا حتى لا يضطرون إلى صعود السلم، وتمتلئ هذه الرفوف بالكتب الجميلة والمتنوعة، وما على الطفل إلا أن يدخل المكتبة ويأخذ الكتاب أو القصة التي يريدها ليقرأها ثم يعيدها إلى مكانها، وفي الوقت ذاته يقف اختصاصي المكتبة لمساعدة الرواد الصغار على اختيار ما يرغبون فيه من كتب وقصص.

ومن الجدير بالذكر أنه توجد في العاصمة الصينية بكين ما يزيد على خمسمائة مكتبة بهذا الشكل، وذلك من أجل توفير الخدمة المكتبية للأطفال في كل مكان حتى يشبوا على التعلق بالمكتبة والذهاب إليها حيثما كانت وكانوا، ولقد ساعدت هذه المكتبات على رواج كتب وقصص الأطفال بنسبة كبيرة.

وتقتصر شروط ارتياد هذه المكتبات على



نظافة الأيدي، واحترام الآخرين في الاستمتاع بالقراءة، ولا يقل دور اختصاصي المكتبة عن دور المدرسة بل قد يتجاوزها، فالطفل يتم تدريبه في المكتبة على تعليم نفسه وتثقيفها، ومن ثم تصبح القراءة عادة وقيمة ملازمة له طوال حياته.

ومن الأمور التي ساعدت على تشجيع هذه المكتبات ونجاحها اعتبار الصين كتاب الطفل خارج المدرسة جزءًا لا يتجزأ من التعليم، بل يكمل دوره، فالمنهج الدراسي لا يعد كافيًا لتثقيف الفرد، لذلك كان الربط بين التعليم المدرسي بالثقافة غير المدرسية التي يحصل عليها الطالب بعد يومه الدراسي القصير.

كندا:

وفي كندا نجد مكتبات مدينة تورينتو ومدينة إنتاريو تهتم بأسلوب الدعاية المكتبية، إيمانًا منها بأن الدعاية مفتاح جذب المواطنين إلى المكتبة، ولذلك نجد أن هذه المكتبات تستخدم أجهزة التلفزيون في تقديم معلومات متنوعة كالتوعية المكتبية وخدماتها المختلفة، وخدمات مكتباتها الفرعية، والأحداث الجارية واهتمام المكتبات بها، وكذلك الإعلان عن المجموعات الخاصة بالمكتبات، ومواعيد فتح المكتبة ومواقع المكتبات، إلى غير ذلك من المعلومات عن المكتبات الكندية بهاتين المدينتين، ولقد أسفر ذلك على زيادة الإقبال على هذه المكتبات.

جمهورية مصر العربية:

مشروع القراءة للجميع بدأ منذ صيف ١٩٩١م وحتى الآن، وتتلخص فكرة هذا المشروع في دعوة وتشجيع المكتبات العامة والمدرسية على فتح أبوابها أمام المستفيدين أطفالاً وشبابًا وكبارًا، لتقديم خدمات القراءة في قالب جديد يتمثل في الاهتمام بالأنشطة الثقافية والفنية المختلفة التي تجذب المستفيدين إلى جانب خدمات القراءة والاطلاع، وفي الوقت نفسه اهتم المهرجان بتوفير الدعاية اللازمة، والمجموعات المناسبة لجميع المترددين على المكتبات المشاركة في المهرجان.

ولأن غالبية المكتبات المشاركة في المهرجان مكتبات مدرسية ومكتبات أطفال، كانت غالبية المشاركين في المهرجان من الأطفال؛ نظرًا لقلة مكتبات الكبار، وعدم توافر المواد التي تسد احتياجاتهم المختلفة بالمكتبات الموجودة، وفي الوقت ذاته لا يتوافر الوقت عند الكثير من الكبار للتردد على المكتبات نظرًا لانشغالهم بالعمل، وأضف إلى ذلك ارتفاع أسعار المواد الثقافية المختلفة، وخصوصًا الكتب، ولذلك فكرت اللجنة العليا للمهرجان في إيجاد حل لهذه المشكلة؛ حتى لا يكون هناك محروم من القراءة، فكانت فكرة مشروع مكتبة الأسرة منذ العام الرابع للمهرجان (١٩٩٤م) التي تمثلت في نشر مجموعات من الكتب ذات الموضوعات المختلفة (عامة - أدبية - دينية - علمية - تاريخية - سياسية - اجتماعية...) بأسعار زهيدة في متناول الجميع، وبذلك يكون المهرجان قد نجح في جذب الكبار إلى القراءة والاطلاع، وحل مشكلات عدم توافر الكتب المناسبة بالمكتبات، وارتفاع أسعارها، بالإضافة إلى عدم توافر الوقت المناسب لتردد الكبار على المكتبات.

ولم ينس المهرجان أطفال ما قبل المدرسة، فالطفل الذي لم يتعود على القراءة في الصغر، لن يقرأ لنفسه في الكبر، لذلك بدأ المهرجان منذ عامه الحادي عشر (٢٠٠١) دعوة الكبار للقراءة للصغار من خلال مشروع اقرأ لطفلك، هذا المشروع الذي عمل على توفير الكتب المناسبة للأطفال من خلال مكتبة الأسرة ليستفيد منها الكبار في القراءة لأطفالهم. وبذلك يكون مهرجان القراءة للجميع قد نجح في تشجيع جميع أبناء المجتمع على القراءة. ولذلك تبنت اليونسكو فكرة المهرجان ودعت إلى تعميمه في الدول النامية، ووفرت الدعم المالي لكل دولة تنفذ هذا المشروع.

- مجلتكم هذه «محسوبة على المعرفة»

- مجلتكم هذه «غير نمطية»

- سيرة صياد

- طفل السنة الثالثة يرفع وينصب ويجر!

سبورة

في رسالتين، إحداهما «تشكو» المعرفة والأخرى «تشكر» المعرفة!

مجلتكم هذه «محسوبة على المعرفة»

مازن سنيد العنيني - ينبع

معالي وزير التربية والتعليم وفقكم الله.

وضعتم الكم الإعلامي الضخم لمجلة المعرفة والتي جاءت بعد مخاض لا زبد فيه، فنحن معاشر المعلمين كان لنا السبق بالفرح عند الإعلان عن صدورها، لأننا كنا نعتقد أنها تعالج مشكلاتنا، وتثري لنا الميدان بتجارب وآراء المتميزين من رجال التربية والتعليم.

وكنا نؤمل أن تواكبنا بمستجدات التعليم وتطوراته، مؤملين أننا من خلالها سنتواصل بجسور مع الزملاء في مناطق المملكة، وكان أبناؤكم.. أبناء التربية والتعليم يحلمون أن تخصص صفحات للموهوبين منهم لنشر صورهم وقصص كفاحهم التي من خلالها وصلوا للتفوق، لتكون شرفًا لهم، وحافزًا لغيرهم.

كنا نعلق الآمال أن نجد فيها المعلومة الجيدة عن وطننا، وعن ما يحتويه من إرث وتراث حضاري، وأخذنا نؤمل.. ونؤمل، وكانت المفاجأة والطامة التي قصمت ظهر البعير، مطالعتنا للعدد (١٠٢) رمضان ١٤٢٤هـ والذي كان كله عن باكستان بقصورها ذات الألف باب، وعن سلاحها النووي، وعن قصة كشمير، معرجًا على المطبخ وأرزه البرياني والعادات التي تؤلم القارئ وتوهمه، فهي أقرب للخيال.

معالي الوزير..

إنني أعرف أنك حريص على الميدان التربوي، ومن فيه من معلمين وطلاب، وأنك تحاول جاهدًا هدم كل جسور تحمل فكرًا أو إرثًا مغلوطًا لكي لا يصل لهم، لأننا بناة.. ومن يرد للبناء أن يعلو ويظل شامخًا فعليه أن يختار المؤونة الجيدة القوية.. وإننا نريد تدخلاً منك شخصيًا فيما يخص هذه المجلة المحسوبة اسمًا على المعرفة، وهي بعيدة عنها، نريدها معرفة تخدم الناشئة والميدان، لا تسوق للدعاية والإعلان.

مجلتكم هذه «غير نمطية»

علي صديق الحكمي - الرياض

دأبت مجلة المعرفة على إشغال حيز مهم في مجموعة من أعدادها بملفات عن مناطق ودول مختلفة من العالم. ولقد كنت أتساءل باستمرار... هل نسي رئيس التحرير أنه يرأس تحرير مجلة تربوية وليست مجلة جغرافية (National Geographic على سبيل المثال). أم أنه يحاول - كعادته - مخالفة المألوف في العرف الصحفي وتقديم مادة دخيلة في ظاهرها أنها محاولة إبداعية وهي قد تكون لسد النقص في المادة التربوية التي يمكن نشرها؟

وفي نظرة متعمقة لهذا الموضوع ومراجعة مجموعة من الأعداد التي ضمت ملفات عن دول من العالم تبينت صواب المجلة - ورئيس تحريرها - في تقديم تلك الملفات بل وحاجتنا كتربويين في الوقت الحاضر أكثر من أي وقت مضى إلى مثل هذا المنحى في مجلة تربوية.

إن معرفة العالم من حولنا ومجتمعاته وتناولها من مختلف الجوانب هي وسيلة مهمة للتعرف على الآخر، على تجاربه وعاداته وتقاليده، وطرق حله للمشكلات وتوجهاته المستقبلية. عندما نعرف الآخر نستطيع أن نستفيد مما لديه من تجارب ناجحة وأساليب فاعلة في مختلف جوانب الحياة، وأن نتجنب ما وقع لديه من أخطاء أو انحرافات. ومن التربويين - وأخص المعلم - لأنه هو من يجب أن يكون لديه معرفة واسعة عن مجتمعات العالم ودوله حتى ينقل هذه النظرة الواسعة إلى طلابه داخل الصف، وبالتالي يسهم في تنمية مداركهم وقدراتهم، وخصوصًا القدرة على التفكير وحل المشكلات، وإكسابهم مهارات التعامل الصحيح مع الآخر والحوار واحترام وجهات النظر الأخرى، ومعرفة أن العالم الذي نعيش فيه هو شبكة كبيرة من العلاقات والتفاعلات والتأثيرات المتبادلة، حيث لا يمكننا أن نصبح مؤثرين في العالم ومسهمين في الحضارة العالمية دون أن نعرف العالم من حولنا ونتعامل معه بوعي، وسعة أفق.

ما دعاني إلى هذه الخاطرة - يا زملائي المعرفيين - هو اطلاعي على العدد الأخير رقم (١٠٣) من «المعرفة» والذي احتوى ملفًا ثريًا ومتنوعًا عن باكستان، فيه من التعليم والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتاريخ والجغرافيا والأدب ما يجعلني حريصًا على اقتنائه كمرجع في هذا المجال.

حقًا إن «المعرفة» قد تمردت على صورتها النمطية كمجلة وزارة التربية والتعليم فقط، إلى مجلة الثقافة التربوية... بأبعادها المحلية والعربية والعالمية.

حول كتاب المعرفة «صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم» :

لنبدأ بالحوار مع القائمين على تلك المناهج

محمد بن حمد الدبيان - فرنسا *

اطلعت على كتاب المعرفة الصادر حديثًا بعنوان (صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم) النسخة العربية منه، وسرني أسلوب مجلة المعرفة في عرض بعض قضايا الساعة، خصوصًا ما تهم الإسلام والمسلمين.

احتوى الكتاب على ملخصات لدراسات وأبحاث حول ما ذكر عن الدين الإسلامي وعن المسلمين في مناهج التعليم العام في عدد من أكبر دول العالم، وأهمها تأثيرًا على المستوى الدولي في شتى مجالات الحياة، وما احتوت تلك المناهج من بعض الأفكار الغريبة والمغلوطة لتشويه صورة الإسلام والمسلمين في المجتمعات الغربية وتربية أجيالهم على احتقار المسلمين، خصوصًا العرب منهم، ويلاحظ ذكر الكثير من السلوكيات المشوهة الملفقة ووضع التحاليل والتفاسير لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية حسب الهوى وما يحقق الهدف المنشود من تلك الصور المشينة. إن الدافع الحقيقي أصبح واضحًا تقريبًا، وذلك بغرس المفاهيم المغلوطة والمشوهة في بعض المناهج الدراسية لتغذية الأجيال بصور غير حقيقية، وتولد كراهية وحقد للعرب المسلمين الموجودين في تلك الدول، لمحاربتهم وتشويه الصورة بهذا الأسلوب الجائر، الذي قد يؤثر على الكثير من العرب الموجودين في الدول الغربية، والذين أتوا من أجل أهداف محددة مثل الدراسة أو السعي للمعيشة المناسبة للاستقرار، والحياة بكرامة في بلد ليست بلده وفي مجتمع لا ينتمي له.

لقد حث الدين الإسلامي المسلمين إلى الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وتوضيح صورة الإسلام كدين سماوي يشتمل على العديد من القيم السامية مثل التسامح والمحبة والإخاء وغيرها من الأخلاق السامية والحميدة، كما أن الإسلام منهج حياة للفرد والأسرة وشمولية الدين الإسلامي لجميع القيم الإنسانية والمنهجية السليمة لحياة كريمة وشريفة.

من هذا المنطلق أرى أن ما نشر في مجلة المعرفة جيد لإعلام القارئ المسلم العربي بما ينشر عنه وعن دينه ونشر ما يذكر عن الإسلام في المناهج الدراسية لبعض دول العالم، إلا أنه يدور في الذهن بعض التساؤلات ومن أهمها ما يلي:

* ما أسباب ذكر تلك المغالطات في مناهجهم؟
* ما الدوافع؟
* ماذا قدم التربويون في العالم الإسلامي لتعديل تلك المناهج؟ لذا يجب على المسلمين العمل من أجل تغيير المفاهيم الخاطئة وتصحيح ما يمكن تصحيحه بشتى الوسائل الممكنة القادرة على إعطاء صورة جميلة عن العالم الإسلامي، هذا العمل يتطلب الجهد المتواصل من مسؤولي الثقافة والتربية والتعليم في المملكة خاصة، والدول العربية والإسلامية الأخرى بوساطة الحوار والمناقشة البناءة لإقناع المسؤولين عن التربية والتعليم والثقافة في تلك الدول وغيرها من الدول في العالم التي تبني ثقافة أبنائها على المغالطات للمفاهيم والحقائق والعمل على حذف تلك العبارات السيئة.

من ناحية أخرى، وعند قراءة مقدمة الكتاب كأني ألاحظ تأكيد مفهوم الفكر الانتحاري، وأن هذا الفكر انخرط من المفاهيم والحقائق العلمية والأدبية التي ظهرت في المناهج السعودية، وجعلت منا ومن شبابنا انتحاريين أو إرهابيين، هذا الكلام غير مقبول، كنت أطمح ويطمح غيري من المحبين لرقي المملكة والوصول بها لمستوى راق في العلم والمعرفة والفكر والثقافة، أن يكون التغيير في المناهج السعودية دون دوافع واتهامات تصدر عن أشخاص أو حكومات ليس لهم صلة بالمجتمع السعودي، مع العلم أن تلك الدول تحاول أن تفرض نفسها على المملكة لتغيير القيم والمفاهيم العربية الأصيلة وكذلك التعاليم الإسلامية الراسخة والتي هي منهج الحياة للمجتمع السعودي.

تلك التوجهات التي تشجع على التغيير الجذري، الذي قد يفقدنا هويتنا وعقيدتنا وهذا غالبًا يأتي بالتدرج ولأغراض قد لا نشعر بها اليوم ولا نلمس عواقبها في المستقبل القريب المنظور، بل قد يكون في المستقبل البعيد.

لهذا يفضل البدء بالحوار المتواصل مع أهل الحل والربط القائمين على المناهج الدراسية لتلك الدول، والبحث المثمر لإقناعهم بسلامة الفكر الإسلامي والمنهجية الصحيحة، وذلك بحث المفكرين والتربويين أصحاب المبادرات العالية والفكر المتحضر والأسلوب الراقي. ■

* مساعد المندوب الدائم للمملكة لدى اليونسكو .

حالات شاذة!!

يوسف صالح الهقاص . عنيزة

«تعليمنا هزيل» هذه الجملة هي خلاصة رأي المشاركين في جلسة سمر تقليدية، معظمهم من غير التربويين، وكان حضوري معهم كعدمه، حيث مشاركتي لم تتجاوز ابتسامة مصطنعة، ظاهرها الوقار وباطنها الانهزامية.

ولما انفض المجلس تأملت كلامهم وصمتي، فانتابتني حمى الغيرة التربوية وعاتبت لساني على يبوسته. ولأني لم أكن أرتدي ساعة في معصمي فلقد تمنيت لو أستطيع إعادة عقارب ساعة الحائط إلى الوراء لأوقف كل من تجنى على تعليمنا ـ وهو أجهل من حمار أهله به ـ عند حده.

آه.. لو عاد بي الزمن لما سكتّ عن الاتهامات الباطلة.

ـ أحمد: التعليم كان وليس الآن.

ـ المهندس عبدالرحمن: جاري معلم مدخن، و...(الله يستر علينا وعليه).

ـ أبو علي: ابني كاد يفقد حاسة السمع من جراء صفعة طائشة من معلم الرياضيات.

ـ خبير الحاسب: في بعض الدول تجرى تجارب العلوم بوساطة الحاسب الآلي، ومدرسة أخي مستأجرة ولا مختبر فيها.

ـ تاجر جملة: كبدة الحاشي، والإشراف الفاعل خلال الفسح لا يجتمعان.

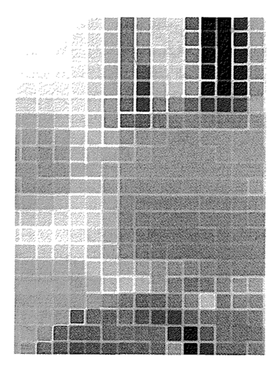
ـ موظف متقاعد: يمكنك الاستمتاع بتحليل المباريات الرياضية داخل غرفة المعلمين بصورة شبه يومية، هكذا يقول ابني المعلم.

آه.. لو عاد الزمن لأثبت للجميع.. أثبت لهم ماذا؟

هل أثبت لهم خطأ قولهم؟

لا أستطيع.

هل أثبت لهم صحة قولهم؟



أيضًا لا أستطيع.

ما العمل؟

وجدتها! سأقول إن جميع ما ذكر هو حالات شاذة، والشاذ لا حكم له.

ولكن هل سيصدقني منهم أحد؟

أستبعد ذلك.

إذًا كيف أثبت لهم خطأ زعمهم؟

واخيبتاه.. إن صدق أبو منصور في ادعائه: التعليم مهنة من لا مهنة له!

أظنه مبالغًا في كلامه، على أنها ستبقى كارثة إن صح ولو بنسبة ١٪.

... ولكن هل من الضرورة أن أثبت لهم؟

لا أعتقد ذلك، حسنًا سأدع الأيام تثبت، أما أنا فمؤمن بأن الصمت أحيانًا من الحكمة، أليس كذلك؟

سيرة صياد

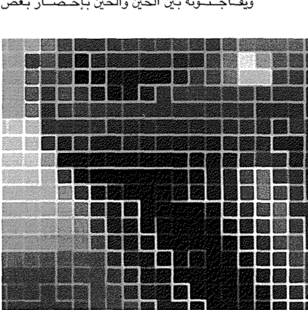
قصة : ابراهيم مضواح الألمعي - رجال ألمع

منذ صغره كان شغوفًا بصيد العصافير، يقضي سحابة يومه يصنع الشراك التي إن هي أفلحت مرة خيبته مرات، كان أبواه يؤنبانه دائمًا على وقته الذي ينفقه في مطاردة العصافير والحمام..

لم تفلح السنوات الأربع التي قضاها في المدينة خلال دراسته الجامعية في تبديد هواية الصيد لديه، بل تطورت مفاهيم الصيد عنده فأخذ يحلق بفكره خلال محاضرات الأدب التي تتحدث عن شعر الطرد، ويعيش خلالها مع الشعراء في مغامرات صيدهم..

شراء بندقية صيد كانت من أوائل أحلامه التي حققها بعد تخرجه في الجامعة، في مدرسته لم يكن مجرد معلم يؤدي درسه وينصرف بل كان يتجاوز ذلك إلى تنمية مواهب طلابه ومشاركتهم اهتماماتهم حتى أحبه الطلاب، فكانوا يصغون باهتمام بالغ إليه وهو يحدثهم عن فنون الصيد، وعن دوره في بقاء الإنسان الأول الذي كان يتغذى على ما يصطاد، كان يحفظ كثيرًا من قصائد الطرد، ويرددها على مسامع طلابه، ويقرأ لهم بصوته العذب قصة الصياد للمنفلوطي..

بمرور الوقت أصبح طلابه يشاركونه هوايته، ويفاجئونه بين الحين والحين بإحضار بعض الأرانب البرية، أو الحبارى، أحضر له أحدهم مرة ثعبانًا، لم يعجبه الثعبان ومع ذلك أثنى على براعة الطالب في اصطياده.



كان بالنسبة لطلابه وزملائه في المدرسة كما بندقيته بالنسبة له، يحبونه كما يحبها، ويحرصون على مشاعره كما يحرص على نظافتها، ولا يخذلهم عندما يلجؤون إليه، كما لم تخذله يومًا وهو يوجهها تجاه إحدى طرائده.. كل ذلك كان كفيلاً بانتزاعه من بين تلاميذه الذين أحبوا فيه شيم الصياد، ليصبح مشرفًا يشيع الحب بين المعلمين كما أشاعه من قبل بين الطلاب..

بينما كانت الشمس تطل باستحياء على رؤوس الأشجار في الوادي الذي يسلكه في طريقه لزيارة مدرسة نائية، كان ينقل نظره في جنبات الوادي وسفح الجبل وهو يتحدث للسائق عن متعة الصيد، وأهمية ارتباط الإنسان بالطبيعة، وعن اللذة التي تتملكه عندما يتحاور مع طريدته بلغة البندقية، وعن مدى القلق الذي ينتابه لحظة تصويب بندقيته إلى مقتلها.. إذا لم تصب الطريدة في مقتل فقد تجرحها ثم لا تمسك بها، ولا تسل عن مرارة تأنيب الضمير الذي ينتابك حينذاك، لذلك فعليك أن تركز على الرأس لأنه مقتل مضمون، ولكي لا تنتشر نكهة البارود في لحم الطريدة فتفسده عليك..

تأثر السائق بحديثه فأخذ يروي بعض تجاربه في الصيد ومغامراته عندما كان شابًا، أما الآن فقد ضعف بصري ولم أعد دقيقًا في التصويب.. قاطعه فجأة بقوله:

- اصمت.. اصمت، وتوقف في مكانك بهدوء.

- ولكننا لم نصل إلى المدرسة بعد!!

- يا أخي: توقف أعلم أننا لم نصل.. توقف السائق دون أن يعرف لماذا..

- ألم تر ذلك السرب من الحبارى؟

- لقد ضعف بصري، ألم أكن أشكو لك ذلك..

استخرج بندقيته من خلف المقعد، بينما ألزمت السائق الدهشة الصمت، حتى استجمع قواه ليقول: ولكن المدرسة لا تزال بعيدة وأخشى أن نتأخر: قال وهو يضع غترته وعقاله عن رأسه..

- لا عليك سنلحق بالمدرسة في مكانها، أين ستذهب المدرسة؟ انتظرني في مكانك دقائق فقط.

زمَّ السائق شفتيه فيما يشبه الموافقة.. أخرج مع بندقية الصيد كيسًا فيه حبال صغيرة، وحزام وثوب رمادي، وبسرعة الصياد المتمرس استبدل بثوبه الأبيض الرمادي، وربط على وسطه الحزام، وقد تدلت منه سكين صغيرة.. انتضى بندقيته، واختفى عن عيني السائق بين الأشجار الكثيفة التي تغطي الوادي وتمتد إلى سفح الجبل..

كان يحدث نفسه: من محاسن زيارة المدارس أنها تتيح لي رؤية مواطن الصيد البكر التي لم أرها من قبل..

التف من خلف سرب الحبارى.. كان إذا تحدث عن صيد الحبارى يقول لمستمعه: مشكلة الحبارى دائمًا أنك لا تستطيع أن تصطاد من مكان واحد أكثر من واحدة، فلك الطلقة الأولى، ولن تجدها بعد ذلك.. نجح في الالتفاف من خلف الحبارى، وأصبحت في مرمى بندقيته التي لم تخذله يومًا، أسف كثيرًا أن يصطاد واحدة فقط بينما تنجو مجموعة كبيرة.. قرر أن يسدد بندقيته باتجاه اثنتين متجاورتين، إنها تجربة مثيرة أن تصيب اثنتين برصاصة واحدة.. التصق بالصخرة التي يرقب الحبارى من خلفها، صوب بندقيته باتجاه رأسي اثنتين متجاورتين، كتم أنفاسه، استجمع سنوات خبرته الطويلة، إنها فرصة واحدة لا ثانية لها.. يالسوء الحظ صوت سيارة يقتحم سكون الوادي، رفع رأسه عن الصخرة قليلاً، السيارة تقترب، صوتها سينفر الحبارى، يا للمصادفة إنه المعلم الذي جئت لزيارته، هذه أولى الملحوظات، لن يصل المدرسة قبل نهاية الحصة الأولى، ليس هذا المهم الآن، سأنتظر حتى يتجاوز، ولكن الحبارى ستطير ولا وقت للمطاردة من جديد، يجب أن أنتظر..

عاد السكون إلى الوادي قرر أن يطلق ثم قال لنفسه: انتظرْ.. أطلقْ.. انتظرْ. أطلقَ رصاصة حملت معها تاريخًا طويلاً من مطاردة الصيد، أطلقها باتجاه رأسيهما.. جاوزتهما واستقرت في رأس السائق!!

مهنتي

شعر: جلوي يحيى الحكمي

يا قــــوم هل بـان النهـــــار كـــمـــــا أرى ... مــتــضـبـبًـا أم قــد عـمـيت فـلا أرى؟
عــشـرون عـــامًـــا والصـيــاح وسـيلتي ... في كـسـب عـيـشي بالرخص المشـتـرى!!
إني قطعت مــــراحـــــلاً ومــــراحــــلاً ... كـالسـيل مـالي الـيـوم عدت القـهـقـرى؟!
كنت المقـــدم في الصــــفـــوف وهـمــتـي ... فــوق النجــوم فكيف صــرت مـؤخـرا؟!
وإذا ارتـقـى من أصـــــدقـــائي واحــــدٌ ... مــــا إن يرى حــــتى يولي مـــدبرا
وأظل أســــــأل هل بوجـــهي آفـــــةٌ ... منهـــا النفـــوس تضـرّ أم مــاذا جـرى؟!
أيـفـــــــــرّ مــنـي يـا لأيـامـي الـتـي ... علمـتــه فـيـهـــا الذي مـــا اسـتـذكـرا
لـكـن يفــــــر وإن لحـــــــقت أقـل له ... زد في فـــــرارك فـــــر مني أكـــثـــرا
أنا لست أحـني هامـــــتي وكـــرامـــتي ... وهي الـتي ارتـفـــــعت وطاولت الذرى
أنا مــــــــهـنتي والله أرقى مـــــهنة ... كــــبــــرت ولا والله لن أتصـــــغـــرا
هل يسـتوي من كـان يقـضي وقـتـه ... في المقــــعــــد الدوار يضطهـد الورى..
هـذا يجــــــامله يميل له الـهـــــوى ... مــــيــــلاً وذاك يرده مـــــتـكـبــــرا
هل يسـتـوي مع من يقـضي عـمـــره ... يرعـى نفـــوس النشء حـــتى تزهرا؟!
تـتـخـرج الأجـيــال إثر كـفـاحــه ... لم يلتـــفت أحــد إليـــه ليــشـكرا

وزارة الأسرة

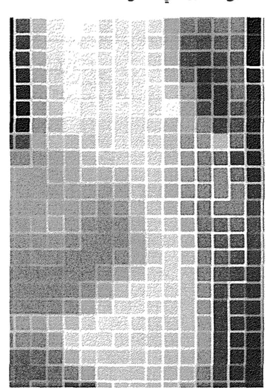
فريدة محمد فارسي - جدة

كثر الحديث مؤخراً عن المرأة السعودية وانبرت الأقلام تكتب عنها.. البعض يطالب بتحررها وانطلاقها ويأسف لما فاتها.. والبعض الآخر يطالب بزيادة القيود عليها حرصاً على مكانتها وكأن المرأة السعودية مخلوق غريب ينفرد عن جميع المخلوقات.

إن المرأة في أي مجتمع من المجتمعات هي عضو في أسرة بل هي أهم عضو فيها لأنها الحضن الدافئ للأبناء والشريك المساند للزوج والرائد الثقافي الذي لا ينضب للأحفاد.

وقد طالبنا منذ سنوات بإنشاء جهة مسؤولة عن الأسرة: وزارة، رئاسة أياً ما كان اسمها أسوة بالدول الأخرى التي سبقتنا في هذا المجال.

من خلال هذه الجهة بإمكاننا دراسة وضع الأسرة حالياً ومعرفة ما تعانيه، وعلى ضوء هذه الدراسة تسن بعض القوانين التي تحفظ جميع فئات المجتمع... بإمكان هذه الجهة أن تفرض خضوع الراغبين في الزواج للفحص الشامل لمعرفة



مدى أهلية كل من الزوجين للزواج صحياً ونفسياً. فالإعاقات الجسدية ازدادت نسبتها موخراً أما الإعاقات النفسية فقد ظهرت في أشكالها المختلفة من انطواء وعنف ومخدرات وإدمان.

هذه الجهة بإمكانها دراسة واقع المدن والمطالبة بما يحفظ حقوق الأطفال من ملاعب في كل حي سكني إلى مدارس كافية وقريبة من الأحياء، إلى منع بعض الإعلانات فقد تعلمت وتوظفت ولكنها لم تحصل على أبسط حقوقها التي كفلها لها الشرع وأوصى بها سيد البشر ﷺ، فقد كانت آخر وصاياه للأمة «استوصوا بالنساء خيراً» وكأنه قد علم ما ينتظر نساء المسلمين بعده من ضنك وسوء تعامل حتى ممن يداومون على العبادة ويتزاحمون على المساجد وذلك لأننا اهتممنا بفقه العبادات وأهملنا فقه المعاملات!!

إن وجود وزارة للأسرة تهتم بأمرها وتفعل دورها وتحمي حقوق أفرادها سيعيد للمجتمع دوره في الحفاظ على القيم ومعاقبة الخارجين عليها.. فقد نشأنا في فترة كان للمجتمع سلطة يخشاها كل من تسول له نفسه العبث بمقدرات الأمة الاجتماعية والاقتصادية ولكن عندما ترك هذا المجتمع بعض الفئات تنجو بأفعالها فقد مصداقيته.

هذه الجهة لا بد أن تساهم فيها المرأة بالتخطيط ووضع الرؤى وتحديد أساليب التنفيذ مما يجعلها داعماً ويجعل الأسرة لبنة قوية في بناء المجتمع القوي المتماسك الذي نطمح جميعاً أن نساهم في بنائه ثم ننعم بسكناه.

المسيئة للقيم ومعاقبة الشركات المعلنة بمنع منتجاتها من دخول الأسواق السعودية.

كما يمكننا إنشاء مراكز لمعالجة المشكلات الأسرية لكي لا تتفاقم وتتحول إلى انفصال يكون ضحيته الأم والأبناء.

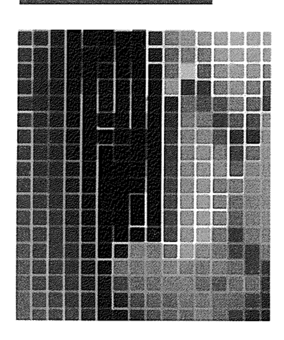
هل شاهد أحدكم ما تقاسيه المرأة في الحقوق المدنية أو في المحاكم الشرعية أو في مكاتب الضمان الاجتماعي أو في الجوازات وغيرها من الأماكن التي لا بد لها من مراجعتها؟ أتمنى أن تقوموا بجولة على هذه الجهات لمعرفة الواقع الذي تعيشه النساء خصوصاً ممن ليس لها قريب يشغل منصباً هاماً أو يملك شركة كبيرة وهم الأكثرية.

كلما أثير موضوع المرأة تسارعت الأقلام مطالبة بحق الفتاة في التعليم والتوظيف وهما في رأيي آخر هموم المرأة

المرآة الحقيقية

قصة : سامية عبدالرحمن . الكويت

منبه وضعه بجانبه صرخ رنينه في أذنيه، وقرأت عيناه رسالة عقاربه إليه إنها السابعة صباحًا، أصوات أبواق السيارات تتدافع كأصوات جبال تهتز اهتزازًا، الشمس ترسل أنوارها الآسرة عبر نوافذ شفافة، أما هو فاستيقظ مذعورًا إذ تراءى له شبح التأخير، فجلس يحدث نفسه بالويل والثبور وعظائم الأمور.. فبدأ صوت ضميره يتسلل إليه هامسًا بتساؤلات تحاصر ذهنه المكدود، أي شيء كان يستحق منك السهر حتى الفجر؟ ألمرض لازمك؟ أم للاعتناء بأطفالك؟ أم لقراءة بعض الأذكار تزيد رصيد حسناتك؟ أم فكرة لدرس اليوم أرقتك؟ فكان رده بصوت يختنق يكاد لا يتجاوز حنجرته المتعبة.. كلا كلا.. بل رفقة وسمر.. عاد صوت الضمير مستنكرًا.. واه عجبًا! الدنيا كلنا منها في رحيل وسهر، والله وحده يعلم أين المآل والمستقر ولا رفيق لك إلا العمل تسأل عنه في وحشة القبر.. ارتدى ثيابه على عجل وفكره مستنفر، ولم يسعفه الوقت للتأمل في مرآة تعكس ملامحه كلما تفحصها بزهو نظر، جسد مثقل.. يجره جرًا.. أسرعت يداه بلا شعور تملأ الحقيبة بدروس لشرحه تنتظر.. وإفطاره تمرتان تسدان لحظات جوع قد تمر لا تسر، أدخل مفتاحه في عنق المقود استيقظ المحرك من نومة لم تطل.. فما هي إلا ثوان مرت حتى تحرك الهيكل الحديدي بسرعة تفوق سرعة الصاروخ.. بدا الذي كان بالأمس يسكنه الحماس، وكأن التعب لوحة تسكن جوارحه، وأخيرًا وصل إلى مقر عمله والعرق يتصبب من وجهه، كان التأخير نصف ساعة كاملة، جرس حصته الأولى قد دق.. أسرع إلى الطابق الثالث.. وبدت نبضات



قلبه المتعبة تتعارك.. دخل فصله المكتظ، أدار عينيه باتجاهات عدة فبدا له طلابه حقولاً خصبة ملئت بالبذر فأخذت لقطرات ماء عذب ترويها تنتظر.. لكنه.. وفجأة.. عصف بصوته كرياح هائجة.. مدوية.. هدوووووء تاااام وإلا! سكن الرعب جوارح غضة وليدة، وتساقطت أحلام صغيرة.. ولف الصمت جدرانًا أربعة.. ما هي إلا ثوان حتى انطلق صوت شجي من أحدهم:

أنت لنا خير مثل فكن لنا ذاك البطل
لا ترتضي النفس الزلل
دنيانا دار للعمل فاغرس بنا خير أمل

سكنت كلمات الطفل الصغير قلب معلمه الكبير، فانهمر منه الدمع الغزير ولهم عما كان منه اعتذر، وتغير وأصبح شعاره لا لسهر يطول دون خير يرتجى، والبكور لعمل يرضي رب غفور، فقلبي وعقلي يرتجيان جنة بها كل الهنا والحبور.

تواقيع

سارة نامي الدوسري - الرياض

الإدارة.. ملامح حب، ونفس لطف، وسلوك أخوة.

- تطلع نحو المستقبل، وتوظيف للماضي وقيادة للحاضر.

- فن حواري يمنح فيه المدير مساحات من الرأي والقبول.. والرجوع أيضًا.

- فن الاستماع والاستشارة دونما غضاضة، أو تلكؤ وتردد.

- ألاّ ترقى على أكتاف الآخرين متخذًا إياهم سلمًا للوصول، فتسرق جهودهم وتتشح إنجازاتهم.

- غياب وحضور.. غياب للذات وحضور للعدل، غياب للحظوظ وحضور للعطاء.

- موهبة اكتشاف الكفاءات، واحتفاء بالموهوبين، ورأفة بالمجتهدين، وتقويم للمعوجين.

- فن تقديم الآخرين. لا فن تقدم الآخرين.

- نخلة.. فيها من النخلة شموخها، وصلابة جذعها، ورحمة ظلالها، وطيب أكلها، ويسر تناولها، وعمق جذورها، وفيها ذلك التكامل الفريد بين العُسبان (الأفراد) والجذع (المدير) والنتاج ثمار طيبة قد حنت عليها العسبان وسما بها ذلك الجذع عن الأذى.

- هي أن تجمع أفرادك على روح الفريق، وأن تصنع من ألوان الطيف المتعددة لونًا واحدًا يسر الناظرين.

مناجاة

شعر: نافع خليل يوسف

إلهي قد دعوتك طول عمري ... فلم يفتر ولم يُقطع ندايا
لقد ناجيتُ في الأسحار ربًا ... هو الرحمن، يعلم مبتغايا
إذا ما الليل أرَّقني بهمٍّ ... قصدت الله أُسمعه دعايا
إلهي إن دعوتك أنت حسبي ... وأنت الرب غفار الخطايا
فمن للعبد إن جزعت نفوس ... ومن للعبد إن صدقت نوايا؟!
إلهي قد غدوت أسير غمٍّ ... فكن عوني على هذي الرزايا
فهبني يا كريم هدى ورشدًا ... وثبت يا قوي غدًا خطايا
إلهي قد دعوتك في انكساري ... وما لي حيلة إلا رجايا
فإن ترحم فقد أدركتُ قصدي ... وإن تغفر فمنك أتى هُدايا
وإلا قد خسرت وخاب سعيي ... وأُبتُ بحسرة جلبت أسايا
فيا رباه لا تجعل حياتي ... شقاء من أمامي أو ورايا
ويا رباه قد أسلمت نفسي ... ويا رحمن لا تشمت عِدايا

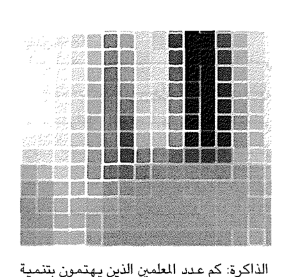
مهارات أهملها المنهج... والمعلمون أيضًا!

ناصر محمد العمري. المخواة

إيمانًا من الوزارة بأهمية المرحلة الأولية للتعليم وبالمهام الشاقة لمعلمي صفوفها، وضرورة تدريبهم وتطوير قدراتهم باستمرار، فقد خصصت شعبة ضمن شعب الإشراف التربوي للصفوف الأولية وأوكلت إليها تنمية وتطوير ومتابعة كل ما يتعلق بهذه المرحلة من «معلمين ووسائل معينة ومناهج وطرق وأساليب التدريس وغيرها». لكننا رغم هذا التطوير، ورغم هذه التحسينات، ورغم ما يبذل من جهود فإننا ما زلنا حتى هذه اللحظة نرى الكثير من معلمي هذه المرحلة يقومون مشكورين بتلقين أبنائنا ما حوته كتبهم الدراسية المقررة، وما أكثرها درسًا درسًا عن ظهر قلب وبجميع الوسائل المتاحة للوصول إلى هذا الهدف، ابتداء من الضرب وانتهاء بما لا نعلمه داخل أروقة الفصول الدراسية. وفي المقابل أهملت وشعب الإشراف للصفوف الأولية جانبًا مهمًا جدًا أكثر أهمية من مفردات المقرر وأكثر أهمية من حفظ نصوص الدرس، لعل أولها وأهمها إلمام المعلم وقدرته على إكساب الطلاب مهارات اجتماعية لا غنى له عنها «فمنها: تكوين الصداقات، ومراعاة مشاعر الغير، والتفاوض، والاستماع لوجهات نظر الآخرين وتقبلها ونقدها» ولا يقل أهمية للطفل عن إتقان مهارة القراءة والكتابة والعمليات الحسابية.

هذه المهارات لا تجد أهمية ولا يلقي لها المعلمون بالًا!! فنرى بأعيننا جيلاً بأكمله لا يراعي حقوق الآخرين، ولا يتورع عن العبث بكل ما حوله - رغم إدخال مادة التربية الوطنية لكن لاجديد - نرى جيلاً يميل إلى العنف، لا يقبل وجهة نظر الآخر. جيلاً يحمل من صفات الجاهلية الأولى بعض مظاهرها.!! للطرقات حق عليهم لكنه مهدر، وللآخرين حق لكن يتجاهله وغيرها كثير. والسبب غياب تأصيل هذه المهارات الاجتماعية في نفوس هؤلاء الناشئة، وعدم اهتمام المعلم بتكوين شخصية الطفل المتكامل التي تصنع منه رجلاً في المستقبل يعرف حقوقه فيحصل عليها، ويعرف واجباته فيؤديها.

إنني أتساءل وأتمنى أن تكون الإجابة غير ما تختزله

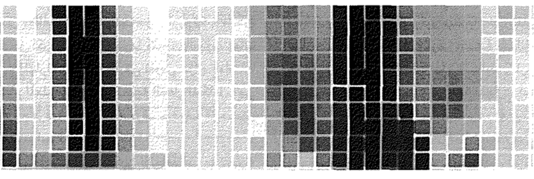


الذاكرة: كم عدد المعلمين الذين يهتمون بتنمية جميع الجوانب الاجتماعية والمهارات المعرفية؟ وكم معلم في مدارسنا لديه سجل خاص يتابع فيه طلاب صفه، وما يظهر عليهم من سلوكيات ومدى التحسن الذي طرأ على شخصياتهم؟ وإن وجد عدد كبير من المعلمين (وهذا ما أتمناه وأشك فيه في الوقت نفسه في وجوده) فما هي الطرق التي يتبعها المعلم لتعزيز تلك المهارات وإيصالها؟ وكيف ينميها؟ وكيف يطفئ السلوكيات التي لا تؤدي إلى إتقان تلك المهارات الاجتماعية؟ أكاد أجزم أنه حتى إن وجد بيننا معلمون يولون مثل هذا الجانب جل اهتمامهم فإنهم قلة. ولكن هل نلقي باللوم على المعلم، أم على المشرف والمدير، أم على الوزارة؟! فالمعلم لم يعد إعدادًا كافيًا لأداء المهمة، وبرامج التدريب المهني على رأس العمل لا تولي مثل هذا الأمر أهمية كبيرة، بل يكون التركيز منصبًا على إتقان المهارات الأساسية المتعارف عليها «قراءة، وكتابة، وحساب» والتركيز على أساليب وطرق تدريسها، والتجارب الجيدة في هذا المجال!! أما الجانب الآخر فلا أدنى اعتبار له رغم أهميته القصوى لتكوين وبناء شخص عامل نافع يعي دوره ويجيد التعامل مع كل ما حوله.

هل تحملني يا سحاب؟!

شعر: عبدالحميد بن سالم الجهني . المدينة المنورة

الروح في قلق الحياة ... غريبة بين الصحابْ
إني تعبت.. وملني ... أمل تداعب به الرّغاب
ويطير بي نشوانَ كالأطيار ... لكن في عذاب
ماذا؟! أتحملني ونمضي ... في الدُّنى قفر وغاب
وتموج بي بين الجبال ... الشم والقمم الصعاب
عصفور أشواق وأحلام ... ممزقة الإهاب
ونسير للواحات نغدق ... حولها النُطف العذاب
ونمر أهل الشاء أصحاب ... البوادي والشعاب
فتفيض أرسالاً ينابيع ... الحياة على الهضاب
تستبشر الأطيار فينا ... والبهائم والذئاب!!
ونرى الصغار على أكفهم الثرى ... العجب العجاب
يلهون في نعماء ساحرة ... كأطياف الشباب
من لي.. أنا في عالم ... أضحى سرابًا في سراب
من لي. أنا المغروس كالأشجار ... في الأرض الخراب
يمتد جذري خنجراً ... يُدمي أخاديد اليباب
ويغور في أعماقها السمراء ... يستجدي التراب
فتزيده الدنيا ثباتًا ... كلما اشتد المصاب
أنا يا سحاب رهينة ... في الأرض كيف ليَ الذهاب؟!
جفَّت رؤاي وصوَّحت ... كفاي وانقشع الضباب
وبقيت أنظر للسماء ... فهل تردين الجواب



طفل السنة الثالثة يرفع وينصب ويجر!

عمر حاج عثمان . الرياض

إن الواقع الذي عليه اللغة العربية اليوم من انحسار عن حياة المجتمع في تحادثهم وتخاطبهم وحلول العامية وانتشارها على نطاق واسع أمر لا يخفى على العلماء والمفكرين والأدباء والتربويين والمربين الغيورين على اللغة العربية الفصحى، فقد ألفت الكتب الخاصة بتعليم اللغة العربية، كما اتبعت طرائق تدريس اللغات في الدول المتقدمة، وأقيمت الندوات والمؤتمرات لبحث المشكلة وإيجاد حل لها، فآراء تتهم الكتب، وأخرى تتهم طرائق التدريس، وثالثة تنادي بزيادة عدد حصص اللغة العربية. ونادت وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي بالالتزام باللغة العربية الفصحى، ولكن أحدًا لم يلتزم، وبدا أن هذه النداءات جميعها لم تأت بنتيجة، ولم يتغير شيء من هذا الواقع.

إن الحل يكمن في معالجة المشكلة من جذورها في مرحلة الطفولة المبكرة، المرحلة التي يبدأ فيها الطفل بتعلم لغة الحديث من والديه وأسرته ثم من مجتمعه، فإذا قمنا بتعليم الطفل وتلقينه المحادثة باللغة العربية الفصحى وواصلنا معه الحديث إلى أن يحين وقت دخوله المدرسة نكون بذلك قد علمناه لغة الكتاب الذي سوف يقرؤه ويتعلم من خلاله في مراحل دراسته كلها سواء كان في مرحلة الحضانة أو رياض الأطفال أو في المرحلة الابتدائية.

لقد اكتشف العلماء منذ أكثر من خمسين عامًا أن لدى الطفل من حين ولادته إلى سن السادسة قدرة دماغية كبيرة على تعلم اللغة بل وأكثر من لغة، وبعد سن السادسة من العمر تبدأ القدرة اللغوية بالضمور، وتبدأ المنطقة المعرفية في الدماغ بالعمل، هذا هو حال تلميذنا العربي اليوم في مجتمعاتنا العربية جميعها، يتعلم العامية في الفترة الفطرية الذهبية للدماغ في تعلم اللغات، وعند بدء ضمور هذه المرحلة وبداية مرحلة تعلم المعارف يبدأ في تعلم اللغة الفصيحة لغة الكتاب. على ضوء هذا الواقع الصعب يتضح أن أمامنا مشكلة لابد من حلها جذريًا وعمليًا، والحل ميسور وبسيط، أن نستغل السن الفطرية السليقية لدى الطفل في تعلم اللغات، ونعلمه المحادثة باللغة العربية الفصحى إلى أن يدخل المدرسة فلا يجد فرقًا بين اللغة التي تعلمها ولغة الكتاب، فيقبل على القراءة برغبة، ويقرأ بسهولة ويسر، ويفهم ما يقرأ ويألف الكتاب ويحبه، وتتكون لديه رغبة في القراءة الحرة والمطالعة، ويكون لديه متسع من الوقت كان يُصرف في تعلم اللغة وفهمها يمكنه الآن أن يستفيد منه في تعلم العلوم والمعارف والمجردات.

لقد جاء التطبيق العملي لهذه الطريقة على يد الدكتور عبدالله الدنان حيث طبق الطريقة عمليًا على أحد أفراد أسرته فبدأ في تعليم ابنه باسل المحادثة باللغة العربية الفصحى منذ السنة الأولى من عمره، فلما بلغ الثالثة من العمر أتقن باسل المحادثة بالعربية المعربة يرفع وينصب ويجر دون خطأ، إلى جانب العامية التي يتحدثها مع بقية أفراد الأسرة وكل ذلك مسجل على شريط فيديو. وعندما أصبح باسل في الصف الثاني الابتدائي كان قد قرأ أكثر من ٣٥٠ كتابًا من كتب الأطفال، ثم تابع الدكتور الدنان التطبيق العملي في عدد من دور الحضانة والروضات فأنشأ دار الحضانة العربية بالكويت وروضة الأزهار العربية في سوريا، ونجحت الفكرة نجاحًا كبيرًا، إذ بدأ الأطفال يتحدثون بالفصحى بعد أشهر من بدء التجربة، وكتب عن ذلك العديد من الاستطلاعات والأخبار الصحفية، كلها تؤيد الفكرة وتؤكد نجاحها.

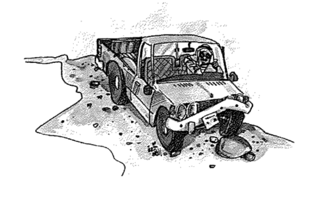
سورية



نيلسون مانديلا
سجنوه ٢٧ عامًا ثم ..
عفا عنهم!



سعيد السريحي :
ستنتهي الحداثة
بعد كل النهايات



فوق ظهر (جيب)
زيارة إشرافية

يقال أن الإنسان يمر في حياته أيضًا بالفصول الأربعة، تلك التي تغشى الكرة الأرضية كل عام «ربيع - صيف - خريف - شتاء».
وكما أن هذه الفصول غير منتظمة في إطلالتها على أرجاء الأرض، فهنا يطول الصيف على حساب الشتاء، وهناك العكس. بل إن بعض مواقع الأرض لا تتجلى فيها كل الفصول الأربعة بشكل واضح مميز.
فكذلك الإنسان الذي قد يطول في حياته الخريف على حساب الربيع أو العكس، بل قد لا تتجلى كل الفصول في حياته كاملة واضحة!
لكن تبقى الفرصة الأساسية في أن حياة كل منا هي فصول أربعة.. فلنحاول أن نتلمس أين يكمن صيف حياة ضيفنا.. وخريفها.. وشتاؤها.. وربيعها!
ضيفنا لهذا العدد هو: نيلسون مانديلا.



نيلسون مانديلا

سجنوه ٢٧ عامًا ثم.. عفا عنهم!

أسامة أمين - المانيا

نيلسون مانديلا، إفريقي، من قاع القارة الإفريقية، والده لا يعتنق دينًا سماويًا، بل يدين بالوثنية، محب لشرب الخمر، وكان أميًا، تزوج الكثيرات، وأعطى لكل منهن كوخًا متواضعًا للغاية. وكان زعيمًا محليًا لعدد متواضع من سكان إحدى قرى إقليم ترانسكي، على بعد ٦٠٠ ميل جنوب مدينة جوهانسبورج.

كما أن نيسلون مانديلا، لم يكن ذاك الشخص الذي يعيش في ثراء، يساعد به المحتاجين، بل كان هو نفسه مسكينًا، يعمل في المناجم، ولا يجد من ينفق عليه، ويضطر إلى العمل في أي وظيفة، حتى يستطيع أن يواصل تعليمه، بل إنه اعتاد طوال حياته أن يعيش ضيفًا دائمًا في بيوت الآخرين، ولا يتحرج من عدم قدرته على الإنفاق على نفسه وأسرته.

وهو أيضًا لم يكن ذاك المحارب الشجاع، الشاهر سلاحه في وجه عدوه، بل تحمل سنة وراء سنة، حتى بلغت سنوات سجنه ٢٧ عامًا. ولم يفكر بعد خروجه من السجن أن ينتقم من السيد الأبيض الذي حرمه أفضل سنوات عمره، والذي منعه أن يكون جوار ابنه حين مات، كما حرمه المشاركة في جنازة أمه. بل كان جل



وصل إلى لندن عام ١٩٦٢م ، متكبدًا صعابًا لا حصر لها ، ولم يأبه لقدومه أحد ، وهو نفس الشخص الذي جاء في يوليو ١٩٩٦م ، واستقبلته الملكة إليزابيث الثانية بنفسها ، وفتح له البرلمان قاعة التشريفات ، التي كان آخر من فتحت له هو الجنرال الفرنسي شارل ديجول

همه هو كيفية التوفيق بين فئات شعبه، لتعيش جنبًا إلى جنب في سلم ووئام.

من فرط وداعته، اعتبره بعض الناس قديسًا، ولكنه ينفي عن نفسه القداسة، ويؤكد وجود نقائص كثيرة في شخصه، وأنه عنيد، مكابر، مندفع..

وإذا كان نيلسون مانديلا، هو الشخص الذي وصل إلى لندن عام ١٩٦٢م، متكبدًا صعابًا لا حصر لها، ولم يأبه لقدومه أحد، فهو نفس الشخص الذي جاء في يوليو ١٩٩٦م، واستقبلته الملكة إليزابيث الثانية بنفسها، وفتح له البرلمان قاعة التشريفات، التي كان آخر من فتحت له هو الجنرال الفرنسي جارل ديجول، وأقام له ولي العهد الأمير تشارلز احتفالاً مع بقية أفراد الأسرة المالكة، فرقص وأرقصهم معه، ولما أطل من شرفة (الطرف الأغر) في لندن، ليرد تحية الجماهير، وجد جموعًا غفيرة، وكأن البابا يوحنا الثاني، قد جاء يوزع البركات على الجموع، وعندما زار حي بريكستون في لندن قامت مظاهرة ود وحب واحترام شملت البيض والسود، الذين اجتمعوا على تقدير الإنسان، دون نظر للون بشرته.

الفصول الأربعة في حياة مانديلا:

حينما تتعرف على شخصية ما تتخيل في البداية أنك تستطيع تقسيم حياته إلى ربيع وصيف وخريف وشتاء، فالسجن في حياة مانديلا طبعًا خريف أو شتاء، ثم تكتشف بعد تدقيق النظر، والتعرف على التفاصيل، أن ذلك غير صحيح، فقد حقق في هذه الفترة الكثير جدًا من الإنجازات، على الصعيد الشخصي، وعلى المستوى السياسي للدولة بأسرها. وكذلك هل تعتبر تجربة زواجه الأولى أو الثانية صيفًا حاميًا، أم بردًا قارسًا، أم ربيعًا مزهرًا، أم خريفًا قاحلاً؟ لا أحد يعرف. لذلك تعالوا نستعرض حياته كما هي، ففي كل يوم كانت فصول العام تمر عليه، الواحد تلو الآخر.

زمن بعيد وأرض أبعد

مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وبين مجموعة أكواخ في أمتاتا في إقليم ترانسكي على بعد ٦٠٠ ميل من جوهانسبورج، في جنوب شرق دولة جنوب إفريقيا، ولد روليهلاهلو مانديلا، الذي أطلق عليه معلمه وهو في السابعة من عمره، اسم نيلسون ليصبح نيلسون مانديلا.

من يقرأ في تاريخ مانديلا يعرف أن جده كان ملكًا إقليميًا، توفي عام ١٨٨٢م، لكن ملوك إفريقيا آنذاك لا يربطهم شيء بالصورة التي يعرفها القارئ عن الملوك، ولا تزيد قصورهم عن المساكن الشعبية في مدننا العربية. ولكن ما يربطهم بالملوك هو المكانة التي كانوا يحظون بها بين قومهم، والحنكة التي كانت تصدر في أقوالهم وأفعالهم. ورغم أن نيسلون كان يرتبط بهذا الجد الملك بعلاقة بعيدة، غير مباشرة، فإنه كان يشعر دومًا بأنه سليل المجد، ولابد أن يتبوأ المكانة التي يستحقها.

وزاد في شعور نيسلون بأنه متميز على أقرانه، أن والده أيضًا كان زعيمًا لسكان القرية التي كانوا يعيشون فيها، وكان طويل القامة، مهاب الجانب، لا يشعر بالنقص أمام البيض، ورغم علاقته الوطيدة برجال دين مسيحيين، فإنه آثر أن يبقى وثنيًا معتزًا بتقاليد قبيلته.

وكان لوالده أربع زوجات، تسكن كل منهن في كوخ مستقل، ولكن العلاقة بينهن كانت مليئة بالود والتفاهم، حتى إن مانديلا لم يكن يسمي أيًا منهن (زوجة أب)، بل كان يسميهن دومًا (أمهاتي)، وكان أكثر وقته عند إحدى زوجات أبيه. وكانت أمه قد اعتنقت المسيحية، وقررت تعميد ابنها في الكنيسة، وإلحاقه بالمدرسة التبشيرية، فكان نيلسون مانديلا أول من دخل المدرسة بين إخوته.

ولكن مصير الأسرة يتغير حين اشتكى أحد أفراد القبيلة والد نيلسون أمام القاضي الأبيض، ورفض أبوه المثول لاستدعاء القاضي، فقرر القاضي طرده من منصب زعيم القبيلة. فقرر الأب الخروج من هذه القرية، وفقد الكثير من ماشيته، وتراجعت الحالة المادية للأسرة، بعد انتقالهم إلى قرية (كونو) المجاورة.

ولكن التماسك بين أفراد الأسرة، وتعاونها في وقت الشدة قبل الرخاء، والتفاهم المطلق بين الزوجات، والشعور بالتبعية للقائد، الذي يدير دفة الأمور، كل هذه الانطباعات والتجارب تركت أثرها في مانديلا، وصبغت شخصيته بطابع الإفريقي المحب إفريقيته، فلم يكن مثل

وتعلم مانديلا الكثير عن الثقافة البريطانية، وأحب اللغة الإنجليزية، ولكنه احتفظ بلكنته القروية، رافضًا أن يصبح البريطاني الأسود

عنترة بن شداد يكره سواد بشرته، ولا يجاهد من أجل الوصول إلى طبقة البيض، بل كان سعيدًا بأنه أحد هؤلاء الأناس الطيبين المحبين لخير بعضهم بعضًا. وقد ارتبط حبه لأهله بحبه للمكان الذي نشأ فيه، ولذلك كان يؤكد دومًا ضرورة أن يموت الإنسان في المكان الذي ولد فيه. ما جعله يفتش بعد خروجه من السجن عن بيته الأول، ويعيد بناءه، ليقضي فيه فيما بعد فترة تقاعده.

وحتى بعد إقصاء والده عن زعامة قريته ظل أبوه يحتفظ بمكانته بين أحفاد ملك شعب التمبو، وكان الجميع يستأنس برأيه الراجح، وكان والده هو الذي رشح أحد أقاربه ليكون وصيًا على عرش شعب التمبو، حتى يشتد عود الملك الجديد، الذي كان ما زال صغير السن.

ولم ينس له هذا الوصي فضله عليه، ولم يتردد لحظة، عندما أوصاه والد مانديلا، وهو على فراش الموت في عام ١٩٢٧م، أن يربي ابنه في قصره. وعقب موت الوالد بمرض رئوي انتقل نيسلون مع وصي العرش، إلى بيت كبير يموج بالرفاهية - النسبية طبعًا - ، وبحياة جديدة عليه. وبعد أن كان يسكن مع جيش من الإخوة والأمهات، أصبحت له غرفة يقتسمها مع ابن الوصي على العرش، والذي كان بمنزلة ابن عمه. وأصبح يحتل في هذه الأسرة مكان الابن، ولم يكن الوصي يفرق بينه وبين ابنه الأصلي.

دروس من بيت الزعامة

ومن خلال وجود مانديلا في هذا البيت، أتيحت له فرصة نادرة لمشاهدة جلسات زعماء القبائل، وهم يأتون من جميع الأنحاء لطلب المشورة من الوصي، وكانت النقاشات بينهم تدار بحنكة واقتدار، جعلته يؤمن منذ ذلك الحين بأن: «إحدى علامات الزعيم، أن تتوفر لديه المقدرة على الإبقاء على وحدة جميع قطاعات الشعب، حول القضايا الأساسية». كما تعلم أن «القائد يجب أن يكون كالراعي، إذا شردت دابة أو اثنتان، يذهب ويعيدهما إلى القطيع»، وأن «الإنسان إنسان بفضل الناس جميعًا»، وأنه «لا يمكن للفرد أن يفعل شيئًا دون دعم الآخرين»، وأن «أفضل السبل لتشجيع الناس، هو التركيز على ما فيهم من خير».

وقد تحدث عام ١٩٦٢م عن الخبرات التي اكتسبها في صغره، فقال: «كان المجلس القبلي ديموقراطيًا، لدرجة أن جميع أعضاء القبيلة، كان بإمكانهم المشاركة في نقاشاته، وكان عبارة عن هيئة ذات نفوذ ووزن كبيرين، ولم يكن ممكنًا اتخاذ أي خطوة مهمة في القبيلة، دون الرجوع إليه».

ولقد أثارت هذه الميول الديموقراطية لدى القبائل الإفريقية دهشة المستعمرين الإنجليز، حتى إن المبشر ويليام هولدن كتب في عام ١٨٦٦م عن هذه القبائل، «إنهم لا يقلون عن أي محام بريطاني في مناقشة المسائل التي تتعلق بعاداتهم وقوانينهم».

وعلى رغم ما كان يبديه مانديلا من التمسك بمفهوم (أبونتو) الإفريقي، والذي يعني «اللطف والتعاطف وكرم الضيافة والانفتاح

على الآخرين، والحساسية ومساعدة الآخرين، والإحساس بأنك مرتبط بهم برباط الحياة»، فإنه كان يحتاج إلى الانفراد بنفسه من آن لآخر، وكان يبرع في الرياضات الفردية مثل الملاكمة، وسباق المسافات الطويلة، وكان يعشق ركوب الخيل، والرقص على الأنغام القبلية.

وإضافة إلي المرارة التي خلفتها واقعة فصل أبيه من زعامة القبيلة، على يد القاضي الأبيض، فقد شاهد مانديلا كيف يستولي البيض على أراضي السود، وكيف تعرض زعماء القبائل الإفريقية للذل والمهانة، على يد هؤلاء المستعمرين البيض، وكيف يسعون إلى إضعافهم عن طريق نشر العادات السيئة مثل شرب الخمر.

ولكن السود يتحملون أيضًا جزءًا من مسؤولية ضعفهم، لأن عرافة واحدة قالت لهم إن موعد البعث قد حان، وعليهم الاستعداد لذلك، فقتلوا ماشيتهم، ودمروا بيوتهم، وخربوا مزارعهم. وهو الجرم الذي تسبب في القضاء على نصف عدد سكان الإقليم، والرجوع بمن بقي إلى مراحل من التخلف، تجاوزتها البشرية.

مانديلا مستشار الملك

فكر الوصي على العرش في كيفية رد جميل والده له، فقرر أن يعد نيلسون مانديلا ليكون مستشارا للملك المستقبل في شعب التمبو، وأرسله في عام ١٩٣٤م إلى الجامعة التبشيرية المسيحية، فذهب مرتديًا أحسن ثيابه، وتوقع أن يقف الناس إكبارًا له وهو سليل الملوك، وربيب الوصي على العرش، ولكنه فوجئ في هذه الجامعة، بأنه مثار سخرية الطالبات، اللاتي وجدن في ملابسه الرثة ما لا يليق بالمكان، ولاحظ الطلاب جميعًا من مشيته، أنه لم يرتد حذاء من قبل.

وفي الجامعة صافحته أول يد بيضاء في حياته، وهي يد مدير الجامعة، الأب سيسيل هاريس، والذي كان قاسيًا كقائد عسكري، ولكن دون طيش أو استبداد، بل إنه وفر لمانديلا عملاً إضافيًا في حديقة بيته، وكان هو وزوجته يحسنان معاملته.

يتعلم نيلسون مانديلا الكثير هناك، ولكن رغم الدراسة المسيحية التبشيرية التي توفرها الجامعة، فإنها لم تترك أثرًا كبيرًا فيه، وظل مانديلا كما هو شابًا مشاكسًا، فيبدأ دراسته بالاحتجاج على الطعام المقدم لهم هناك، ويصبح معروفًا بين جميع الطلاب بهذه الروح المتحفزة، الساخطة على الإدارة.

وتعلم مانديلا الكثير عن الثقافة البريطانية، وأحب اللغة الإنجليزية، ولكنه احتفظ بلكنته القروية، رافضًا أن يصبح البريطاني الأسود، وظل محتفظًا بتراثه الإفريقي، وكم كان اعتزازه عندما جاء أحد كبار الشعراء الأفارقة، مرتديًا الزي التقليدي المصنوع من جلود الحيوانات، حاملاً معه رمحين، ليلقي قصائده.

وكانت هذه الجامعة مختلطة للبيض والسود، ولكن أساتذة الكلية البيض كانوا لا يتناولون الطعام مع زملائهم السود، بل إن أحد الأساتذة البيض اضطر إلى تقديم استقالته بعد ورود شكاوى منه، لأن له أصدقاء من بين السود، وكان الحديث بين الجنسين خارج قاعة الدرس أمرًا محظورًا يعاقب مرتكبه.

لم يكن مانديلا حتى ذلك الحين ينشغل بالأمر السياسي، ولكن كان هناك أمران يتنازعان داخله، وهما الشعور بفضل المستعمر في توفير المدارس، وبالتالي الانتقال بسكان جنوب إفريقيا من الجهل إلى العلم، وبين كراهية ممارسات الاستعمار، وقمع السكان، خصوصًا عندما صدرت قوانين هرتسوج، في عام ١٩٣٧ والتي قضت ببطلان سندات ملكية الأراضي للسود. وهذان المتناقضان هما اللذان يمكن الشعور بهما في قصيدة له كتبها في أثناء دراسته الجامعية، بعنوان (أمير بريطانيا).

ولكن شعوره بالامتنان لهذا الاستعمار هو الذي دفعه إلى دعم موقف بريطانيا في الحرب العالمية الثانية، ضد ألمانيا، بعد حضور رئيس الوزراء البريطاني آنذاك، جان سموتز، للحديث إلى مواطني جنوب إفريقيا، وكان كثير الإعجاب بخطب ونستون تشرشل.

كما أن مانديلا لم يكن ينتمي إلى النخبة المثقفة، التي كانت تتميز بالتمسك بالقيم المسيحية القوية، والانضباط الذاتي الصارم، رغم ارتباطه الوثيق ببعض أفرادها. ولكنه تأثر مثلهم بما كان أساتذة الكلية يكررونه على مسامع طلابهم، من أنهم سيصبحون

يومًا قادة لبلادهم، وعليهم أن يستعدوا لهذه اللحظة بأسرع وقت ممكن. خصوصًا أن مانديلا كان معتزًا دومًا بأصله الملكي، وكان يتوقع من الآخرين معاملته على هذا الأساس.

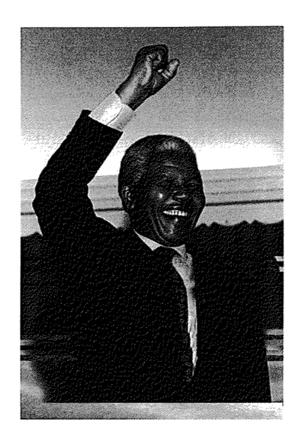
في بعض الأحيان كان مانديلا يحصر آماله في أن يصبح مترجمًا في البلاط الملكي، حيث درس الترجمة في كلية فورت هير، بالإضافة إلى الحقوق والإدارة المحلية، والسياسة واللغة الإنجليزية. لكن هذه الحياة الجامعية انتهت بصورة غريبة، حيث إنه - كما سبقت الإشارة كان ثوريًا، ليس من الناحية السياسية آنذاك، بل لأن الطعام في الكلية لم يكن جيدًا، ولكن هذه الثورة بلغت أوجها حين أصابته الصدمة عندما شاهد طلاب جامعة رودس المخصصة للبيض فقط، وهم يتناولون طعامًا أفضل بكثير من طعام السود.

وكانت الغالبية العظمى من الطلاب قد قررت الامتناع عن التصويت في انتخابات اتحاد الطلاب، احتجاجًا على الأوضاع في الكلية، إلا أن مجموعة ضئيلة شاركت في هذه الانتخابات، وكان مانديلا أحد الفائزين فيها، ولكنه قرر الامتناع عن تولي عضوية الاتحاد، فأنذرته إدارة الجامعة، ولما رفض الانصياع، قررت فصله من الكلية. وبذلك كرر مانديلا ما كان أبوه قد فعله من قبل، وتحمل في سبيل عدم رضوخه ثمنًا باهظًا.

عاد مانديلا إلى قريته، خالي الوفاض، فعرض عليه الوصي على العرش أن يزوجه ابنته، وأن يأخذ مكانة كبيرة في قصر الحكم. لم يفكر مانديلا طويلاً، واختار فقدان المكانة التي كانت مرتقبة، في سبيل عدم الزواج من هذه الفتاة البدينة، التي لم يكن قلبه يخفق لها، بل ولا يشعر بأي ميل إليها. وبذلك أصبح بلا دراسة ولا مكانة ولا مال.

الانتقال إلى المدينة

كان مانديلا في الثانية والعشرين من عمره، حين وصل للمرة الأولى في حياته إلى مدينة جوهانسبورج، في عام ١٩٤١، وكانت الظروف مواتية للبقاء في هذه المدينة الكبيرة، لأن الاستعدادات للحرب العالمية الثانية، التي شاركت فيها جنوب إفريقيا إلى جانب بريطانيا تسببت في غياب الكثير من البيض الذين التحقوا بالقوات المسلحة. كما انتعش الاقتصاد في هذه الفترة، ورفعت الحكومة العنصرية بعض القيود المفروضة على



انتقال السود إلى المدن الكبرى، وارتفعت نسبتهم هناك بنسبة ٥٠٪.

واضطرت الحكومة إلى الاستعانة بالسود في غير الأعمال القتالية، وجندت ١٢٠ ألف إفريقي أسود كسائقين وخدم وحراس، ولكنها لم تسمح لهم بحمل السلاح، بل زودت الحراس بالرماح بدلاً من البنادق. وتصور هؤلاء الأفارقة السود أنهم يحاربون جنبًا إلى جنب مع البيض ضد النازية والعنصرية. وقد أسهم في هذا الوهم تخلي الحكومة العنصرية عن الصرامة في تطبيق سياستها التقليدية بالتمييز العنصري.

أتاحت كل هذه الظروف أن يلتحق مانديلا بالعمل فورًا في أحد المناجم، وكان راضيًا عن وظيفته الجديدة، كحارس ليلي، ولما قام العمال بإضرابات احتجاجًا على انخفاض الأجور رفض أن يشارك فيها.

ثم انتقل في عام ١٩٤٢ إلى العمل لدى سمسار أراضي أسود، هو وولتر سيسولو، الذي أثر كثيرًا في قناعاته السياسية، وكان سيسولو ابنا غير شرعي لقاض أبيض، تركه وأمه دون رعاية أو دعم، فكان متحاملاً على

البيض جميعًا، ولم يصفح عن أبيه أبدًا.

وتوطدت العلاقة بينهما، وانتقل مانديلا للسكن في بيت سيسولو، وقرر استئناف الدراسة من جديد، فالتحق بكلية الحقوق في جامعة ويتوترزراند، وتعرف للمرة الأولى على المؤتمر الوطني الإفريقي - **ANC** الذي ستمر الأيام ويصبح رئيسًا له فيما بعد ـ . ومن خلال الاحتكاك بالطلاب بدأ ينهل من التعددية الفكرية لجميع الشرائح.

ووجد مانديلا في سيسولو المعلم الذي يملك عقلاً تحليليًا، لكنه لا يمثل منافسًا له، بل يمكن أن يقال عنه إنه صانع ملك ولكنه ليس بملك. كان مثل المدرب، لا الملاكم. كما شاهد عنده ابنة عم، تعمل ممرضة اسمها إيفيلين، أعجب بها وتزوجها في عام ١٩٤٤، وانتقل معها إلى بيت اختها، ليقيما عندها.

ثم جمعته الأقدار مع محام يهودي اسمه لازار سايدلسكي يؤمن بمعاملة أفضل للسود، كتب عنه مانديلا، إنه: «أول رجل أبيض عاملني معاملة البشر، وهو الذي دربني كي أحترم بلدي»، وأقرضه خمسين جنيهًا، وأعطاه بزة قديمة ارتداها مانديلا خمس سنوات، ونصحة سايدلسكي بالبعد عن السياسة.

وبعد عدة سنوات تحسنت الأحوال المالية لمانديلا، واشترى سيارة، في حين ساءت أحوال المحامي اليهودي، ورآه مانديلا يقف على محطة الباص، فأوصله مانديلا للمنزل وسدد له خمسين جنيهًا. ثم عمل بعد ذلك عند محام يهودي آخر هو ابن عم سايدلسكي، اسمه نيت برجمان: وهناك قال أحد السود لبرجمان، «كيف لغريب عن الديار مثلك، يأتي إلى هنا ليأخذ الأرض، ويستعبد أصحابها، ويجعل مانديلا في خدمته، رغم أنه سيصبح زعيم قومه».

القبيلة أم الوطن

كانت هذه الفترة في حياته، مزيجًا من التعرف على آمال السود الفقراء ـ الذين يعيش معهم في مدينة ألكسندرا، المعروفة باسم (المدينة المظلمة)، لعدم توفر التيار الكهربي فيها، وحين كان يمشي على رجليه ٢٢ ميلاً، كل يوم حتى يوفر أجرة الانتقال بالمواصلات ـ والحنين إلى القبيلة والقرية الذي ينازعه من آن لآخَر، وهو الأمر الذي يظهر جليًا في لقائه الأخير بالوصي على العرش قبل وفاته، والذي تربى عنده، وشعر مانديلا بأنه كان جاحدًا للجميل الذي أسداه إليه، مع أن الوصي عفا عنه قبل موته، لتركه القبيلة، وعدم زواجه من ابنته. ولكنه على الجانب الآخر كان بعقله قد بدأ في إدراك أن هناك قضية كبرى، قضية شعبه الذي لا يشعر بكرامته الإنسانية فوق أرضه.

وفي أثناء دراسته الحقوق إلى جانب عمله في مكتب المحاماة، كثيرًا ما شعر بالمهانة، فقد كان السود محرومين من استخدام العديد من القاعات في الجامعة، فقاعة الرياضة وحوض السباحة وغيرها غير مسموح استخدامها لغير البيض، وكان بعض الأساتذة ومنهم البروفيسور اليهودي الأمريكي هاهلو يستهجن وجود السود في الكلية، ويعتبر أن تخصص الحقوق من العلوم الاجتماعية، التي لا يملك السود ولا النساء الإمكانات الذهنية لدراستها. وكان هذا هو البروفيسور نفسه الذي رفض منح مانديلا فرصة لإعادة الاختبار النهائي، بعد رسوبه بسبب جمعه بين العمل في مكتب المحاماة، وبين التزاماته الحزبية،



ومسؤوليته تجاه الأسرة، وانتهت فترة الدراسة التي استمرت من عام ١٩٤٣ إلى ١٩٤٩، دون حصوله على شهادة في الحقوق.

ورغم كل هذه المرارة التي أصابته، من معاملة الأساتذة والزملاء البيض له، فإنه وجه الدعوة بعد ٥٠ عامًا من هذا التاريخ، لهم جميعًا، وبعد أن أصبح رئيسا للجمهورية، وقال في كلمته لهم، دون أي ضغينة: «إنما قد بلغت ما أنا عليه اليوم بفضل الأشخاص الذين احترموني وساعدوني، وكذلك بفضل أولئك الذين لم يحترموني وأساؤوا معاملتي».

ويتذكر مانديلا أن زوجته الأولى إيفيلين ميز، كانت تكره السياسة، ولكنها كانت مؤمنة بزوجها، وتحملت في سبيل ذلك كل شيء، وأنجبت له ابنهما، ثم انتقلا من بيت أختها إلى بيت مستقل، لكنه كان مثل علبة الكبريت، دون مرحاض داخل المنزل، ودون كهرباء، وتقبلت زوجته نزوح أمه وأخته إليهم.

وكان نظام حياة مانديلا صارمًا، يقوم مع الفجر، ليمارس رياضة الجري، ثم يتناول فطورًا خفيفًا، ثم يعمل ويدرس طوال اليوم، ولا يعود إلا في وقت متأخر.

ومنذ انضمام مانديلا إلى المؤتمر الوطني الإفريقي **ANC**، ومشاركته في مقاطعة المركبات العامة، احتجاجًا على رفع أجرتها، في أغسطس ١٩٤٣، ونجاح الإضراب وتراجع الحكومة عن زيادة هذه الأجرة، ما كاد عام واحد يمر على انضمامه إلا وكوّن مع بعض رفاقه، لجنة للشباب في المؤتمر الإفريقي، والتي كانت أشد حماسًا، وورد في بيانها التأسيسي:

«الرجل الأبيض يعد الكون آلة عملاقة تنطلق بقوة عبر الزمان والمكان، نحو دمارها النهائي، والأفراد ضمنها ليسوا سوى كائنات حية لها حياتها الخاصة، التي تؤدي إلى موت خاص.. أما الإفريقي فهو يعد العالم وحدة واحدة، كيانًا عضويًا، يتوجه باطراد نحو مزيد من الانسجام والوحدة ، والأفراد فيه يشكلون أوجهًا مستقلة لكل واحد».

واختتموا بيانهم باقتباس من مسرحية يوليوس قيصر، تقول: «ليس الخطأ في طالعنا، وإنما في أنفسنا، إننا تابعون».

انتصار الجيوش وهزيمة الجنود السود

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وانتصار قوات الحلفاء، وبينها بريطانيا، ومعها جنوب إفريقيا، حدثت انتكاسة لحقوق السود من جديد، بعد أن فقدوا أهميتهم، بعودة البيض وعدم الحاجة إلى رضا السود، وتولى رئاسة الحكومة جان سموتز، وكان حليفًا لونستون تشرشل، وبالتالي لم يكن يخشى أي ضغط عليه من الخارج، فقمع إضراب عمال المناجم في عام ١٩٤٦ بعنف غير مسبوق، وقتل وجرح المئات منهم، وأصدر قوانين تحظر بيع المزيد من الأراضي للهنود المقيمين في جنوب إفريقيا، ولما اعترضوا على ذلك، جرى اعتقال ألفي شخص منهم.

> وكان نظام حياة مانديلا صارمًا ، يقوم مع الفجر ، ليمارس رياضة الجري ، ثم يتناول فطورًا خفيفًا ، ثم يعمل ويدرس طوال اليوم ، ولا يعود إلا في وقت متأخر

زاد إعجاب مانديلا بالهنود المنظمين في تحركاتهم، واحترافهم لفن الخطابة السياسية، واستعدادهم للتضحية، وقرر اعتبار المهاتما غاندي - والذي كان قد عاش من قبل في جنوب إفريقيا، ومن هناك بدأ مقاومته للاحتلال البريطاني لبلاده، بأسلوب اللاعنف، والمقاومة السلبية ، وتلميذه جواهر لال نهرو، مثالين يحتذى بهما. ورأى في استقلال الهند عام ١٩٤٧ نموذجًا طموحًا للنضال في جنوب إفريقيا.

ورغم اقتناعه بأهمية التعاون بين الأعراق المختلفة، فقد بقي متخوفًا من هيمنة الهنود على التنظيمات الإفريقية، لخبرتهم الكبيرة في هذا المجال، أو تجاهل القومية الإفريقية، رغم أن الهند كانت أول دولة في العالم تفرض عقوبات على نظام جنوب إفريقيا العنصري، وحرص أول رئيس وزراء هندي وهو نهرو، على تأكيد أهمية التعاون مع الإفريقيين في جنوب إفريقيا.

في أبريل ١٩٤٧ قام الملك جورج السادس والأميرتان الشابتان إليزابيث ومارجريت، بزيارة لجنوب إفريقيا استمرت شهرين، لم

يصافح أحدهم طوال كل هذه الفترة يدًا سوداء واحدة، بناء على العنصرية التي التزمت بها حكومة سموتز. وعندما سجد أحد زعماء الأفارقة أمام الملك، وعفر وجهه في التراب، لم ينتقده مانديلا، مشيرًا إلى أنه لا يستبعد أن يكون قد فعل هذا الشيء نفسه.

وربما كان هذا التناقض الداخلي عند مانديلا، بين عدم الرضا على المعاملة العنصرية لبني جلدته من ناحية، والامتنان للمستعمر من الناحية الأخرى هو الذي يبرر قدرته الفائقة على الصفح والتسامح، وقبول البيض فيما بعد، رغم سجنه ٢٧ عامًا، كشركاء في الوطن.

في عام ١٩٥٠ بدأ مانديلا يكسب المال، ويرتدي أفضل الملابس، ويركب سيارة، ويشعر بثقة الثري، الذي ينحدر من أصول ملكية، وكان يتصرف كأرستقراطي أكثر مما يليق بواحد من العامة، وكان يتمتع بصحة وبنية جسدية رياضية، وكان ملاكمًا من الوزن الثقيل. ووصل في هذا العام أيضًا إلى رئاسة لجنة الشباب في المؤتمر الإفريقي، وانجذب نحو الشيوعيين لالتزامهم الشخصي، وتخطيطهم العملي، أكثر من انجذابه مع أيديولوجيتهم.

وبدأ يشعر بالتخلي عن معتقداته المسيحية، وأصبح يؤمن بأن القديس الحقيقي هو الذي يقاتل ضد القسوة والحرب، وليس من يحفظ الكتاب المقدس، أو يلبس ثياب الكهنوت.

وحتى لا يستغرب بعض الناس من تخلي مانديلا عن العقيدة، التي سعت أمه منذ صغره إلى تعميقها داخله، ورغم أن كل دراسته في مدارس تبشيرية فإن المرجع الحديث (الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني) يوضح كيف استغل المستعمرون كتبهم المقدسة لتسويغ الفصل العنصري الذي انتهجوه، بل إن هناك «دراسات متخصصة قد توصلت إلى أن سفر التثنية استخدم لصياغة التاريخ المأساوي لجنوب إفريقيا... ويرى بعض الدارسين أن سفر التثنية بحد ذاته خطير، يؤكد الميول العنصرية وكراهية الغرباء، والعنف وتصوير القوة وكأنها إرادة الرب».

ولعل ذلك ما يبرر قيام السكان الأصليين لأمريكا بتسليم البابا يوحنا بولس الثاني في أثناء زيارته إلى هناك، رسالة مفتوحة من الحركات الوطنية جاء فيها: «نحن الأنديين والهنود الأمريكيين، نعيد إليكم كتابكم المقدس، لأنه طوال خمسة قرون لم يقدم لنا الحب والسلام والعدل. نرجو أن تأخذوا كتابكم المقدس، وأن تعيدوه إلى مضطهدينا، لأنهم بحاجة إلى تعاليمه الخلقية أكثر مما نحتاج إليه نحن. فمنذ أن قدم كرستوفر كولومبوس فرض ثقافة وديانة ولغة أوروبا بالقوة، وكان الكتاب المقدس السلاح العقائدي لهذه الهجمة الاستعمارية».

ومن الخطأ اعتبار مانديلا هو غاندي جنوب إفريقيا، لأنه اعترف بنفسه قائلاً: «لم أكن أعتبر اللاعنف السلبي على طريقة غاندي مبدأ ثابتًا، وإنما هو تكتيك يستخدم حسب مقتضى الحال». وقالت واحدة من أقرب المقربين إليه، وهي السيدة فاطمة مير، صاحبة أشهر الكتب التوثيقية عن حياة مانديلا، قالت: «يقولون إنه مثل غاندي، فقلت لهم، كان غاندي يخلع ملابسه المصنوعة عند المستعمر، أما مانديلا فكان يرتدي أغلى الثياب».

وترقى مانديلا في المؤتمر الوطني الإفريقي، حتى بلغ منصب رئيس المؤتمر عن منطقة الترانسفال، وقال آنذاك، إنه سيصبح أول رئيس أسود لجنوب إفريقيا، وكانت هذه الثقة في ذاته هي أكبر زاد له في طريقه الطويل إلى القمة. وقد قال مرة: «ربما كنت أشعر ببعض الشك يسكنني، أو أن الشعور بالنقص يساورني.. لكنني كنت أستطيع أن أسير منتصب القامة، أحدق نظري في الجميع بكبرياء، وكرامة

لم تسمح له سلطات السجن أن يشارك في جنازة أمه. وفقد خلال سنوات السجن ابنه، الذي توفي بعد أن كانت المرة التي رآه فيها، بعد أربع سنوات من دخوله المعتقل

أستـمـدهـمـا من أنني لم أنحن يومًـا للاضطهـاد أو الخوف».

نجاحات مهنية وسياسية وفشل أسري

ومن ازدياد نشاطه السياسي، وانشغاله العام تلو العام بمصير شعبه، متجاهلاً مصير أسرته الصغيرة، لم تعد زوجته إيفيلين قادرة على التحمل، وقالت في إحدى المرات، إنها غير راضية «لأن دينها لا يدعم النشاط السياسي»، علمًا بأنها من طائفة مسيحية متشددة اسمها (شهود يهوه)، تنادي دومًا باقتراب الساعة، وضرورة الاستعداد لها، وكانت إيفيلين تتعمق في كتبها الدينية بقدر تعمق زوجها في السياسة.

ولكن مانديلا تجاهل هذه الخلافات، واستطاع في عام ١٩٥٢ ولأول مرة في تاريخ جنوب إفريقيا أن يفتتح مع شريك أسود آخر أول مكتب محاماة يديره محامون سود، دون إشراف محام من البيض على أعمالهم، ويعطيهم اسمه. وكان مانديلا يثير استفزاز جميع القضاة، وبخاصة العنصريون منهم، وذلك باعتزازه الزائد بنفسه، لكنه في الوقت ذاته كان شديد الإيمان بالقانون، وكبير الثقة في العدالة، فقد طالبت نقابة المحامين عام ١٩٥٤ بشطب اسمه من قائمة المحامين، فهب محاميان أبيضان للدفاع عنه، وقضت المحكمة بعدم فصله من النقابة.

بدأ مانديلا يشعر بأن اللاعنف لم يعد هو الحل الصحيح للخروج من الأزمة التي تحدق بالسود، فقرر تطبيق (الخطة م.)، كاختصار اسمه، وأصبح المسؤول عن تنفيذها، والقاضية باللجوء إلى النضال المسلح، لإجبار الحكام البيض على تغيير معاملتهم لهم.

وفي عام ١٩٥٦م جرى تقديمه للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى، ومعه ١٥٥ قياديًا آخرين، من جميع الأعراق. كان بينهم البيض والسود والهنود، وتعرضوا لكثير من المهانة في أثناء التحقيق، وأمرهم ضابط الاعتقال بخلع ملابسهم كاملة، فكان غالبيتهم يذوب خجلاً من هذه المعاملة، أما مانديلا ففكر للحظة أن الفرصة قد حانت ليجني نتيجة مثابرته على الرياضة والجري فجر كل يوم، حيث كان جسده رياضيًا مفتول العضلات، ولم يعد يشعر بالحرج، مما يبين قدرته على جعل أحلك اللحظات وأقساها على النفس، مواقف فيها إيجابيات، وهو ما سيفعله طوال سنوات سجنه فيما بعد.

في عام ١٩٥٨م ينتهي زواجه بإيفيلين، بسبب



انشغاله الدائم بالسياسة، وتعرضه للاعتقال مرة تلو الأخرى، وتعرف على شابة في الثانية والعشرين من عمرها، أي تصغره بثماني عشرة سنة، اسمها ويني، ولم تكن تفقه في السياسة شيئًا، وكانت ذات شخصية قوية وعنيدة، تربت على يد جدتين لها، إحداهما مسيحية متشددة، والأخرى وثنية تدين بعقيدة القبائل الإفريقية، فخرجت ويني وبداخلها كلا العنصرين، وكانت عنيفة، تقاتل أخاها، إيمانًا منها بأن البقاء للأقوى.

أعجب بها مانديلا، رغم تحذير الكثيرين ممن حوله، من أن مثل هذه الشابة المتهورة، لا تصلح كزوجة لزعيم مستقبلي، ولكنه ما عاد يطيق البعد عنها، ورفضت هي أن تكون ذيلاً له، فقررت تأسيس اتحاد نسائي للمؤتمر الإفريقي، كان يقوم بحملات عنيفة ضارية، وكانت تستمتع باستفزاز السلطات، بل إنها لم تكن تسمح لضابط شرطة أن يعتقلها، قبل أن تلقنه درسًا عنيفًا، يخرج بعده بكثير من الإصابات. (يشبه بعضهم زواج مانديلا وويني بزواج بيل كلينتون بزوجته هيلاري كيلينتون،

التي يتوقع بعضهم ترشحها للرئاسة، كأول سيدة في تاريخ الولايات المتحدة).

مقاومة وسجن وأوسمة

وفي عام ١٩٦٠م قام مانديلا بحملة احتجاج على منح السلطات للسود بطاقات مرور لا يسمح لهم بدخول مناطق البيض دونها، وتفرض عليهم قيودًا كثيرة. وتوجه الآلاف في مسيرة حاشدة أمام أقسام الشرطة، يسلمون هذه البطاقات، ولكن السلطات هاجمتهم، وقتلت ٦٩ شخصًا، وجرحت ١٨٠ آخرين، واعتقلت ألفي شخص، من بينهم نيلسون مانديلا، وعاملتهم بمنتهى القسوة، وتقرر حظر المؤتمر الإفريقي للمرة الأولى منذ تأسيسه قبل ٤٨ عامًا، وظل محظورًا لمدة ٣٠ عامًا.

وفي عام ١٩٦٢ صدر حكم ببراءته من تهمة الخيانة العظمى، وقرر العمل في الخفاء، وترك أسرته وأولاده، وسافر سرًا إلى أديس أبابا - على الخطوط الجوية الإسرائيلية، التي كانت تعرف كل شيء عنه، ولكنها لم تمانع في ركوبه، دون أي أوراق هوية!- لحضور مؤتمر (حركة الحرية الإفريقية لشرق ووسط إفريقيا)، الذي انبثقت عنه فيما بعد منظمة الوحدة الإفريقية، وهناك استنكر رفض بعض الدول الإفريقية مشاركة الدول العربية، بزعم أنها ليست إفريقية، واستطاع فرض وجهة نظره على الحضور.

ثم زار العديد من العواصم الإفريقية يطلب الدعم، ويحاول إقناعهم بأن بلاده «لا تحتاج إلى العودة إلى المجد الإفريقي، وإلقاء البيض في البحر، بل بضرورة أن تصبح ذات مجتمع من نوع جديد، لا مثيل له في القارة الإفريقية، يعيش على التنوع والتعددية العرقية» منبهًا إلى النموذج الجزائري، الذي استمر في حرب تحريره ثماني سنوات، وتسبب في موت مليون جزائري، كنموذج يمكن أن يتكرر في بلاده. وكان معجبًا بهواري بومدين الذي التقاه في أديس أبابا، وسافر إلى الجزائر، وتعرف على الفكر العسكري هناك. ثم سافر إلى لندن، حيث بقي عشرة أيام التقى خلالها بعض قادة المعارضة، مستبعدًا موافقة أي مسؤول في الحكومة على لقائه، باعتباره «ثوريًا فجًا»، كما كان يصف نفسه.

ويعود مانديلا إلى جنوب إفريقيا، ويقدم للمحاكمة بتهمة التحريض على النظام، والسفر دون أوراق رسمية، وفي فترة الاعتقال هذه عاد إلى مواصلة دراسة الحقوق في جامعة لندن بالمراسلة، وبدأت سمعته تنتشر في الآفاق. وصدر الحكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات، ثم صدر عليه في عام ١٩٦٤ حكم آخر بالسجن المؤبد بتهمة التخريب، بعد أن كانت مظاهرات غاضبة خرجت عقب صدور الحكم الأول بسجنه، وقتل المتظاهرون بعض السكان البيض.

لم تسمح له سلطات السجن أن يشارك في جنازة أمه، وفقد خلال سنوات السجن هذه أيضًا ابنه، الذي توفي بعد أن كانت المرة التي رآه فيها، بعد أربع سنوات من دخوله المعتقل، ورغم كل ذلك فإن مانديلا بقي راسخًا. وحتى حين زادت الضغوط الدولية على حكومة جنوب إفريقيا، وعرضت السلطات عليه في عام ١٩٧٣ إطلاق سراحه من السجن، بشرط بقائه في منطقة نائية، وعدم المشاركة في العمل السياسي، رفض بشدة، مفضلاً السجن، على الحرية المشروطة. ولعله قد وجد في السجن فرصة لفهم الذات، والتعرف على جميع الاتجاهات السياسية والعرقية والفكرية في فترة السجن، بعد أن أقام شبكة من العلاقات الوطيدة مع المسجونين والسجانين، وأنهى دراسة الحقوق، والتهم الكثير من الكتب الأدبية والسياسية والاجتماعية والفكرية.

وفي عام ١٩٧٩م منحت الهند نيلسون مانديلا جائزة نهرو، وهي من أعلى الأوسمة التي تمنحها على

واحتفل العالم في عام ١٩٨٨ بعيد ميلاده السبعين. ومنحته حكومة موزمبيق أعلى أوسمتها. وتزايدت الحملات العالمية الرافضة لبقائه في السجن بعد ٢٦ عامًا، وتدهور حالته الصحية، ودخوله المستشفى



الإطلاق، وفي العام التالي جاء ترشيح مانديلا لرئاسة جامعة لندن، وحصوله على نسبة عالية من الأصوات، أمام الأميرة آن التي فازت بفارق ضئيل، لتوضح المكانة التي أصبح يتمتع بها، حتى إن بلدية لندن قررت إطلاق اسمه على العديد من الميادين والمتنزهات، واحتفل العالم في عام ١٩٨٨ بعيد ميلاده السبعين، ومنحته حكومة موزمبيق أعلى أوسمتها. وتزايدت الحملات العالمية الرافضة لبقائه في السجن بعد ٢٦ عامًا، وتدهور حالته الصحية، ودخوله المستشفى.

وفي ١١ فبراير ١٩٩٠ يخرج إلى الحرية بعد ٢٧ سنة من السجن، ـ وهي السنة نفسها التي سقط فيها سور برلين، وبذلك تكون هذه هي المرة الأولى التي تسبق فيها إفريقيا العالم الغربي في إعلان التغيرات العالمية. وتجري الانتخابات العامة في عام ١٩٩٤ في جنوب إفريقيا، ويفوز المؤتمر الوطني الإفريقي فوزًا ساحقًا، ويجري توقيع وثيقة مصالحة تشمل عفوًا عامًا عن جميع الجرائم التي ارتكبها البيض قبل المصالحة.

وفي عام ١٩٩٩، أي بعد خمس سنوات فقط في الحكم، يترك مانديلا الحكم طواعية، بعد أن حقق وحدة بلاده، وأشاع الاستقرار، وخلص البلاد من حكم العنصرية البغيضة، حتى استحق بحق اسم (حكيم العصر).* ■

المصادر

١) أنطوني سامبسون: مانديلا ـ السيرة الموثقة، تعريب هالة النابلسي وغادة الشهابي، مكتبة العبيكان، ٢٠٠١م (غالبية المعلومات في المقال مستمدة من هذا المرجع الشامل ٩٥٠ صفحة).

٢) تجربة جنوب إفريقيا، مركز التخطيط الفلسطيني، صفحة إنترنت منظمة التحرير الفلسطينية

٣) نيلسون مانديلا، السجينان: غاندي وأنا، صفحة الإنترنت للسفارة الهندية في القاهرة.

٤) مايكل برير، الكتاب المقدس والاستعمار الاستيطاني، ترجمة أحمد الجمل وزياد منى، قدمس للنشر، دمشق، ٢٠٠٣م.

٥) **Nelson Mandela, No Easy Way to Freedom, Heinemann Educational Books, London, 1965.**

6) Nelson Mandela, The struggle is my life, International Defence and Aid Fund for Southern Africa, London, 1978.

7) Nelson Mandela, Stimme der Hoffnung, Heyne Verlag, München, 1989.

صور ومعلومات عن نيلسون مانديلا

http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/shows/mandela/

http://www.anc.org.za/people/mandela.html

http://www.anc.org.za/people/mandela/

http://archives.obs-us.com/obs/english/books/Mandela/Mandela.html

* جاسر عبد العزيز الجاسر في مقال له بالاسم نفسه، في جريدة الجزيرة، بتاريخ ١٣ مايو ١٩٩٩م.

الحياة صور وشخصيات و.. أحداث..
الحياة قصص صغيرة تصب في روايات طويلة..
نحن نرى.. نسمع.. نتكلم و.. نسجل..
حروف مبعثرة تكوّن فيما بينها مفردات واقع يصافحنا كل يوم.. ونحياه.



مكررة ومزدحمة !

فاطمة السهيمي - القنفذة

* القرآن الكريم

حصص تأتي وتذهب دونما أثر يذكر. من المسؤول.. المعلم، المنهج، الطريقة، الطلاب؟

* التوحيد.. حفظ.. حفظ.. حفظ

* الفقه.. أمور الحياة اليومية، في سطور معقدة.

* التفسير.. حصص القرآن تكرر نفسها.

* التجويد.. صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما.

* السلوك.. «قل» يا ولد ماذا «تفعل» عند دخولك الخلاء.

* القواعد.. قواعد خرسانية.

* الأدب.. «تقنين الأدب».

* البلاغة.. تشبيه غير بليغ مطلقًا.

* الصرف.. ممنوع من الصرف.

* القراءة.. تبع..!

* الإملاء.. ملاءة تنتظر الرقع.

* الخط.. خط الجنوب.

* الجغرافيا.. العالم الثالث يظل ثالثًا.

* التاريخ.. «من ذاكرة التاريخ» يكفي.

* الرياضيات.. العقول لم تعد تتسع للأرقام.

* الحاسب.. معمل.. فاضي.

* الرياضة.. أحسن حصة..!

الكيمياء.. معادلة بلا طرفين.

الوزارة.. لماذا كل هذا التهجم على المناهج؟!

الرشيد.. خرجته نفس المناهج، والثنيان، والدريس، والقرني، والفوزان، وقينان، وميسرة، و... وأنتم من علمكم كيف تمسكون القلم وتهاجمون الوزارة والمناهج؟!

- إنها المناهج..

* نظر المعلم الناشئ إلى تلميذ في الصف الأول.

* كتابة قراءة.. حمله المعلم.. بيد، والتلميذ بيد.. رجحت كفة... التلميذ طبعًا..!!

* كتاب الرياضيات + توحيد وفقه + الدفاتر.. سقط.. التلميذ طبعًا..!

* سأله بشفقة:

- هل درست يا حبيبي القراءة اليوم؟

نعم

- وكتبت؟

وكتبت.

- ودرست الرياضيات؟

نعم

- وحسبت؟

وحسبت

- ودرست الفقه؟

نعم

- وتفقهت؟

....

- ودرست التوحيد؟

- نعم

- ووحدت الله؟

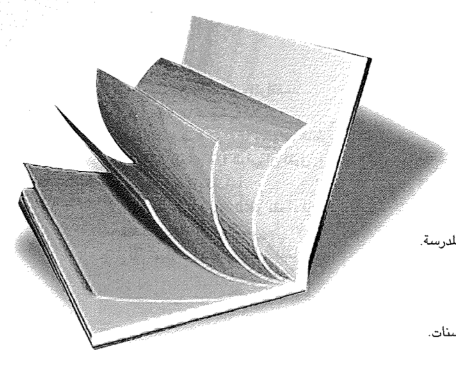
....

- ودرست السلوك؟

نعم

- وماذا تعلمت؟

....!



- ولعبت رياضة؟

نعم

- وسجلت هدفًا؟

كنت مرهقًا فطلبت التغيير..!

- ودرست القرآن؟

نعم

- وماذا حفظت؟

جميع السور أحفظها قبل مجيئي إلى المدرسة.

- وماذا فعلت إذًا؟

قال لي المعلم: كرر..!

- وكررت؟

أمي قالت لي كرر فبكل حرف عشر حسنات.

- والمعلم ماذا قال لك؟

قال كرر «لا تشوف نفسك» على زملائك..

- والنهاية؟

كررت.

* حمل المعلم الناشئ التلميذ بين يديه، كان وزنه خفيفًا للغاية. وعيناه غائرتان. ووجهه شاحب، وضعه على مكتب مسؤول المناهج الأول:

هل هذا الرأس الصغير يجب أن يقرأ ويتلو ويوحد ويتفقه ويحسب ويكتب ويسجل أهدافًا في الفترة من السابعة صباحًا إلى الثانية عشرة ظهرًا؟

قل لي بربك:

ماذا فعلت أنت في الفترة نفسها؟

هل قرأت وردك من القرآن؟

ثم حفظت جزءًا من سورة.

ثم قرأت كتابًا.

ثم فككت ألغاز مسألة حسابية.

ثم تفقهت في أحد أمور الدين.

ثم تأملت في وحدانية الله.

ثم مارست الرياضة لبعض الوقت.

ثم أجريت مكالماتك المهمة، ووقعت أوراقك المستعجلة، وكتبت ما تحتاج إلى كتابته؟!

قل لي بربك.. ماذا فعلت؟!

ثم قارن بين ما فعلته وبين ما فرض على هذا الصغير أن يفعله.

* * *

ربما كانت مناهجنا جيدة، وأوجه قصورها محدودة..

لكنها كثيرة، وكثرتها لا تغني شيئًا..

ومكررة، ومزدوجة، ومزدحمة..

هلا جعلت يوم السبت يوم القرآن، حصة للتلاوة، وحصة للحفظ، وحصة للتأمل، وحصة للشرح، وحصة للربط بآفاق الطفولة والحياة.

ثم يوم الأحد للقراءة، حصة للقراءة، وحصة للترديد، وحصة للكتابة، وحصة للإملاء، وحصة للإبداع.

ويوم الاثنين للرياضيات، والثلاثاء للرسم والرياضة.

والأربعاء للعلوم الإسلامية التي يجب ألا تغيب عن كل حصة..

إنما بالطريقة التي يرتئيها المعلم، فيستغل موقفًا للتوجيه وموقفًا للإرشاد، ويذكّر في أثناء جملة في القراءة بجملة غير مفيدة شاهدها في ساحة المدرسة من قبل أحد التلاميذ.

ويعلم في حصة الكتابة آداب الكتابة، وفي حصة الرياضيات كيفية الاستئذان، ويربط هنا وهناك، حسب الظروف الماثلة أمامه، وليس حسب الخطة الجامدة.

* * *

عزيزي طالب الصف الأول:

اهتم بصحتك وتغذ جيدًا..

المناهج لن يخف وزنها.

فليزد وزنك.. لتعادلها على الأقل..

فمن غير اللائق..

أن تكون المناهج.. أكثر وزنًا.. من الإنسان..

* * *

لا تزال في الصف الأول..

لكن الوطن لم يمل الانتظار..

الحياة جملة من الأحداث والمواقف..
ومع كل حدث هناك وجهة نظر..
وملامح الشخصية تحددها وجهات النظر..
و«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول: إن اختلاف وجهات النظر طبيعة إنسانية ينبغي ألا تفسد للود قضية كما نردد دوماً.
وإذا كان تضاد وجهات النظر نقمة، فإن تنوعها نعمة يجب أن نحسن تناولها.
ضيفنا العزيز: د.سعيد السريحي الأديب والناقد المعروف.
يقدم لنا شيئًا من وجهات نظره فيما يلي:



سعيد السريحي :

لاعنو الحداثة بسطاء أو عاطلون عن العمل!

*** العلمانية: فصل الدين عن الحياة... الحداثة: فصل الدين عن الفن والأدب؟**

وهذا السؤال: فصل الحقيقة عن الكلام يا صاحبي.

*** «الحداثة» نسخة القرن العشرين، من «تنوير» القرن التاسع عشر؟**

الله ينور على القائل.. يبدو أنه لا يعرف الحداثة ولا التنوير ولا القرن التاسع عشر ولا القرن العشرين.. الحداثة ضد التنوير، لأن الحداثة مشروع لإطلاق الطاقات كافة وكأن التنوير إعلاء من العقل.. التنوير «عقلنة» والحداثة أشمل.. هي «أنسنة» شاملة.

*** استبدل المثل القائل «كحامل التمر إلى هجر» بالمثل القائل «كحامل الفحم إلى نيوكاسل»... تكن حداثيًا حقيقيًا؟**

صدّق أن المسألة هي تلك وأن الحداثة لا تعدو ذلك، تكن.. أميًا حقيقيًا كذلك.

*** أكثر الناس ترديدًا لكلمة «التراث»... هم الحداثيون؟**

نعم فمن أحب شيئًا أولع بذكره.

*** «الحداثة قدر محتوم، كالمستقبل تمامًا» (سعيد السريحي)؟**

صح لساني..!

*** مشكلة الحداثة في ساحتنا العربية أنها لم تفهم فهمًا جيدًا منذ البداية وصاحب ظهورها توجس وخيفة وحذر؟**
(عبدالله المعيقل)

الحداثة فقط يا ابن معيقل؟!! ما الذي فهمناه فهمًا جيدًا يا خالي العزيز؟ (بالمناسبة ابن معيقل من خوالي..).

*** الجسم العربي يرفض هذا العضو (الحداثة)؟**
(صالح العمري..)

يا سلام يا صالح.. ليت هذا الجسم يرفض إسرائيل والقوات الأجنبية والأغاني الهزيلة بالقدر نفسه.

*** ليس العلاج في أن نطلب من الثقافات الأخرى الغازية، إبعاد بلاها عنّا؟**
(علي عقلة عرسان)

أخشى أن يكون العلاج هو استيراد هذه الثقافات مثلما نستورد حبوب البندول ولقاحات حمى الوادي المتصدع.

*** البسطاء والسذّج فقط هم الذين يعتقدون أن هناك فاصلاً واضحًا بين: الثقافة والسياسة؟**
(محمد الرميحي)

والضحايا هم الذين لا يرون هذا الفاصل الوهمي.

*** ما من علة في فكرنا إلا ووراءها علة لغوية..؟**
(أمين الخولي)

وما من علة في اللغة إلا ووراءها فيروس قد نخر الفكر.



- لم يعد يعجب الشاعر أن يكون مجرد «لسان» فقط
- الغرب ليس سوبر ماركت نأخذ منه ما يحلو لنا !
- النقد الثقافي ليس في هدنة مؤقتة . . البعض يسعى إلى صلح دائم
- ليت الحداثيون سلموا !



علم الكلام تحول إلى عصا للسلطان فمات

ستنتهي الحداثة بعد كل النهايات

*** العربية.. لغة صلعاء..؟**

(شاعر حداثي)

هذا بالتأكيد شاعر خنفس.. وليس حداثيًا.

*** مجامع اللغة العربية تختار من مشكلات العربية ما تستطيع أن تعالجه، لا ما يحتاج إلى المعالجة بالفعل..؟**

رحم الله أمرأ عرف قدر نفسه.

*** هيا بنا صوب الفوضى؟**

(مقولة نيتشه التي استندت إليها دعوى ما بعد الحداثة).

ربما من باب وقوع البلا ولا انتظاره.. فإما أن نذهب إليها وإمّا أنها سوف تأتينا.

*** ما بعد الحداثة تيار فكري يرفض جميع السرديات التي قامت عليها الحضارة الإنسانية ويعتبرها نوعًا من العاب اللغة.. لاحظ معي أن النصوص السماوية من أهم هذه السرديات..؟**

النصوص السماوية سرديات؟!! هكذا «سرديات»؟ أستغفر الله.

*** اتفق الناس على أن يكون الفاعل مرفوعًا والمفعول منصوبًا، بإمكانهم الاتفاق على العكس.. أليست القواعد من صنع الإنسان وهو حر في تبديلها؟**

(أحمد عبدالمعطي حجازي)

طيّب.. ننتظر حتى يتفقوا يا عم عبدالمعطي.

*** اختصر المشوار بالحداثة بدلاً من إفناء الصحة والبصر بنحو سيبويه وصرف الفراء وعروض الخليل ونقد الجمحي...؟**

هذا كلام واحد «بليد» لا يعرف ما الحداثة ولا ما النحو والصرف والعروض والنقد.

*** الحية الرقطاء تمارس الحداثة والتحديث.. الا ترى أنها تغير جلدها دوريًا..؟**

أنصحك ألا تغير ملابسك إطلاقًا لكي لا تتهم أنت كذلك بالحداثة.

*** من أراد أن يجرح كاتبًا أو شاعرًا بأسلوب عصري يصفه بأنه حداثي بدلاً من زنديق؟**

(عائشة جلال الدين)

منتهى الرقة في الوصف يا عيوش!!

*** الحداثة خطر محدق بالثوابت، قزحية الألوان، حربائية التلون متعددة الأوجه...؟**

(إنصاف بخاري)

يا خفي الألطاف نجنا مما نخاف.. والظاهر الدكتورة أنصاف متأثرة بحكايات الجدات عن «أمنا الغولة».

*** الشاعر لسان الجماعة معبر عن قضاياها تراثيًا، حداثيًا الشاعر متمرد على الجماعة منسلخ من قضاياها..؟**

يمكن ما عاد يعجب الشاعر أن يكون مجرد لسان، يمكن أكل الجماعة المر والحامض والحلو والمالح ما عاد يعجبه.

*** الحداثيون العرب عجزوا عن الدفاع عن قصيدة النثر.. ما بالك بما هو أعظم..؟**

يا سيدي.. تركوا ما هو أعظم لمن يدّعون القدرة على الدفاع عنه.

*** النقد الثقافي هدنة مؤقتة بين الحداثيين والمحافظين؟**

النقد الثقافي ليس هدنة مؤقتة.. بعض نقادنا يسعى في واقع الأمر، إلى صلح دائم.

*** حصر الحداثة في الأدب والفن والنقد تمويه خطير لصرف النظر عن الغاية الكبرى؟**

هذا صحيح بصرف النظر عن سوء النوايا في تفحص هذه الغاية الكبرى؟

*** الفصل بين النص والقائل تملص حداثي ماكر من المسؤولية؟**

ويا ليت الحداثيين سلموا..

*** إذا أردنا أن نتقدم فعلينا أن نأخذ بأسباب الحضارة الغربية كلها حلوها ومرها وخيرها وشرها؟**

(طه حسين)

ربما لأن طه حسين يدرك أن الغرب ليس مجرد سوبر ماركت نختار منه ما يحلو لنا فقط.

*** مشكلة المثقفين العرب أنهم وحدهم ما زالوا يقفون موقفًا رومانسيًا من مفكري عصر النهضة؟**

.. وموقفًا أكثر رومانسية من «مفكرات» العصر الحديث.

*** هناك خيط رفيع بين الحداثة في السعودية ووادي الصفراء بالمدينة المنورة؟**

ربما يكون الخيط منسوجًا في «حمراء نملي» إحدى قرى وادي الصفراء.

*** الشعر ليس مجرد كلمات مرصوصة يطرب لها البشر، إنه يجمع ما بين الإلهام الإلهي والقانون الوضعي والمعرفة البشرية؟**

(بيرسي شيلي)

وهل في ذلك شك؟

*** عشاق البيان والمعنى من البسطاء يلعنون الحداثة والغموض ليل نهار؟**

هم بسطاء بحق.. يعني ما عثروا على شيء آخر يلعنوه؟ وما عندهم صفة تشغلهم عن اللعن صباح مساء؟ هل هم بسطاء أم عاطلون عن العمل؟

*** يستحيل أن يبدع العرب مسرحًا.. الحوار مفقود في ثقافتهم ويستحيل أن يبدعوا شعرًا دراميًا، شعرهم لم ينشغل بحيرة الإنسان مع ذاته وواقعه، لقد انشغل بمدح الحكام والتباهي بالنعرات القبلية؟**

ومستحيل أن يكون هذا الكلام صحيحًا على ما فيه من تعميم و..«شعوبية».

*** علم الكلام «كان لقاءً مثيرًا بين اللغة العربية انقطع الوصال فمات الكلام وتخلفت الفلسفة»؟**

مات علم الكلام حين توقف عن أن يكون علمًا وتحول إلى أن يكون عصا في يد السلطان.

*** نهاية المكان، نهاية التاريخ، نهاية الجغرافيا، نهاية الدولة، نهاية المؤلف، نهاية الكتاب، نهاية الإيديولوجيا، إلا الحداثة استثناء..؟**

بل سوف تنتهي كذلك عندما تقوم بتسجيل كل هذه النهايات■

سعيد السريحي

أحياناً المشاعر الكبيرة لا تحتاج إلا إلى عبارات صغيرة، كما أن بعض الأفكار الكثيرة تحتاج إلى كلمات قليلة للتعبير عنها.
هذه هي لغة السر في سر اللغة!
«ثرثرة» ..لا يقصد بها دوماً كثرة الكلام، بل قد تعني الكلام الذي يُلقى على عواهنه.. بكل بساطة.
هكذا «ثرثرة» هنا، كلام يلقى على عواهنه.. فخذوه أنتم أيضًا على عواهنه.. بكل رحابة صدر.



فوق ظهر (جيب)

زيارة إشرافية

محمد إبراهيم فايع - خميس مشيط

التفت إلى ساعتي المثبتة في الحائط فوجدتها تشير إلى الساعة الثامنة مساء فالتقطت جدول أعمال الغد لأعرف ماذا ينتظرني من مهمات فعرفت أن لدي في الغد مهمة ألا وهي زيارة إشرافية إلى إحدى المدارس النائية في المنطقة، فقررت أن آوي إلى فراشي الليلة مبكرًا حتى أتمكن من الصحو مبكرًا، فالمدرسة نائية وتحتاج إلى وقت طويل حتى أصل إليها، وينبغي عليَّ الذهاب مبكرًا إلى المركز مقر التجمع للانطلاق منه إلى المدرسة، فنمت نومًا عميقًا كما تراءى لي، وقبيل الفجر بقليل شعرت بأن النوم قد غادر عيني فلقد حاولت المزيد منه غير أنه أبى فقمت لأتوضأ، وما هي إلا لحيظات حتى سمعت أذان الفجر يشق صمت الليل، خرجت مسرعًا إلى المسجد المجاور لمنزلي لأنعم بصلاة الفجر جماعة تسبقها ركعتان هما أعظم من الدنيا وما فيها، عدت بعد الصلاة إلى المنزل لألملم أوراقي في حقيبتي البنية العتيقة ثم غادرت المنزل متوكلاً على الباري.

خمسة كيلومترات تفصل بين بيتي والمركز وهناك كان «جيب» المركز العتيق في انتظاري وزميلي في الرحلة كان للتو واصلاً في اللحظة نفسها التي وصلت فيها تصافحنا ثم صعدنا سيارة الرحلة متوكلين على الله وقد اخترت الجلوس في الخلف، وعادة يتهمني زملاء الرحلة بأنني أختار المقعد الخلفي لمعرفتي بأنها أريح من المقعد الأمامي. عمومًا طارت السيارة مسرعة وسائقها مشهور عنه أنه يسابق الريح لا يرى إلا الطريق أمامه هدفه الوصول إلى مقصده بأقصى سرعة. لم أخبركم أن مسافة الرحلة تقدر بـ٨٥كم منها ٥٥كم بالضبط هي طريق وعر ممزوج بما يعرف بالطريق «الرملصخري»، قطعت بنا السيارة مسافة الطريق المسفلت وبعدها ركبنا فوق الطريق الوعر شعرت كأنني وقتئذ قد ركبت على جمل له أكثر من عشرين سنامًا فلا أنا عرفت كيف أستلقي أو أجلس، كانت السيارة تطير



كسفينة صغيرة تمخر عباب البحر غير أنها تطير وتهبط فوق رمل وصخور. بحثت عن حقيبتي التي كانت إلى جواري عندما ركبت فوجدتها قد فتحت فاها بقدرة قادر، وكانت بعض أوراقي تطل برأسها وكأنها تود اختلاس نظرة على المكان لتعرف ماذا يجري حولها ثم تخرج لتتطاير هنا وهناك، غير أنني فطنت لها فأطبقت بكلتا يدي عليها وأنا أصارع المقعدة التي كانت ترفض أن أجلس فوقها بارتياح، تخيلت نفسي بين أيدي مصارعين يقومون بعملية تدليك لي رغم أنفي ولكنه تدليك غير مرغوب فيه، ولأن الطقس بارد فقد زاد في المشكلة أنني كنت أرتدي «بيجامة صوفية» فشعرت بأن جسمي كله «يهرشني» نتيجة للحركة التي لم تهدأ، ولأنني لم أتحمل البيجامة الصوفية التي أصابتني بنرفزة حكّية - إذا صح التعبير - فقد شعرت بحاجتي إلى حك جسمي بيدي الاثنتين ما استطعت، غير أن يدي ما كانتا مقنعتين لي أو لم تريحا ألمي فتمنيت لو أن معي خشبة في رأسها عشرة مسامير مدببة على الأقل لأستخدمها في حك جسمي والوصول إلى المناطق التي لم تصلها يدي. كنت أعاني ما أعانيه والجيب العتيق ما زال ينطلق بسرعة الريح في الطريق الملتوي الذي كان أشبه ما يكون بثعبان يزوغ منا ونحن نطارده، وتخيلت أن السيارة لا تسير على «إطارات» بل تخيلت كأنها تسير على «زلاجات» وخطر ببالي لو أن سائقنا يدخل في سباق مع رياضيي التزلج فوق جبال الألب وفوق جبال سويسرا لفاز عليهم واكتسحهم وتركهم خلفه مندهشين من حرفيته ومهارته في التمايل والرقص يمنة ويسرة على الطريق المطرز بأحجار ملونة وكأنها من كوكب آخر، حاولت أن أثبت على المقعد لكن باءت محاولاتي بالفشل وشعرت كأنني أرقص رقصة «الزار»، ثم حاولت أن أتشاغل بقراءة كتاب جديد في التربية كنت قد وضعته في حقيبتي، حملت الكتاب بين يدي واحتضنته بقوة ليثبت وتثبت حروفه وكلماته فلم أقو، كنت أرى سطوره كخطوط تتراقص أمامي فلا أرى سوى خط سريع يمر أمام ناظري وكأن الكتاب مكتوب باللغة الصينية. بعد أن فشلت في تتبع حروفه وكلماته وضعته جانبي وما هي إلا ثوان حتى انطلق الكتاب كأنه يريد الفرار مني ليستقر تحت مقعد السائق، حاولت اللحاق به لأمسكه



تغافلتهم لأحك موقع الضربة وأنا أتمتم بكلمات لم أفهمها حتى سألت السائق بحنق كم بقي من الرحلة حتى نصل المدرسة يا عم؟؟ قال ٢٧ كم قلت الحمد لله كل هذا وبقي ٢٧؟ فعدت لأسأله وكيف حال الطريق المتبقي يا عم؟ قال أخف مما قطعناه.

كان يحاول التخفيف عني كما ظهر لي لأنها لحظات فقط حتى خيب الطريق ظنه وظني إذ كدنا ننطح صخرة لو فعلنا لمزقتنا شر ممزق، نسيت أن أخبركم بأمر كان يشغل بالي ألا وهو معرفة السائق المدهشة بالطريق رغم وعورته وكأنه قد ركب جهاز رادار في رأسه، في أثناء المنحنيات كنت أنتظر سيارة تفاجئنا فتصطدم بنا وجهًا لوجه في «الطلعات» كنت أفتح فمي والرعب يسطر لي قصة ما وراء هذه الطلعة فأتمتم «يا ساتر» فالسائق كان يخرج من مساره إلى المسار الآخر للقادم، وسبحان الله بعدها أسترد نفسي الذي يصعد ويهبط في كل منحنى وطلعة فلديه حدس عجيب عن الطريق.

كانت معنا بضعة أكواب فارغة كنا أحضرناها لشرب الماء ويا ليتنا لم نحضرها لقد كانت تصطك بعضها ببعض فتولد لنا صوتًا أشبه بفرقة «الروك أند رول». حاولت كتم أصواتها ففشلت في إسكاتها، قمت بوضعها داخل كيس فاستمرت في العزف، وضعتها تحت المقعد فازدادت في العزف والإنشاد، أرجعتها إلى جواري لعلي أخنقها بيدي فلم أفلح في كتم صوتها، عندها تركتها تمارس لحنها كما يحلو لها، وعندما وصلت إلى المدرسة لم أصدق ما رأيت فثوبي الناصع البياض تحول إلى لون رمادي خصوصًا من الخلف نظرت إلى المقعد الذي أجلس عليه فوجدته ينطق بالنظافة لأن ثوبي قد مسح ما علاه من غبار!!

فانتقلت من جهة اليمين إلى اليسار خلف مقعد السائق فضرب رأسي في سقف السيارة ثم أعقبها سقوط الشماغ وطيران العقال إلى الخلف حاولت أن أتماسك فحرت أيهما أبدأ بالتقاطه أولاً تركت الكتاب لأنه استقر في مكان بعيد تحت مقعد السائق الذي أفزعني صوته فقد كان يناديني ولم أكن أسمعه لأن السيارة من الداخل كانت أشبه ما تكون بطائرة «السلاح» العسكرية عندما تقلع. استرقت نظرة على صاحبي في الرحلة فوجدته قد وضع قدميه في مقدمة السيارة وشد جسمه إلى ظهر المقعد وكان منظره أشبه ما يكون برجل اعتلى ظهر ثور إسباني هائج والثور يحاول إسقاطه وهذه لعبة يجيدها سكان ولاية «تكساس» المعروفون بالكاوبوي. عمومًا بعد محاولات شاقة استطعت أن أستعيد الغترة ثم لففت ظهري إلى الخلف لأستعيد العقال فلم أره، وبعد أن زاغ البصر وجدته قد اختفى وسط الإطار (الكفر) الاحتياطي فالتقطته وبينما أنا عائد ضرب رأسي في سقف السيارة فصرخ الصديقان لهول الضربة هه عسى «ماتعورت»؟ قلت لهم وأنا أتصابر لااااااااا، ضربة بسيطة تظاهرت بالشجاعة أمامهم ثم

الفقر ليس نقصًا في الدخل فقط


من زيارة الأمير عبدالله للأحياء الفقيرة

انطلقت خلال الفترة الماضية أعمال الصندوق الخيري لمعالجة الفقر والذي جاء صدى لزيارة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني، العام الماضي للأحياء الفقيرة في مدينة الرياض والاطلاع على أحوال الفقراء عن قرب وبلا حواجز رسمية. ويقوم الصندوق بتقديم خدماته للفقراء داخل المملكة ومنح الشخصية المعنوية التي تخوله اكتساب الحقوق وتحمل الالتزامات، ويتمتع بالاستقلال الإداري والمالي، ويمثل رئيس مجلس إدارته معالي وزير العمل والشؤون الاجتماعية أو من يفوضه ومركزه الرئيس مدينة الرياض، وله أن ينشئ فروعًا في مناطق أخرى من المملكة. وينطلق الصندوق وفق منطلقات تكاملية مع باقي الجهات الحكومية والأهلية لمعالجة الفقر، وبناء على الأساليب العلمية والمهنية المدروسة بما يتفق مع تعاليم الإسلام الحنيف، وتكون العلاقة المبنية بينه وبين الفقراء علاقة مؤسسة بعملائها بحيث لا يصبح هؤلاء الفقراء عالة على مصادر تمويل الصندوق، وبالتالي فإن من أهدافه تطوير قدرات الأفراد وتنميتها وتطوير الذات من منطلق أن الفقر ليس نقصًا في الدخل فقط، وفتح وتمويل ودعم المشروعات الصغيرة التي يديرها وينفذها الفقراء لتحسين ظروف معيشتهم، والتركيز في ذلك على تيسير الإجراءات الإدارية لدى الجهات المختصة وبدءًا بالفئات والأماكن الأكثر احتياجًا، ثم تفعيل مفهوم الأسرة المنتجة بتشجيع الصناعة المنزلية والعمل داخل البيوت ودعم وسائل إنتاجها وتسويقها والارتقاء بمعايير جودتها، ودعم وتشجيع المبادرات الفردية للتأهيل والتدريب بما يتناسب مع ثقافة المجتمع وحاجة الفقير ومتطلبات سوق العمل.

ويقوم الصندوق أيضًا في الجانب التثقيفي بالتوعية بأهمية العمل والاعتماد على النفس وتعميق مفاهيم وأخلاقيات كسب الرزق في نفوس الشرائح الفقيرة، وتصميم البرامج اللازمة لذلك، والإسهام مع الجهات ذات العلاقة في توفير الحد الأدنى من العيش الكريم للفقراء فيما يتعلق بالإسكان والرعاية الصحية والتعليم.

وينتهج الصندوق عددًا من الوسائل والآليات لتمويل أهدافه منها ما تخصصه الدولة من مبالغ وإعانات مالية، وتبرعات عينية، وأوقاف، وزكوات وصدقات من الأفراد، والمؤسسات والعوائد المالية مع استثمار أصول الصندوق وممتلكاته. ويستقبل الصندوق التبرعات على الحساب رقم (٣/٩٩٩) لدى شركة الراجحي المصرفية للاستثمار، الخدمات البنكية الخاصة - فرع العروبة رقم (٣٦٢). ■

عبدالرحمن الراشد :

المدرسة هي المطبخ الأسلم للتغيرات الكبرى

رئيس تحرير الشرق الأوسط الكاتب و «القارئ» لما وراء الحدث الأستاذ عبدالرحمن الراشد رحب بالخطوة التي اتخذتها الحكومة السعودية في التوجه نحو تثقيف طلاب التعليم العام في مسألة الانتخاب من خلال اختيار وزارة التربية والتعليم - كخطوة أولى - مدارس مختلفة لتدريب التلاميذ على التعبير الحر وبناء مهارات الحوار وتمرين الطالب على قبول آراء الغير.

تعليق الراشد جاء متضمنًا لرأيه في الأنباء - غير المؤكدة رسميًا - التي ترددت في الأوساط الاجتماعية والمثقفة حول توجه الحكومة إلى تبني الانتخابات أيضًا في مجلس الشورى قدوة بقرار الانتخاب الجزئي في نظام المجالس البلدية الذي أقره مجلس الوزراء السعودي مؤخرًا.

عبدالرحمن الراشد

ودعا الكاتب إلى أهمية التدرج في المسألة الديمقراطية حتى يستوعب المجتمع تفاصيلها القبلية والبعدية وآلياتها وسلبياتها وإيجابياتها فلا يكون ضحية (مغامرة) لا تحمد عقباها فيذهب في الانفلات أو تسرقه هالة (التجميل) عن حقيقة الديمقراطية وعوائدها المجربة.

الراشد أكد أهمية المدرسة كأولى درجات الخطو نحو مسألة كبيرة وتغيير جذري في ترسيخ الانتخاب كمفهوم وتطبيق «الخطوة السليمة الأولى في أي تغيير كبير يبدأ من المدرسة ويمتد إلى وسائل التعليم والإعلام الأخرى، فالانتخاب وسيلة لا تحقق دائمًا ما تتمناه الأغلبية أو صفوة المجتمع، وهذه الوسيلة قد تكون عربة للتخلف كما حدث في إيران في الفترة الأولى، وقد يركبها أسوأ فئات المجتمع كما وصل هتلر إلى حكم ألمانيا عبر انتخابات ميونيخ». وأشار الراشد أيضًا إلى أن هناك فئات في المجتمع السعودي تريد عرقلة مشروع الديمقراطية فيها ودفع مخططيها إلى التراجع.

معجم سعودي للأطفال لردم الهوة بين «المنطوقة» و«المكتوبة»

يعكف الباحث الدكتور عبدالله بن حمد العويشق ومجموعة من الباحثين على إنجاز مشروع وطني مدعوم من قبل مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية يهتم بإعداد معجم لغوي لتلاميذ المرحلة الابتدائية وتلميذاتها الدارسين في مختلف مناطق المملكة.

يزود الأطفال في تلك المرحلة المهمة من حياتهم بألفاظ عربية ميسرة يعبرون بها عن المعاني التي يريدونها عن طريق حصر الألفاظ الواردة في كتابات التلاميذ والتلميذات في هذه المرحلة، ورصد الألفاظ المنطوقة لديهم، وتدوين الألفاظ الموجودة في مقرراتهم وكذلك في بعض القصص والوسائل الإعلامية الموجهة لأولئك الأطفال، إلى جانب تصنيف تلك الألفاظ تصنيفًا ألفبائيًا وموضوعيًا في معجم يناسب هذه الفئة من تلاميذ ثم أخيرًا شرح تلك الألفاظ بلغة عربية ميسرة.

ويقول الدكتور العويشق، الباحث الرئيس في المشروع الذي بدأ منذ سنة وبقي له مرحلتان مهمتان هما مرحلة الاستنطاق ومرحلة الاستكتاب، إن من أهم المشكلات الذي سيعالجها هي انضمام الصلة بين لغة التلاميذ المنطوقة ولغة المقررات الدراسية وبالتالي عدم فهم المحتوى العلمي لهذه المقررات، وكذلك الهوة الموجودة بين لغة التلاميذ المنطوقة والمكتوبة والحاجة الملحة إلى سجل للرصيد اللغوي للتلاميذ بحيث يستفيد منه الباحثون في المجال ووسائل الإعلام وكتاب أدب الطفل.

يعين له رئيس ونائب وأمين من الطلاب البارزين

مجلس الطلاب «الجديد»: تربية للحوار وتعليم للمرونة



لم تعد المدرسة مكانًا للحفظ والتلقين، ولم تعد أسيرة لمنهج دراسي يحدد مسارها اليومي فتتحول من حيث لا نريد ولا ندري إلى عمل روتيني يسقط عناصرها في سطوة الملل. المدرسة هي - منذ نشأتها الأولى - الحضن الأول والمفرّخ للمواهب وقيادات الأمة والنجوم في شتى المجالات الحياتية، والحوار موهبة ورغبة الكل لأنه القناة الصحية لتبادل الآراء وتلاقحها لهدف أكبر يدور في فلك العلم، فالعلم بلا حوار حبيس، والقدرات الذهنية والمواهب تظل مظهرًا مسجونًا بلا حوار ومجادلة وأخذ وعطاء، لذا كان القرار التربوي الهام في حياة المدرسة السعودية بإنشاء (مجلس الطلاب للحوار والتفاهم) لكي يتعلم الطلاب فن المطالبة بحقوقهم بأسلوب حضاري، وفن نقد الذات والآخر في فسحة من المرونة والتقبل، والهدف أسمى وهو زراعة بذرة الحوار مع الفرد منذ دراسته لينمو وتنمو معه مهارة الحوار والتفاهم حتى يصل بها وتصل به إلى الشخصية المتوازنة التي تعطي مجتمعها بلا كلل أو إحباطات، وإلى عادة تنطلق من مبدأ إسلامي عظيم يقوم على احترام الإنسانية وتقديرها.

وتقوم فلسفة هذا المشروع الخلّاق على نقل جزء من المسؤولية الإدارية والفنية التي تستهدف الطلاب داخل المدرسة إلى الطلاب أنفسهم، ليتبنوا تحديد رغباتهم وحل مشكلاتهم من خلال مجلس يضم مجموعة مختارة من قبل طلاب فصول المدرسة، ويتم استشارته فيما له علاقة بالطلاب من رغبات وملحوظات ومقترحات وطموحات في إطار الجو المدرسي ومناقشتها معهم للخروج برؤى وتوصيات تتضمن الحلول المناسبة، وبذلك يسعى المشروع إلى تنمية الذات لدى الطالب وتعزيز مهارة الحوار وقبول الرأي الآخر ومشاركته في القرارات المتعلقة به التي تصدرها المدرسة.

أما آليات تنفيذ هذا المجلس فتبدأ بقيام مدير المدرسة بتكوين هيئة إشرافية على المجلس برئاسة المرشد الطلابي وعضوية كل من رائد النشاط وأحد معلمي التربية الإسلامية، بعد ذلك يتاح للطلاب في كل فصل اختيار من يمثلهم في المجلس (طالب واحد فقط) شريطة أن يكون من البارزين سلوكيًا وخلقيًا ولدية القدرة على التعبير عن رأيه والحوار مع الآخر، ثم تعين الهيئة الإشرافية رئيسًا للمجلس ونائبًا له وأمينًا للمجلس من هؤلاء الطلاب المختارين وتكون

عضوية المجلس سنة كاملة قابلة للتجديد أو الإعفاء. ويجتمع المجلس كل أسبوعين لمناقشة جدول أعمال معين وفي مكان معين داخل المدرسة، ويكون الاجتماع قانونيًا إذا حضره ثلث أعضائه، ويبدي المجلس آراءه ومقترحاته حول خطط المدرسة التنفيذية ومناقشة المشكلات داخل وخارج المدرسة التي تمس شخصية الطالب، ويتم اتخاذ التوصية في موضوع النقاش من خلال التصويت بالأغلبية، وعند تساوي الأصوات يغلب الفريق الذي فيه الرئيس، ويرفع المجلس محضر الجلسة إلى مدير المدرسة للمصادقة عليه وفق نظام «سجل المجلس» ووضع توصياته موضع التنفيذ بالتعاون مع الهيئة الإشرافية، أما الموضوعات التي يختص المجلس بمناقشتها فهي المشكلات الطلابية داخل المدرسة وخارجها ودراسة الظواهر الإيجابية والسلبية التي تنتشر بين الطلاب، وتنسيق جدول الاختبارات النصفية والفصلية ودراسة ومناقشة ما يواجه الطلاب من مشكلات تعليمية مع المعلمين أو إدارة المدرسة، وتقديم برامج ميدانية وتعليمية لتوثيق الصلات بين الطلاب وتفعيل الأنشطة الطلابية، وما يحال إليه من مدير المدرسة أو طلابها وأي اختصاصات يكلف بها المجلس لاحقًا ■

مراد هوفمان

لا بد من تحرير الخطاب الإسلامي التقليدي


مراد هوفمان

المفكر الألماني المسلم الدكتور مراد هوفمان ألقى باللائمة المشتركة على العالم الغربي والعالم العربي في الجفوة والفجوة التاريخية الحالية بين الطرفين والقابلة للاتساع وأيضًا التصادم (صحيفة الشرق الأوسط العدد ٩٠٥١).

فالعالم الغربي - على حد رأي هوفمان - لا يزال يرى الإسلام المهدد الأكبر للقيم والحضارة الغربية ومخرجاتها الاجتماعية والفكرية امتدادًا للنظرة التاريخية القديمة منذ الحروب الصليبية، متخذين في ذلك ما ذهبت إليه نظرية الأمريكي صمويل هينتنجتون والتي تدعي أن الحرب بين الإسلام والغرب أمر واقع لا محالة ولا يمكن تحاشيه سواء بالحوار أو التفاهم. أما العالم العربي فما زال أداؤه المؤسسي قاصرًا ودون التطلعات المرجوة لمثل هذا التجاسر والتواصل، كما أن الخطاب الديني مصاب بالتقليدية والجمود والثبات رغم أنه مطالب بأن يقدم الإسلام كدين عالمي بصورة تتفق ومجريات العصر الحديث، وهذا الأمر يحتاج إلى أن يثق العالم الإسلامي بنفسه وعبقريته ومقدراته للنهوض من الكبوة ومواجهة التحديات الحالية. كما يجب على المسلمين - كما قال هوفمان - أن يستثمروا الموارد الضخمة والثروات الطائلة التي يمتلكونها بالإدارة السليمة بعد أن يطلقوا لحرية التفكير والديمقراطية العنان في حياتهم اليومية، ويتجنبوا داء التقليد والاعتماد على الغرب الذي قتل فيهم روح الإبداع ورسخ فيهم التخلف والاتكالية، بعكس الغرب الذي شجع العلم التجريبي وأوثق العلاقة معه في مؤسساته المختلفة.. وضرب هوفمان مثلاً في ذلك قائلاً: في العالم العربي نجد أن الرجل الذي لديه مكانة اجتماعية هو رجل أدب وشعر، أما في الغرب فصاحب هذه المكانة هو العالم والباحث ■



..الغذاء الذي تثق به
روستو لحم نعام
خالي الدسم
قليل الكوليسترول
نقانق لحم نعام
خالية من الدسم
قليلة الكوليسترول
مرتديلا لحم نعام
خالية من الدسم
قليلة الكوليسترول
Watania
الوطنية
SMOKD ROAST OSTRICH
الوطنية
زيت زيتون عضوي
خال من الكوليسترول
Watania
زيت زيتون بكر عضوي
عصرة أولى على البارد
Organic
حائز على جائزة
الإيطالية
كأفضل جودة زيت زيتون
Watania | الوطنية

سمو الأستاذ زياد



زياد الدريس
ziadd101@almarefah.com

نظام «الالقاب» عند البشر هو نظام مقنن بضوابط واعتبارات ومعايير، وأحيانًا «استثناءات» يتم بها تجاوز المعايير المقننة.

وهو نظام قديم في التاريخ، وليس العرب وحدهم الذين شغفوا به، بل حتى الشعوب الأخرى كانت تتفنن في نحت قائمة جديدة من الألقاب لكل حقبة جديدة من تاريخها.

العرب كان دورهم «تخطيط» وتسجيع - بالسين أو الشين! - الألقاب بحيث تسهل على الحفظ والتداول، حتى إنك لتقرأ على بعض كتب التراث اسم المؤلف وقد امتد على سطرين أو ثلاثة من غلاف الكتاب. هذه أسماء وألقاب المؤلف، فكيف بأسماء وألقاب الحاكم الذي ألف الكتاب في عهده الميمون!

الفارق بين العرب والغرب الآن: هو أن الغرب قد تخففوا من الألقاب، إما بإلغاء غير اللازم منها، أو بوضع مختصرات حروفية للذي استعصى منها على الذوبان!

لكننا في عالمنا العربي لم نجرؤ حتى الآن على اختصار شيء من الألقاب سوى الدكتور: د، والمهندس: م. لكننا حتى الآن متهيبون من وضع مختصرات ألقابية، مثل: (ف. ش. خ)، (م. ع. ز)، (س. م. ر)، على نسق المختصرات التي تستخدمها الصحافة الغربية عند الحديث عن أعيان المجتمع.

* *

في العالم الآخر - من الغرب والشرق - نادرًا ما تجد المؤلف وقد وضع ألقابًا تسبق اسمه على غلاف كتابه، أما في عالمنا العربي فلا عجب أن ترى مؤلفًا وضع حرف الدال قبل اسمه على ديوان الشعر الذي صدر له حديثًا، علمًا بأنه حاصل على هذه (الدال) الدكتوراه في علم الجريمة!

بل أصبحت بطاقات الزفاف تصلك وقد كتب أن الأستاذ الدكتور (...) يتشرف بدعوتكم لحضور زفاف ابنه المهندس (...)، وكأننا نقرأ بحثًا علميًا، وليس بطاقة زفاف لا علاقة لها بمؤهلات الزافّ والمزفوف!

* *

أما الألقاب في عالم الصحافة والإعلام فهذا فلك آخر لا ينقضي الدوران فيه.

فالصحافة تساهم في تكريس الألقاب في المجتمع، بل وتصنعها أحيانًا، ولذا فإن العاملين في الصحافة لا تنطلي عليهم الألقاب التي يزجيها لهم القراء كثيرًا، لأنهم يعرفون صنعة الألقاب وأهدافها!

ورؤساء التحرير عادة ما تزجى إليهم ألقاب لم يحلموا بواحد منها فكيف بها جميعًا.

فليس جديدًا أن يطلعك رئيس التحرير على الرسائل التي تصله، وبالذات تلك التي من خارج الحدود، وقد أضفت عليه لقب: معالي فضيلة الشيخ الكاتب الكبير الأستاذ الدكتور....!

وكنت قد انتعشت بالرسالة الاولى التي جاءتني بهذه الألقاب، حتى اكتشفت الحقيقة المرة (!) أن كل مسؤولي التحرير قد حصلوا على هذه الألقاب قبلي وشبعوا منها ثم لفظوها.. فجاءتني مستهلكة!

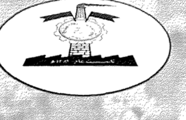
لكنني بالأمس جاءتني رسالة من قارئ - وليس أي قارئ، بل هو أستاذ جامعي! - وقد وصفني فيها بـ«سمو الأستاذ»، ولأن طموحاتي لم تبلغ هذه الدرجة فقد ضحكت كثيرًا.. حتى استلقيت على قفاي!


تكوين
العالم
الانسان
اخيه الانسان
كرمنا بني آدم
ولدتهم أمهاتهم
اخيه الا
ولدتهم أمهاتهم
ولدتهم
البشرية
العالم
الانسان
نبال

أن تصنع هذا . . . .

وأن تمنع هذا . . . .

وأن تحافظ على هذا . . . .



وأن تحفظ هذا وهذا وكل هذا للأجيال القادمة .

أسمنت اليمامة

تواجه التحدي بعزم وإصرار مع الحرص على التحسين المتواصل واستخدام ما يمكن الحصول عليه من تقنيات التحكم في الانبعاثات للمحافظة على البيئة .



عالم من الخيارات
المراعي
Almarai
لبن بالفواكه
مانجو
Fruit LABAN
Mango
زادي
كاسترد بطبقة الجلي
كاسترد بالشوكولاتة
عصير برتقال
طازج لبن
سوبر
طازج حليب
زبادي (روب) طازج
كاسترد بالفانيلا
جودة تستحق الثقة